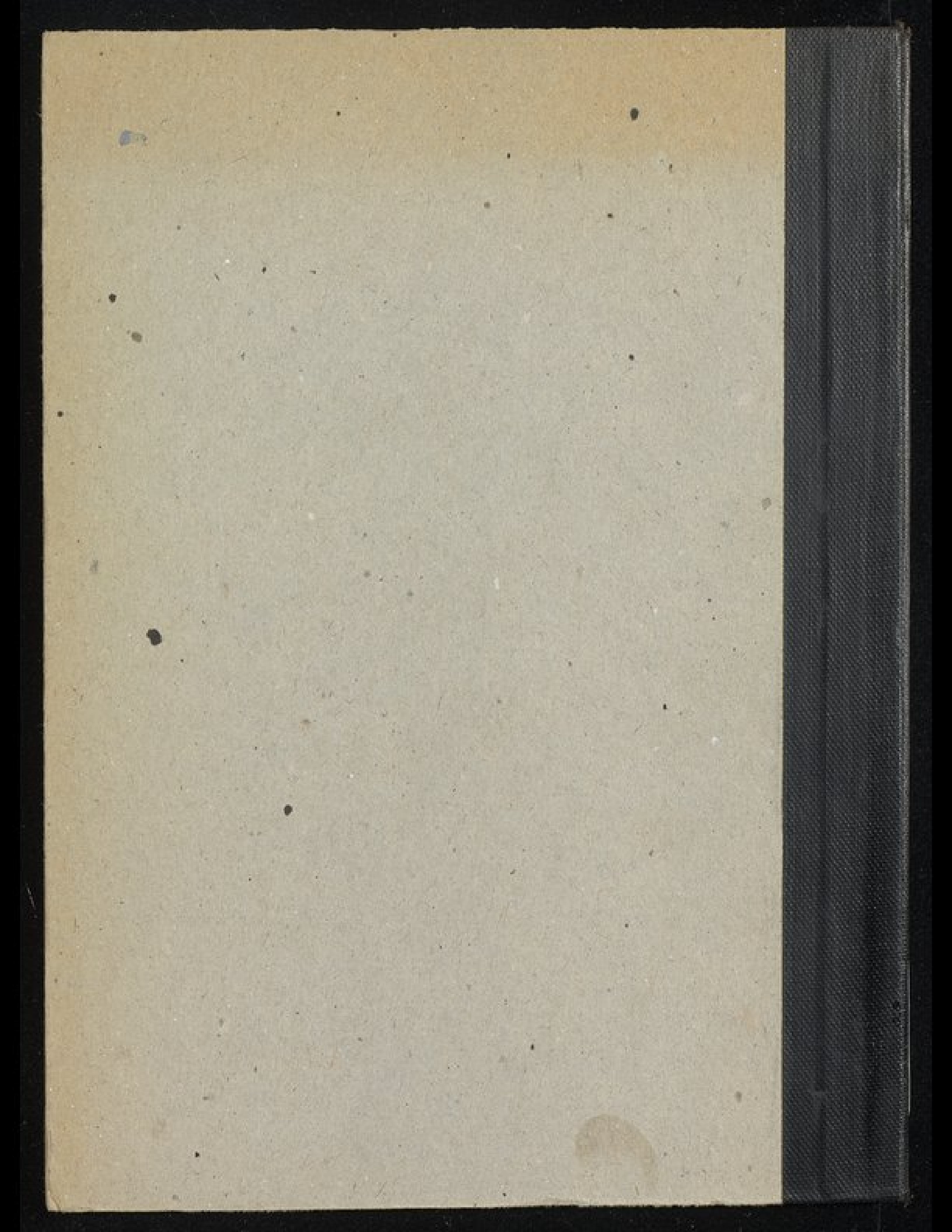
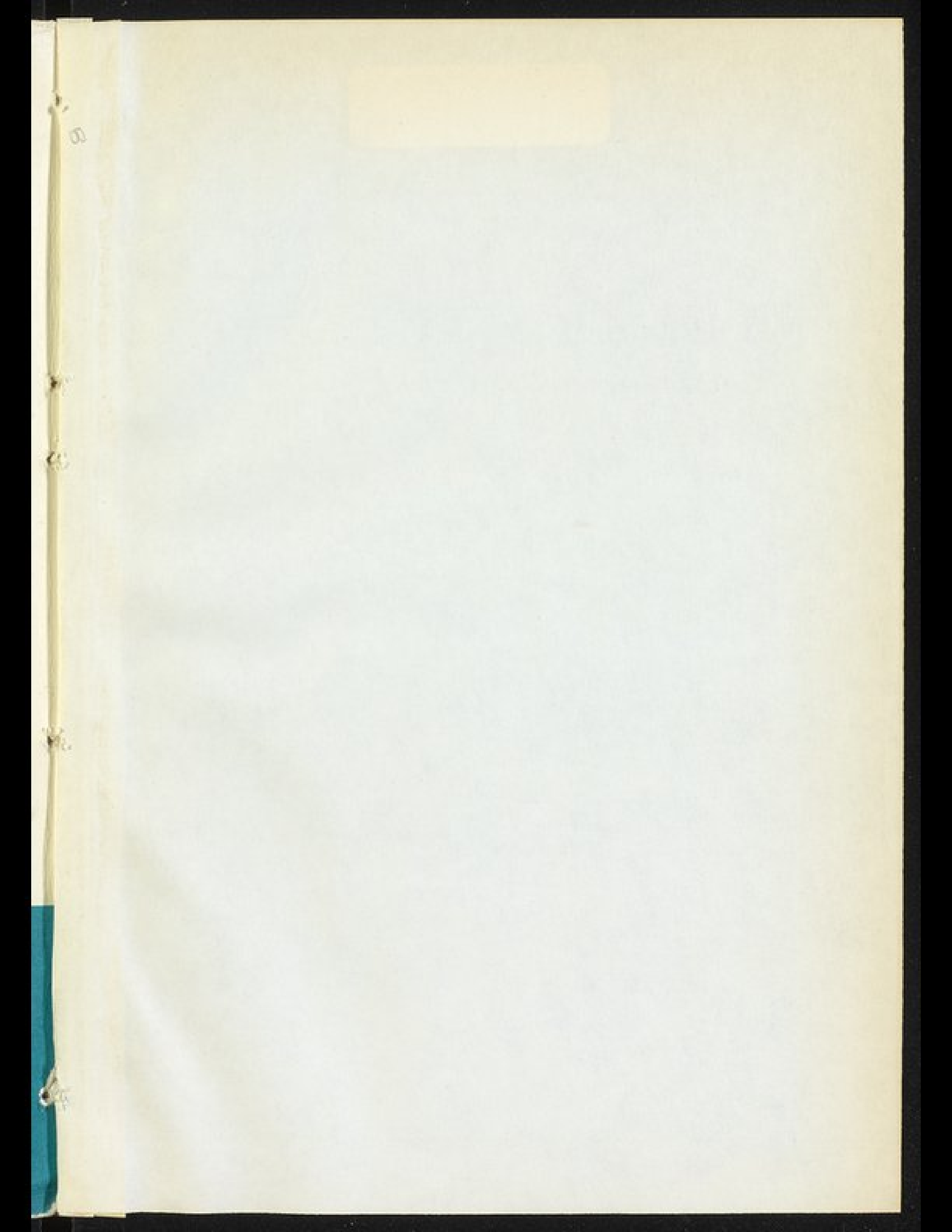


DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE


Princeton University Library
32101 073584367



وزارة الثقافة والإعلام

مديرية الثقافة العامة

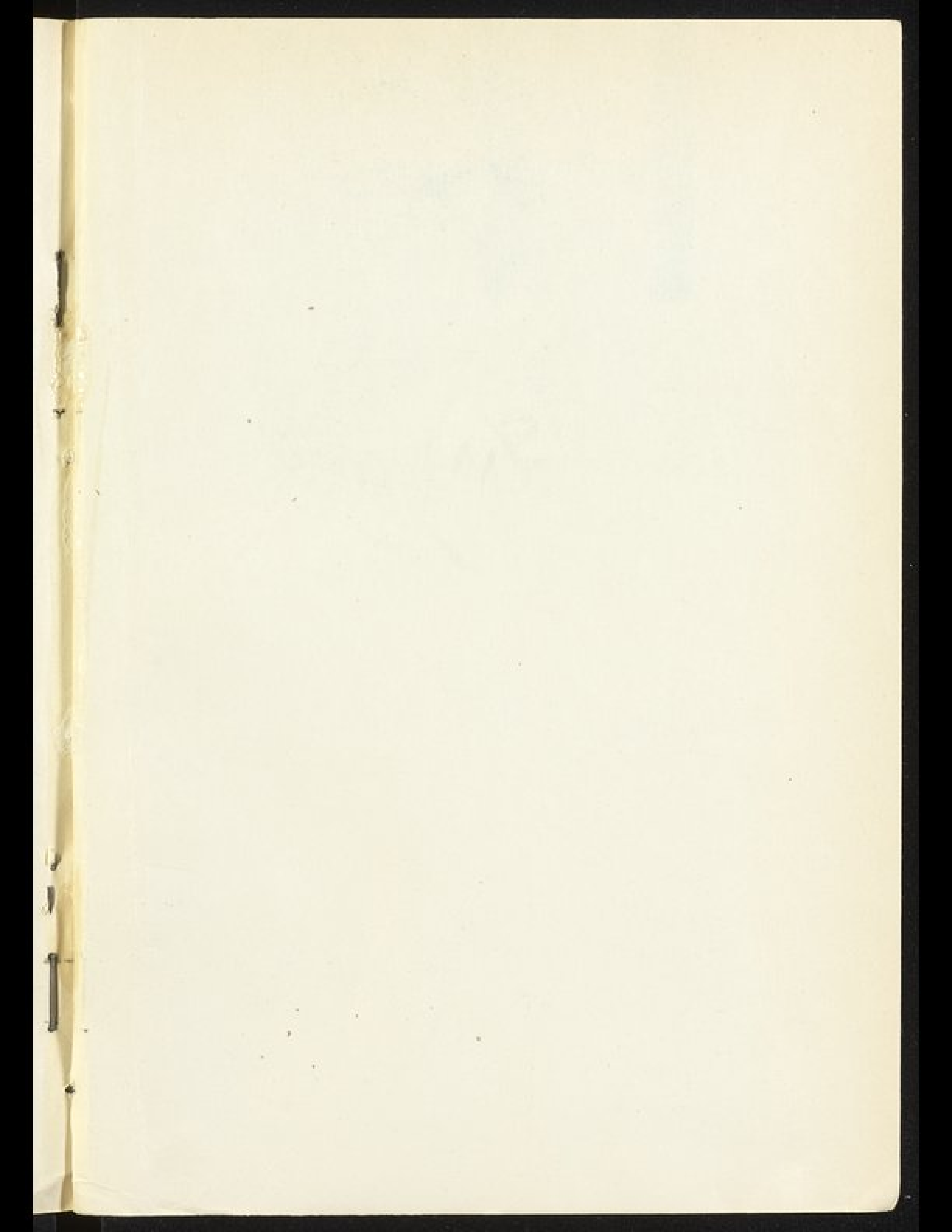
سلسلة الكتب الحديثة

٢٤



مع الأعلام

جميل الجبوري



وزارة الثقافة والإعلام
مديرية الثقافة العامة

سلسلة الكتب الحديثة
٢٤



مع الأعلام

ومضات من حياة رواد الفكر والفن عبر العصور

جميل الجبوري



■ صمم الغلاف : الفنان نوري الراوي

■ كتب الخطوط : الاستاذهاشم محمدالخطاط

الأهداء

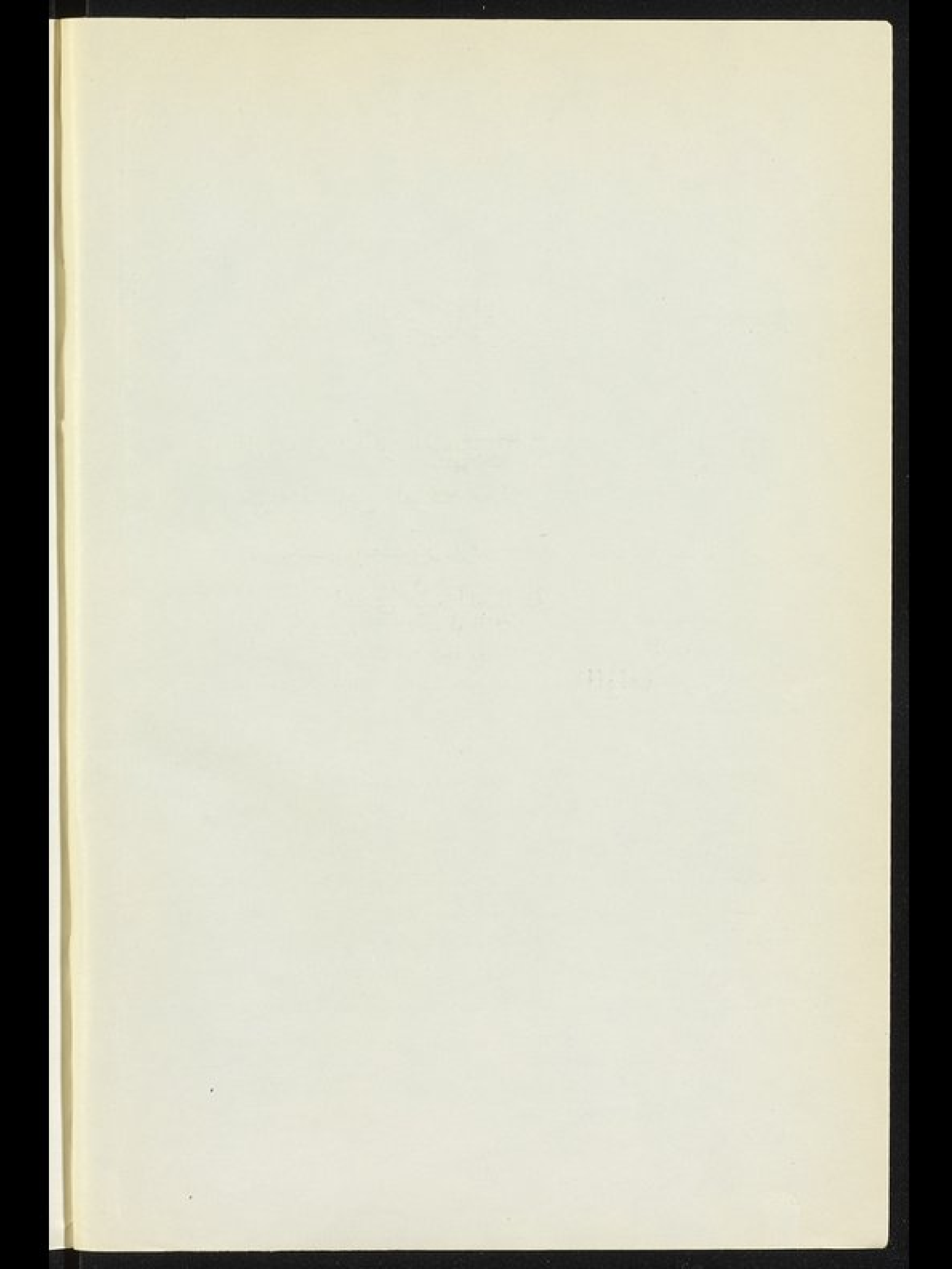
.. الى اعلام الفكر العربي ..

حملة مشاعل المعرفة ..

عبـــر العصور ..

اهدي هذه المجموعة

المؤلف



بين يدي الأعلام

الاوقات الممتعة الشيقة التي عشتها مع رواد الفكر والفن – عبر العصور ـ أقلب نتاجاتهم ، واستلهم أفكارهم ، وأعيش معهم تجاربهم في كل مجالي الحياة ، أوحت لي ان اكتب عن بعض هذه المعايشة وان اسجل شيئا عن هذه الصحبة الكريمة ٠

ولقد ارتايت،وانا ممن يستهويهم الحوار ويفتنهم التاليف التمثيلي ان يكون هذا اللون أسلوبي في التسجيل الذي أريد ٠

ويوم تقدمت الى المسؤولين في اذاعة الجمهورية العراقية مقترحا تقديم برنامج يتناول (ومضات من حياة رواد الفكر والفن عبر العصور) لقيت الاستجابة المشكورة التي شجعتني على المضي فيه ، فكان برنامجي (مواكب الخالدين)[1] ثم كان متمم فصوله ومكمل حلقاته (مع الاعلام)[2] بناء على اقتراح وردني من المسؤولين في حينه ٠ والفصول هذه ، كما أسلفت ، هي فعلا ـ مع الاعلام ـ لانها تعيش معهم بعض جوانب حياتهم وتقدم اضمامات من روائع ما خلفوه من تراثهم الخالد على مر العصور ٠

ولقد ارتايت مؤخرا ، وبعد ان وقف البرنامج على قدميه وقدم الى المستمعين نخبة ممتازة من الاعلام العرب اختارهم من عصور التاريخ المختلفة حتى العصر الحاضر ان اجمع بعض هذه الفصول بين دفتي كتاب تفضلت مديرية الثقافة العامة في وزارة الثقافة والارشاد فتبنت فكرة نشره ، ولي في طبع أمثاله في الدول العربية الشقيقة أسوة حسنة فلقد نشر كتاب البرامج والتمثيليات والاركان الاذاعية في الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية اللبنانية العديد من الكتب التي جمعت انتاجاتهم الاذاعية ٠

---

(١) قدمت الحلقة الاولى منه في ٥ـ١١ـ١٩٦٥ ٠

(٢) قدمت الحلقة الاولى منه في ١ـ١٠ـ١٩٦٦ ٠

وكلي أمل ان أكون قد اسهمت اسهامة متواضعة في خدمة تراثنا العربي مؤمنا بان تاريخ الامة جزء منهـا وهي لن تستطيع بحـال ان تنسلخ عنه ٠

واذا كان الامر كذلك ـ وهو كذلك فعلا ـ فمنيتي ان أكون قد قدمت أصيص ورد عبق واناء عطر لازوردي من خمائل ماضينا المظللة رحاب الزمن فيأ ، وفكرا ، وجمالا ٠

جميل الجبوري

ابو الطيب المتنبي

صوت :

وانّي لمن قوم كأن نفوسهم — بها أنف ان تسكن اللحم والعظما

فلا عبرت بي ساعة لا تعزني — ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما

صوت : ذلك كان شعور الرجل الكبير .. الكبير في فنه ، وفي مشاعره .. وتطلعاته .

ـ نقلة موسيقية ـ

الاب وابنته ليلى

ليلى : وكأنها تتم حديثا ..
حقا لقد امتعتني أي امتاع في جلسة الامس يا أبتي .

الاب : شكرا لك يا ليلى .

ليلى : الحق أنني بقيت انشد بعد الجلسة ما رويت من شعر واردد ما ذكرت من حكمة . وحديث الليلة ، هل ستخصصه للمتنبي كما وعدتني ؟

الاب : بلى . فأي حديث الطف واطرف من حديث ذلكم الرجل القائل :

لابقومي شرفت بل شرفوا بي — وبنفسي فخرت لا بجدودي

ليلى ـ ضاحكة ـ هكذا ؟

الاب نعم لقد كان المتنبي كذلك .

ليلى : المتنبي لقب الشاعر ، أليس كذلك ؟

الاب : نعم اما اسمه فهو أبو الطيب أحمد بن الحسين

ليلى : وتاريخ حياته ؟

الاب : طويل وحافل • فالمعروف انه ولد بالكوفة سنة ثلاث وثلثمائة للهجرة ونشأ بها ثم انتقل مع أبيه الى الشام وتقلب في مختلف مجـــالات الحياة •

ليلى : مثل ماذا ؟

الاب : قيل ان اباه كان سقاء يبيع الماء وان ابا الطيب كان طموحا الى ابعـد حد ، الامر الذي جعله يتصل بمن وفد الى الشام وان يتعرف على رجالها وما زال به الامر حتى ادعى النبوة •

ليلى : ادعى النبوة ؟

الاب : هكذا حدثنا التاريخ وقد ذكر ان امير حمص في ذلك الوقت المسمى (لؤلؤ) قد خرج اليه واسره فتفرق أصحابه • وقد ظل أسيره حتى تاب فأطلقه ومن ثم سمي بالمتنبي •

ليلى : هذا كان قبل اتصاله بسيف الدولة • أليس كذلك ؟

الاب : نعم فأن التحاقه بسيف الدولة كان سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة • وله في مدحه شعر كثير •

ليلى : مثل ماذا ؟

الاب : مثل قصيدته التي يقول فيها :ـ

المتنبي :

ان كان قد ملك القلوب فانه	ملك الزمان بأرضـــه وسمائه
الشمس من حساده والنصر من	قرنائه ، والسيف من اســمائه
أين الثلاثة من ثلاث خـلاله	من حسنه ، وابائه ، ومضـــائه
مضت الدهور وما اتين بمثله	ولقد اتى فعجزن عن نظـرائه

ليلى : رائـع •

الاب : ان له ما هو أروع •

ليلى : في المدح ؟

الاب : في مختلف فنون الشعر . اسمعيه مثلا يقول في الوصف :

المتنبي :

لبسن الوشي لا متجمــلات	ولكن كي يصن به الجمـــالا
وظفرن الغدائر لا لحســن	ولكن خفن في الشعر الضـلالا
بدت قمراً ومالت خوط بان	وفاحت عنبرا ورنت غـــزالا

ليلى : قلت امس ان المتنبي عاش فترة بمصر . أليس كذلك ؟

الاب : نعم ، فهو بعد أن هجر بلاط سيف الدولة بسبب مشادة حصلت بينه وبين (ابن خالويه) النحوى اعتدى فيها ابن خالويه عليه واهانه في مجلس الملك ذهب سنة ست واربعين وثلاثمائة الى مصر حيث عاش في كنف كافور الاخشيدي .

ليلى : وهل مدحه ؟

الاب : وبشعر كثير أيضا .

ليلى : ضاحكة .. أمره غريب .

الاب : هذا ما فعله . وهو من شعره الجيد ، اسمعيه في قصيدة مدح يقول فيها :

المتنبي :

واخلاق كافور اذا شئت مدحه	وان لم اشأ تملي علي وأكتــب
اذا ترك الانسان اهلا وراءه	ويمــم كافورا فما يتغـــرب
فتى يملأ الافعال رأيا وحكمة	ونادرة أيان يرضى ويغضــب

ليلى : بكل هذا الاسراف في المدح ؟

الاب : هذا هو المتنبي . وعندما هجاه هجاه بأسراف ومبالغة أيضا .

ليلى : هجاه بعد ان خرج من مصر ، أليس كذلك .

الاب : نعم . وقد خرج فارا من كافور . وقيل ان صاحبه (ابن يوسف) قال له وهما في بعض طريق العودة من مصر .

ـ نقلة موسيقية ـ

المتنبي – ابن يوسف

ابن يوسف : وما رأيك في الجولة القادمة يا أبا طيب •• لقد هجرت سيف الدولة وهجوته بعد ان سمح لابن خالويه النحوي ان يشجك بالمفتاح على مرأى منه ومن صحبه • ودون ان يقف منه موقفا •وها انت تهجر كافورا ، وستهجوه •• اقول •• ترى الى اين سيحل بك المطاف

المتنبي : لم يبق امامي يا ابن يوسف بعد أن يئست من الملوك وبعد ان سدوا أبوابهم دوني الا امران لا ثالث لهما : اما أن انزل من القمة التي صعدت اليها بعد جهد وكد واعود الى ما كنت عليه في بداية امري فاستجدى بشعري صغار الناس وطغامهم واما ان أعود الى الكوفة فأقبع في داري ، واهجر الناس جملة واقيم بيني وبين الملوك سدا • فقد كفاني ما لقيت منهم وكفاهم ما لقوا مني ولي الآن ثروة تكفل الراحة والنعيم وهناء العيش •

– موسيقى فاصل –

– عودة الى الجلسة الاولى –

ليلى : ••• وهل مدح صغار الناس ام قبع في بيته ؟

الاب : لا هذا ولا ذاك ، انه الهمة العالية والطموح الوثاب والحركة الدائبة • وكيف يرضى لنفسه ذلك وهو القائل :

المتنبي :

فمالي وللدنيا طلابي نجومها ومسعاي منها في شروق الاراقم؟

وهو الذي يفخر بنفسه قائلا :ـ

المتنبي :

لتعلم مصر ومن بالعراق ومن بالعواصم أني الفتى

واني وفيـــت وأني ابيـت		واني عتوت على من عتـــا
وما كل من قال قـولا وفى		ولا كل من ســيم خسفا ابى

ليلى : يبدو ان الرجل يبالغ في تثمين نفسه والزهو بها

الاب : الى حد اوغر عليه قلوب الناس • لقد قال مرة في حضرة سـيف الدولة :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا		بأنني خير من تسعى به قـدم
انا الذى نظر الاعمى الى ادبي		واسمعت كلمـاتي من به صمم
الخيل والليل والبيداء تعرفني		والسيف والرمح والقرطاس والقلم

ليلى : بعد كل هذا الاعتداد بالنفس • هل سلم من هجو الشعراء لـه وذم المتقولين عليه ؟

الاب : وهل تحسبين المتنبي يعير ذلك اهتماما ؟ •• انه يقول عن هؤلاء :

للمتنبي :

ارى المتشاعرين قد غروا بذمي		ومن ذا يحمد الـداء العضـالا
ومن يك ذا فم مـر مريض		يجـد مرا به المـاء الزلالا

ليلى : امكانية شعرية فذة كان يملكها الرجل ولا شك

الاب : لا شك • والا كيف يجمع بين فنون الشعر ويبرز فيها • وكيـف يجعل من شعره حديث المجالس وسلوة الركبان • هو في الحـكمة سيدها وما بزه شاعر في الهجو ولا في المديح كمـا ان وصفه ارق من الماء السلسبيل •

ليلى : وحكمه ، هل جاءت في ثنايا شعره ام انها استقلت في قصـائد معينة ؟

الاب : لم يفت المتنبي ان يزجي الحكم الرصينة في ثنايا قصيده وفي قصائد مستقلة • وهو في ذلك بارع الى حد عجيب ••• اذكر بالمناسبة قصيدة له في الغزل والفخر والحكمة يقول فيها :

المتنبي :

كم قتيل كما قتلت شـــهيد ببياض الطلى وورد الخـــدود
وعيون المهـــا ولا كعيـــون فتكت بالمتيـم المعمـــود
راميات بأسهم ريشها الهـــد ب تشق القلـوب قبل الجلـود

الاب : ومنهـــا :

اين فضـــلي اذا قنعت من الدهـــر بعيش معجـــل التنكيـــد
ضاق صدري وطال في طلب الرز ق قيامي وقـــل عنه قعـــودي
عش عزيزا او مت وانت كريم بين طعن القنا وخفق البنـــود

ليلى : هذا بديع

الاب : اسمعي تتمة القصيدة :

المتنبي :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي فخرت لا بجـــدودي
وبهم فخر كل من نطق الضاد وعوذ الجـــاني وغوث الطريد
انا ترب الندى ورب القـــوافي وسمام ؟ العـــدا وغيظ الحسود

ليلى : اعتداد رائع ايضا

الاب : كان هذا سلوكه في حياته ••• ان مدح او فخر او ذم ، اما قال في كافور عندما هجاه :

المتنبي :

العبد ليس لحـــر صالح بأخ لو انه في ثياب الحر مولـــود
لا تشتر العبد الا والعصا معه ان العبيد لانجـــاس مناكيـــد
اولى اللئام (كويفير) بمعـــذرة في كل يوم وبعض العذر تفنيـــد

ـ يضحكـــان ـ

ليلى : رجل لا يعرف اوساط الامور

الاب : ابدا • حتى عندما حذره صاحبه (ابو نصر محمد الجبلي) يوم نزل عنده في طريق عودته الى الكوفة ، من المتامرين على حياته •

ليلى : حذره من القتل ؟

الاب : هذا ما روته سيرته ••• لقد قال له أبو نصر :

ـ نقلة موسيقية ـ

المتنبي ـ ابو نصر

أبو نصر : على أي شيء أنت مجمع يا أبا الطيب ؟

المتنبي : لقد عزمت على الرحيل مساء اليوم • وسأتخذ الليل مركبا فأن السير فيه يخف علي

ابو نصر : الرأي رأيك • ولكني أرى أن يكون معك جماعة من رجال هذه البلدة الذين يعرفون المواضع المخيفة •

المتنبي : ولم تقول هذا يا ابا نصر ؟

ابو نصر : انما اردت ان تستأنس بهذه الجماعة في الطريق •

المتنبي : اما ونجاد السيف في عنقي فما بي حاجة الى مؤنس غيره •• عرفني جلية الامر •

أبو نصر : جلية الامر يا سيدي ان فاتكا الاسدى كان عندي منذ ثلاثة أيام ، وهو يتقد عليك غضبا لانك هجوت ابن اخته (ضَبّة) وعرضت بشرفه •

المتنبي : أتخاف عليّ من عبيد العصا ؟

أبو نصر : هم اشرار فتاك يا سيدي

المتنبي : ••• يترنم •••

فزل يا بعد عن ايدى ركاب لها وقع الاسنة فى حشاكا
وانى شئت يا طرقي فكوني اذاة او نجاة او هلاكا

ابو نصر : وهو الهلاك بعينه يا سيدي ان لم تحترز

المتنبي : لا عليك يا ابا نصر (يترنم)

نعد المشـــرفية والعـــوالي وتقتلنا المنـــون بلا قتـــال

استودعك الله .

أبو نصر : سلمك الله يا أبا الطيب .

ـ موسيقى فاصل ـ

ـ عودة الى جلسة الاب وابنته ـ

الاب : وعندما كان وصحبه يسيرون في طريقهم الى الكوفة تصدى له (فاتك) ورجاله فقاتلهم قتال الابطال . ولقد قتل جميع من كان معه . وبقي يقاتل وحيدا وقد نال منه الضعف وأخذ منه الوهن ، فحمل عليه (فاتك) وطعنه في جنبه الايسر فأسقطه من على جواده وارتمى على الارض يجود بأنفاسه بين جثتي ابنه (محسد) وخادمه (مفلح) وهو يردد بحشرجة القتيل ابي النفس :

(صوت يلقي الشعر بحشرجة تصاحبها المؤثرات)

المتنبي :

رِدِي حياض الردى يا نفس واتَّركي
حياض خوف الردى للشاء والنعم ؟

ان لـم أذرك عـلى الارمـاح سـائلة
فلا دعيت ابن أم المجـد والـكرم

موسيقى الختام

ابو حيان التوحيدي

– موسيقى –

في مجلس عائلي – الاب وابنته

الاب : بصوت جهور

« انما يميل الى الكذب من قعد به الصدق . ويتيمم بالصعيد من فاته الماء ، ويحلم بالمنى من عدم التمني في اليقظة »

فمن أخلاق النفس الناطقة – اذا صفت – البحث عن العالم . لانـه اذا عرف الانسان فقد عرف العالم الصغير . واذا عرف العالم فقد عرف الانسان الكبير واذا عرف العالمين عرف الاله ..

ليلى : رائع يا ابتي ما تقرأه ... لمن هذا الكلام الجميل ؟

الاب : انه يا ابنتي لعلي بن محمد بن العباس ابي حيان التوحيدي ، نادرة عصره ، اديب الفلاسفة وفيلسوف الادباء وامام البلغاء المتفنن في النحو والشعر واللغة والادب والفقه والكلام .

ليلى : أهو صاحب (الاشارات الاهلية) و (الهوامل والشوامل) و (المقابسات) و (الامتاع والموانسة) .

الاب : نعم . هوذاك يا ابنتي . وله غير ما ذكرت كثير ... لكنه احرق كتبه في اواخر عمره .

ليلى : احرق كتبه ؟

الاب : هكذا ذهب المؤرخون ومنهم ياقوت ، ولقد ذكر انه احرق كتبه لقلة جدواها وضنا بها على من لا يعرف قدرها بعد موته .

ليلى : اذا ، ومولفاته التي نقرأها الآن ؟

الاب : يذهب المؤرخ السيوطي في كتابه «بغية الوعاة» الى ان النسخ الموجودة الآن من تصانيف ابي حيان التوحيدي كتبت عنه في حياته وخرجت قبل حرقها .

ليلى : غريب ما اسمعه منك يا ابتي ؟

الاب : هكذا ذكر التاريخ . فلقد جاء فيه ان كتبه بلغت نحو عشرين مؤلفا وقد احرقها ولم يبق منها الا القليل . ولم يطبع ـ بعد ذلك الا الاقل مثل : المقابسات والصداقة والصديق ورسالة في العلوم واما ما بقي منها فقد احتفظ به مخطوطا .

ليلى : هكذا اذا ؟ ترى ما هو تعليله للامر يا ابتي .

الاب : لقد ذكر يا ابنتي ان القاضي ابا سهل بن محمد كتب اليه يعذله على صنيعه فاجابه ابو حيان ...

ـ موسيقى ـ

أبو حيان : «اعلم علمك الله الخير ان هذه الكتب حوت من اصناف العلم سره وعلانيته فاذا كان سرا فلم أجد له من يتحلى بحقيقته راغبا واما ما كان علانية فلم أصب من يحرص عليه طالبا . على اني جمعت أكثرها للناس ولطلب المثالة منهم ولعقد الرياسة بينهم ولمد الجاه عندهم فحرمت ذلك كله وكرهت مع هذا ان تكون حجة علي لا لي .

فشق علي ان ادعها لقوم يتلاعبون بها ويدنسون عرضي اذا نظروا فيها ويشمتون بسهوى وغلطي اذا تصفحوها ... وكيف اتركها لاناس جاورتهم عشرين سنة فما صح لي من احدهم وداد ولا ظهر لي من انسان منهم حفاظ » .

ليلى : مؤسف والله ما لاقاه الرجل . ولعل من حسن الطالع ان نقل عنه الناقلون ونسخ الكتاب والا لكانت خسارة الفكر مضاعفة .

الاب : هذا صحيح .. وفي مؤلفاته الطريف والممتع ، ولعل أقوم كتبه

وأطرفها كتاب (الامتاع والمؤانسة) • ولتأليف هذا الكتاب قصة ممتعة •

ليلى : كيف يا أبتي •

الاب : كان ذلك بينه وبين ابي الوفاء المهندس صديقه وصديق الوزير البويهي يومذاك

ـ نقلة موسيقية ـ

(التوحيدي ـ أبو الوفاء المهندس)

المهندس : يا ابا حيان ، ان لي عندك حاجة •

التوحيدي : وهل ابهج لنفسي من خدمة أقوم بها للشيخ الجليل •

المهندس : انت تدري انني قربتك للوزير ابي عبدالله العارض •

التوحيدي : اذكر ذلك ولا انساه •

المهندس · لقد وصلتك به ومدحتك عنده حتى جعلتك من سماره •

التوحيدي : ومن يجحد فضلك اعزك الله

المهندس : انني اريد منك يا ابا حيان ان تقص علي كل ما دار بينك وبين الوزير من حديث •

التوحيدي : كل ما دار بيننا من حديث ؟؟

المهندس : لا تنس يا ابا حيان انك ما كنت اهلا لمصاحبة الوزراء•• اما قالوا عنك انك قبيح الهيئة سيء العادة حقير الملبس تفتقد مرونة المجالسة وكياسة المنادمة •••

التوحيدي : على رسلك ايها الشيخ ، لست ناكرا ولا متنكرا ، انما كل الذي ارجوه منك هو ان تمهلني بعض الوقت لكيما استطيع ان أقدم لك حديث الاربعين ليلة التي حادثت بها الوزير أبا عبدالله العارض •

المهندس · ذلك لك ، اقترح الوقت الذي تشاء •

التوحيدي : انني افضل ان ادون في كتاب كل ما دار بيني وبين الوزير من دقيق وجليل وحلو ومر •

المهندس : نعم الرأي ، ولك عندي نصيحة .

التوحيدي : وهل اعز عندي من نصائح الشيخ المهندس ؟

المهندس : اريدك ان تتوخى الحق في تضاعيف كتابك والصدق في ايراده وان تطنب فيما يستوجب الاطناب وتصرح في موضوع التصريح .

التوحيدي : اعدك ايها الشيخ واطمئنك ، لان ذلك كما تعلم دأبي . وهو نهجي فيما اكتب واقول .

– موسيقى –

– الاب وابنته مرة أخرى –

الاب : ... وكانت نتيجة ذلك يا ابنتي ، كتاب الامتاع والمؤانسة .

ليلى : لقد امتعتني يا أبتي بما حدثتني به عن أبي حيان ايما امتاع .

الاب : انه يا ابنتي علم من أعلام الفكر والفلسفة . ولكنه كان محروما بائسا ، وظل يشقى طول حياته مع انه على ما وصف من العلم والادب والشعر والخط الجميل والفلسفة والبلاغة والاسلوب الرفيع .

ليلى : ترى ، ما سبب ذلك كله وهو العالم الفذ والاديب الفرد ؟

الاب : يقول ياقوت في معجمه في وصف ابي حيان « انه سليط اللسان قليل الرضا عند الاساءة اليه ، الذم شانه والثلب دكانه وهو مع ذلك فرد الدنيا الذي لا نظير له فطنة وفصاحة .

ليلى : هكذا ؟! ... سبحان من جمع النقيضين في اهاب واحد .

الاب : هذا ما يقال عنه . والمؤرخون يذهبون الى ان سبب شقائه وحرمانه حدة لسانه وثلبه وسخطه . فهو لا يغفر ذنبا لاحد ولا يغض طرفه عن زلة ويا ويل من يتناوله لسان ابي حيان .

– موسيقى –

ليلى : ... أظنني أثقلت عليك يا أبي بالسؤال تلو السؤال .

الاب : أبدا ... فهل احب الى نفسي من تساؤل بنيتي الحبيبة .

ـ يضحكان ـ

الاب : ها ، ماذا اردت ان تقولي ؟

ليلى : اردت ان اسأل عن ترجمة حياة ابي حيان ؟

الاب : حقا . كان علي ان اوجزها لك بعد ان حدثتك عن علمه وادبه وفضله .

ليلى : لم يفت الوقت بعد يا ابتي .

الاب : ملخص سيرته انه ولد في شيراز أو في نيسابور ، ولا يعلم تاريخ ولادته . اقام في بغداد مدة ثم انتقل الى (الري) حيث صحب ابن العميد والصاحب بن عباد . ولما لم يحمد ولاءهما عاد الى بغداد وبقي فيها ، ثم وشي به الى الوزير المهلبي فطلبه فاستتر منه ومات في استتاره سنة ٤٠٠ للهجرة .

ليلى : ترى لم ذلك كله ، وهو على ما هو عليه من علم وادب وفضل ؟

الاب : انه يشرح الامر ويحدد موقفه منه فيقول :

ـ انتقـــالة ـ

أبو حيان : « لقد توصلت أخيرا الى (ابن العميد) و (ابن عباد) و (ابن سعدان) وكلهم من أولي البأس والسلطان وخالطتهم، فكرا وعادات. وشاربتهم وجالستهم وكان لي معهم ليال طوال وأيام حوافل بالنقاش والرأي . لذلك استطعت ان اتعرف الى ما كان عليه اولئك القوم . واقولها دون مواربة انني استقبحت تهالكهم وتفاهاتهم وازدريت عاداتهم وتسلكاتهم.

ـ انتقـــالة ـ

عودة الى حديث الاب وابنته

ليلى : يبدو ان البون كان بينه وبين ولاة زمانه شاسعا الى حد بعيد .

الاب : القضية قضية موقف عقلي ، لذلك قال عنه دارسوه :

ـ صوت جديد ـ

« من المعقول ان يفعل التوحيدي كل شيء ليكون له مقام عند اولئك الحكام ، الا ان يحجب في نفسه القلق والتوق العارمين والا ان يماري في شكوكه وتلهفه . والا ان يقطع الصلة بين وجوده وعقله .. فذلك ما لم يعقله وما لم يغمض الجفن عليه .

ومن هنا بدأت المعركة في باطنه : المعركة بين الفكرة والعوز ، وكان العوز بكل وطأته وقسوته لم يستطع ان يذوب فكرة التوحيدي ، فكرة الشك والقلق ، فكرة « ان يظل مفكرا » .

ـ انتقـــالة ـ

ليلى : صراع عنيف واجهه الرجل في حياته كما أرى .

الاب : انه (القلق التائه) كما يسميه أبو حيان نفسه يا ابنتي ، وهـو قلق الفلسفة في عهد تلاطمت فيـــه امواج الشك في قاع اليقين . وفترة الحكم البويهي التي عاشها في العراق اتسمت بمفارقات اجتماعية بارزة ... كان فيها « بخل غني » و « فقر عالم » و « غني جهول » و « سلطان وزير » وما كان أبو حيان بمستطيع ان يسخر أدبه لارضاء كل تلك النزعات .

ليلى : من منطلق موقفه الفكري ، أليس كذلك ؟

الاب : من هذا ومن رأيه في رسالة الادب نفسها وفي مهام الادب وطبيعته .

ليلى : وما هو رأيه في ذلك يا ابتي ؟

الاب : انه يقول :

ـ انتقـــالة ـ

أبو حيان : « ان الكلام صلف تياه ، لا يستجيب لكل انسان ولا يصحب كل لسان . فلا تعشق اللفظ دون المعنى ولا تهو المعنى دون اللفظ ، وكن من أصحاب البلاغة والانشاء في جانب فان صناعتهم فيها اشياء

يؤاخذ بها غيرهم ـ ولست منهم ـ فلا تتشبه بهم ولا تجرعلىمثالهم ولا تنسج على منوالهم ولا تدخل في غمارهم واعرف قدرك تسلم والزم حدك تأمن » •

ـ موسيقى ـ

ليلى : رائع كان الرجل يا ابتي •

الاب : انه اديب الفلاسفة وفيلسوف الادباء وامام البلغاء ••• ولكن المؤسف انه مات مستترا ـ كما اخبرتك ـ يخشى بطش الوزير المهلبي ، وهو يجأر بالشكوى المريرة ويقول :

ـ انتقالة ـ

أبو حيان : « الى متى الكسيرة اليابسة والبقيلة الذاوية ،والقميص المرقع ، الى متى التأدم بالخبز والزيتون ؟!

لقد بح ـ والله ـ الحلق ، وتغير الخلق ••• الله • الله في امري •

الختـــام

ابو العلاء المعري

الاستاذ : « وكأنه يتم مادة بدأها قبلا »

... « وقد كان الرجل سيء الظن بنفسه . سيء الظن برأيه وهذه اية التواضع ومعرفة الانسان قدر نفسه وكان سيء الظن بالناس محبا لهم مع ذلك رفيقا بهم ، ينصحهم ما وجد الى نصحهم سبيلا ، يلين لهم حيناً ويعنف بهم احيانا . وهذه اية الفطنة وذكاء القلب والتعمق لحقائق الاشياء .

وكان يحب ان يقدم على الخير لانه الخير ، وان يحجم عن الشر لانه الشر . لم يكن يكره شيئا كما كان يكره انتظار الجزاء . كان عفيف النفس والخلق والرأي والعقل جميعا ومن اجل هذا لم يكن حلو الاثر في نفوس الذين يعرفونه ولا يألفونه ، ولم يكن عذب الصوت في آذان الذين يسمعون له دون ان يطيلوا الاستماع اليه . ولم يكن محبب النفس الى الذين يتصلون به فيرون منه هذه الخشونة التي تأتي من صراحة الخلق ، وهذه الغلظة التي تأتي من ايثاره للحق .

ـ موسيقى ـ

الاستاذ : ذلك كان رأي عميد الادب العربي الدكتور طه حسين في فيلسوف المعرة الذي قال عن نفسه :

اتمشى القوافي تحت غير لوائنا   ونحن على قوالها أمـراء

وما سلبتنا العز قط قبيلة — ولا بات منا فيهم اسراء
ولا سار في عرض السماوة بارق — وليس له من قومنا خفراء

- موسيقى -

يسمع صوت فتح باب - يدخل الاب .

الاب : اسعدت مساء يا ليلى .

ليلى : ومساؤك اسعد يا أبي ...

الاب : ها . ماذا كنت تفعلين ؟

ليلى : الحقيقة انني كنت اسمع الى محاضرة منقولة عن ابي العلاء المعرى .

الاب : « رهين المحبسين » .. اكرم به من فذ بين الخالدين

ليلى : وما معنى رهين المحبسين يا أبي ؟

الاب : انه عندما عاد من بغداد الى (معرة النعمان) فرض على نفسه العزلة عن الناس والانقطاع عن الدنيا والحرمان من متعها ولذاتها . وانت تعلمين انه كفيف البصر ولذلك سمي (رهين المحبسين)

ليلى : بالله عليك يا أبي . انني لا أعرف عنه الا القليل الذى سمعته . فهلا حدثتني عنه ؟

الاب : كان بودي ان تقرأي بعض ما كتب عنه وهو كثير لانه علم يجب ان تعرفيه . ان الدكتورة عائشة عبدالرحمن ..

ليلى : بنت الشاطىء ؟

الاب : نعم . بنت الشاطىء تصف يوم مولده فتقول :

صوت نسائي :

خرج الى الدنيا والشمس غاربة والنهار مدبر . وكانت ليلته الاولى على الارض من ليالي المحاق . ولولا مولده في بيت علم وفضل لطويت تلك الصفحة في غياب الزمن ، ولضاعت منا معالم الطفولة لذلك الوليد الذى قدر له ان يبهر الناس بعد حين ، ذلك انه حين ولد بمعرة النعمان ، من اعمال حلب في مغرب الشمس من يوم

الجمعة لثلاث بقين من ربيع الاول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة للهجرة ، لم يكن في حساب التاريخ ذلك الاديب الاكبر الموعود بالمجد ولا كان لاحد من أهل بلده ان يتكهن بان هذا الوليدسوف يغدو اشهر من ينسب الى معرة النعمان « فلا تذكر في كتب البلدان والرحلات والتاريخ الا مقترنة بأسمه ومعرفة به » •

ـ موسيقى ـ

ليلى : تعريف شامل ولا شك يا أبي هذا الذي ذكرته • ترى ، وماذا بعد عن حياته

الاب : المعروف عنه انه «احمدبن عبدالله بن‌سليمان»سليل بيت‌معرق بالفضل ، واباء كرام فيهم ميراث بني الساطع وعز تنوخ •

ليلى : من هؤلاء ؟

الاب : (تنوخ) قبيلة عربية اصيلة يتصل نسبها بيعرب بن قحطان جد العرب العاربة اما (بنو الساطع) فهم اعز بطون تنوخ والساطع هو (النعمان بن عدي) الذي قيل ان (معرة النعمان) تنسب اليه •

ونعلم من أخبار أبي العلاء ان والده كان معلمه الاول • وعنه روى الحديث وتلقى دروسه الاولى في علوم اللغة ، ومنه تلقى ميراثه الشعري •

انه يخاطبه في مرثيته له بقوله :

ابو العلاء

امولى القوافي كم أراك انقيادها لك الفصحاء العرب كالعجم اللكن

ـ موسيقى ـ

ليلى : ••• وهل ولد أبو العلاء أعمى يا أبي ؟

الاب : ابو العلاء يا أبنتي يقول في هذا :

صوت ابو العلاء :

« قضى علي وأنا ابن اربع ، لا أفرق بين البازل والرابع »

الاب : وتاريخ سيرته يقول انه اعتل في سنته الرابعة بعلة الجدري • فما أبل منها الا وقد شوهت وجهه بندوب لا برء منها • وذهبت ببصره مسدلة بينه وبين الدنيا حجابا كثيفا حالك السواد ، فما انجاب عنه حتى اخر العمر •

ليلى : مأساة موجعة •

الاب : ولقد اوجعته فعلا لاسيما في شطر حياته الاخير • لذلك اطال الحديث عن محنته وعن الظلام الذى لا ينجاب ،والليل الطويل الذى لا ينجلى ، بل وتمنى الموت اتقاء العمى فقال :

صوت ابو العلاء :

اذا طفئت في الثرى اعين فقد امنت من عمى او رمد

ـ موسيقى ـ

ليلى : موهوب مظلوم •• سبحان حكمتك يا رب •

الاب : بل وفذ نادر المثيل •• انه يقول عن نفسه :

ابو العلاء :

« ما سمعت شيئا الا حفظته ، وما حفظت شيئا ونسيته »

ـ ضربة موسيقية سريعة للانتقال ـ

« لي الشرف الذي يطأ الثريا مع الفضل الذي بهر العبادا
افل نوائب الايام وحدى اذا جمعت كتائبها احتشادا »

ـ ضربة اخرى ـ

« وأغدو ولو ان الصباح صوارم واسري ولو ان الظلام جحافل »

ـ ضربة ـ

« ووجدت نفس الحر تجعل كفه صفرا وتلزمه بما لا يلزم »

ـ موسيقى ـ

ليلى : اعظم به يا أبتي من عبقري . ترى هل عاش عمره كله في (معرة النعمان) رهين المحبسين ؟

الاب : بل سبقت فترة عزلته رحلة الى العراق كما اخبرتك تلك الرحلة التي كانت انعطافا بارزا في مجرى حياته ..

ـ نقلة موسيقية ـ

ابو العلاء : يترنم :

ألخواننا بـين الفرات وجلـق	يد الله لاخبرتكم بمحـال
انبئكم اني عـلى العهـد سـالم	ووجهي لما يبتذل بسؤال
وأنـي تيممت العراق لغـير مـا	تيممـه غيـلان عنـد بلال
فاصبحت محسودا بفضلي وحده	على بعد انصارى وقلة مالى

ـ يتنهد بألم واضح ـ

أبا محمد : قلت هذا قبل السفر الى العراق . أليس كذلك ؟

ابو العلاء : بلى يا أبا محمد

ابو محمد : وها انت بعد العودة من العراق تتنهد بحسرة وألم . فيم كان السفر يا أبا العلاء وفيم العودة ؟

ابو العلاء : وماذا تظن في الامر يا صاحبي ؟

ابو محمد : ما ظننت شيئا قط .. الا ان الذى قيل ويقال كثير .

ابو العلاء : مثل ماذا ؟

ابو محمد : عنـد السفر قيل انك ذهبت الى بغداد متظلما من أمير حلب بسبب غبن اصابك في وقف لك .

ابو العلاء : يا أبا محمد ، انت صديق صباي وقريب نفسي . والله لا اكتمك أمرا ولا احفظ عليك سرا . انني « احلف ما سافرت استكثر من النشب » . والله يحسن جزاء البغداديين ، فلقد وصفوني بمـا لا

استحق •• وعرضوا علي اموالهم عرض الجد ، فوجدوني غير جذل بالصفات ولا هش الى معروف الاقوام •

ابو محمد : هذا ما عرفته عنك وما قرأته في رسالتك الى خالك ابي القاسم

ابو العلاء : هل اطلعت عليها ؟ •• اتذكر انني قلت له فيها « انهم كلما عرضوا علي قضاء حاجة اعرضت عن تكليف المشقة ، لاني اعتقد حكمة « زهير » في قوله :

ومن لا يزل يستحمل الناس نفسه ولا يعفها يوما من الذل يسأم

ابو محمد : اذكر ذلك جيدا • وانت على عهدي بك لا تتكلف رفض العطاء والمنة تجملا وانما هي عادتك وطبيعتك •

ابو العلاء : ـ ضاحكا ـ وماذا قيل ايضا في أمر سفري ؟

ابو محمد : ذهب بعضهم الى انك ذهبت تستزيد من العلم وتستكثر من عدد شيوخك •

ابو العلاء : ولا ذاك يا أبا محمد • اما أطلعت على رسالتي الى خالي ابي القاسم في هذا الشأن ؟

ابو محمد : وهل كتبت له حول هذا ايضا ؟

ابو العلاء : نعم ، واكدت له انني « منذ فارقت العشرين من العمر ، ما حدثت نفسي باجتداء علم من عراقي ولا شامي ••وانصرفت وماء وجهي في سقاء غير سرب ، لم أرق منه قطرة في طلب ادب ولا مال •• وانما اصارحك ـ كما سبق ان صارحت خالي انني آثرت الاقامة بدار العلم حيث توجد دار الكتب هناك في بغداد •

ابو محمد : وهل حققت غايتك ؟

ابو العلاء : عندماوصلت الى بغداد واستقر بي المقام طلبت الكتب واجيب طلبي ورحت انصت الى قراءة القارىء واحفظ ما يقرأ علي • ثم حضرت خزانة الكتب التي بيد عبدالسلام البصري فلما عرضت علي اسماء الكتب لم استغرب شيئا منها سوى ديوان واحد استعرته ولقد سهوت

عن اعادته عند عودتي الى المعرة فأرسلته من هنا الى بغداد •

ابو محمد : وماذا عما جاء في الاخبار من ان البغداديين اعدوا لك امتحانا لاختبار فهمك وعلمك ؟

ابو العلاء : ذلك صحيح فأنهم فضلوا ان لا يكتفوا بشهادة اقليمية من المعرة او حلب • وقال قائلهم قد يكون الذى يبهر الناس هناك غير لافت ولا مثير في العاصمة الكبرى •

ابو محمد : وما هو امتحانهم لك ؟

ابو العلاء : في البدء احضروا لي دستور الخراج الذى في الديوان • وجعلوا يوردون علي ما فيه الى ان فرغوا • فأبتدأت وسردت عليهم كل ما اوردوه •

ابو محمد : لقد احببت العراق يا أبا العلاء • وحبك هو الذي دفعك لرحلتك الطويلة تلك ليس الا •

ابو العلاء : كيف لا يا ابا محمد ، ألست أنا القائل :

كلفنا بالعراق ونحن شرخ   فلم نلمم به الا كهولا
وردنا ماء دجلة خير ماء   وزرنا اشرف الشجر النخيلا
وابنا بالغليل وما اشتفينا   وغاية كل شيء ان يزولا

موسيقى

عودة الى حوار نادية وابيها

ليلى : تترنم بالبيت السابق

••• وابنا بالغليل وما اشتفينا   وغاية كل شيء ان يزولا

ولم لم يشتف يا ابتي من رحلته الى العراق ؟

الاب : لقد ذهب يا ابنتي كما علمت يحدوه طلب العلم في دور العلم • وهو وان لم يحض بالكثير الذى كان ينشده في هذا المضمار فقد لقى ما اذى نفسه وجرح مشاعره •

ليلى : مثل ماذا ؟

الاب : قيل انه عندما وصل الى بغداد اتفق ان يكون يوم وصوله في يوم موت الشريف الطاهر والد الشريفين الرضى والمرتضى وقد قصد مجلس العزاء وتخطى احدهم فاسمعه كلاما ينطوي على الاهانة فما كان من ابي العلاء الا ان رده ردا مسكتا • الا انه بعد ان ارتجل قصيدة رثاء فخمه عرفه الناس وسارع الشريفان الى اكرامه واحترامه •

ليلى : جاهل ولا شك بقدر الاب ومكانة الفكر ذلك الذي اهانه •

الاب : بل انه كان يجهل شخصه •• ولذلك غادر العراق • وعاد الى معرة النعمان وهو ينشد :

اودعكم يا اهل بغداد والحشا   على زفرات ماينين من المذع

وداع ضنى لم يستقل وانما   تحامل من بعد العثار على ظلع

وكان اختياري ان اموت لديكم   حميدا فما الفيت ذلك في الوسع

ليلى : وما فعل بعد العودة ؟

الاب : فرض على نفسه قرارا بالعزلة عن الناس والانقطاع عن الدنيا والحرمان من لذاتها فلزم بيته لا يبرحه ولبث في محبسه تسعا واربعين سنة •

ليلى : لبث في منزله تسعا واربعين سنة ••• هذا كثير !

الاب : هذا ما تؤكده اخباره ، ما خرج من المنزل الا مرة واحدة في شفاعة لاهل المعرة عندما حاصرها (أسد الدولة) وشرع في قتالها ورماها بالمنجنيق •

ليلى : وكيف قضى هذه المدة الطويلة ؟

الاب : العزلة اولا • ثم استجاب لالحاح طالبي علمه ففتح لهم بابه وصارت داره كعبة القصاد وسار اليه الطلبة من الافاق وكاتبه العلماء والحكماء وأهل الاقدار •

ليلى : رجل واسع المدى •

الاب : ذلك حق .. وما خلفه من تراث فخم مثل (رسالة الغفران وسقط الزند وضوء السقط وسجع الحمائم والجلي الجلي والرسالة السندية ورسالة العرض واصلاح المنطق ، وغيرها ، وغيرها كثير يؤكد مداه الواسع .

ليلى : وبعد يا ابي .. حدثني عنه الكثير فحديثه والله ممتع ومؤلم .

الاب : كتبه تغنيك يابنتي عن الحديث الطويل .. فلقد صمد الرجـــل للتجربة وسجلها حتى آخر العمر وعندما مات بعد ان بلغ أكثر من خمس وثمانين سنة أوصى أن يكتب على قبره (صوت مضخم) .

هذا جنـــاه ابي علي وما جنيت على أحـــــد

(مع موسيقـــى خلفيــــــة)

... واستراح المتعب . ونام بعد طول ارق وسهاد .. ورجع الصدى يردد في وحشة المقابر .

لعمـــري ما آسى اذا مـــا تحملـــت

عن الجسم روح كـــان يدعى لها ربعاً

وما أســـأل الاحيـــاء بعـدى زيادة

ثلاثـا لاينـاس الدفـــين ولا سبعـــا

(موسيقى الختام)

حسان بن ثابت

ـ جلسة الاب وابنته ليلى ـ

ليلى : (خطوات دخولها المكان) ... اسعدت مساء يا ابتي

الاب : ومساؤك اسعد يا ليلى

ليلى : جئتك يا ابتي اسألك عن امرا شكل عليَّ

الاب : وهل احب الى نفسي من تسهيل مهمة ابنتي العزيزة (يضحك)

ليلى : (ضاحكة) شكرا ابتي

الاب : تفضلي

ليلى : لقد اخترت لي أن اقرأ نماذج من الشعر والادب الاسلاميين بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك .

الاب : نعم

ليلى : وبدأت بشعر حسان بن ثابت

الاب : نعم البداية

ليلى : استمع يا ابتي الى هذه القصيدة له .. لقد اعجبتني كثيرا ... روحها الديني السامي وشعرها الجزل وموسيقاها العذبة .. ولكن ..

الاب : ولكن ماذا

ليلى : بعض معانيها لم استطع التوصل اليه

الاب : مثل ماذا ؟

ليلى : استمع اولا الى القصيدة ... يقول حسان :

ـ حسان :

شـهدت بـاذن الله ان محمـــدا
رسول الذي فوق السموات من علُ

وان اخا الاحقـاف اذ يعـذ لونــه
يقـوم بدين الله فيهـم فيعـدلُ

وان ابا يحيى ويحيى كلاهمـــا
لـه عمـل في دينـه متقبـلُ

وان الذي عـادى اليهود ابن مريم
رسول اتى من عند ذي العرش مرسل

وان الذي بالجـزع من بطن نخلـة
ومن دونها فل من الخـير معـزلُ

الاب : نعم ... لقد ذكر (صاحب الاغاني) عمن روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عندما سمع هذه القصيدة .. وانا اشهد معك ..

ليلى : ها ... ها ، وماذا عن معانيها الصعبة علي يا ابتي ... ان الشاعر ـ مثلا ـ يذكر (اخا الاحقاف) فمن هم ؟

الاب : الاحقـاق جمع (حقف) وهـو ما اعوج من الرمـل وهـو جبـل معـين الشـكل . امـا الاشـارة فـالى (هود) عليه السلام الذي ورد ذكره في الاية الكريمة (بسم الله الرحمن الرحيم : واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف ...)

ليلى : وابو يحيى ... ؟

الاب : هو زكريا عليه السلام ... اما كلمة الجزع التي وردت في قول الشاعر (وان الذي بالجزع من بطن نخلة) فهي قرية قرب الطائف .. وبطن نخلة موضع بين مكة والطائف .

ليلى : وما هو (الفل) في عجز البيت (ومن دونها فل من الخير معزل) .

الاب : الفل ، هو الذي لا خير عنده كالارض الفل وهي التي لا نبت فيها

... هذا ماورد في التعليقات التي على ديوان حسان المطبوع باوربا والذى اشرف على طبعه المستشرق الانكليزي (جيب) .

ليلى : الان وضح عندي القصد وفهمت شعر الشاعر .... وهو والحق يقال رائق صادق المشاعر .

الاب : كيف لا يا ابنتي وهو من اكابر الشعراء (المخضرمين) .

ليلى : تعني الذين عاشوا في الجاهلية والاسلام .

الاب : نعم

ليلى : انني قرأت فعلا انه كان شاعر الحضر في الجاهلية

الاب : نعم ، وتاريخه يذكر ان مولده كان قبل عام الفيل بثماني سنين

ليلى : عام الفيل هو العام الذي ولد فيه الرسول (ص ع) اليس كذلك ؟

الاب : نعم وقد كان قبل الهجرة بثلاث وخمسين سنة وشهرين وثمانيةايام.

ليلى : (مداعبة) ما هذه الدقة يا ابتي في حفظ التاريخ .

الاب : كيف لا يا ليلى ، وهو تاريخ مولد سيد الكائنـــات صلوات الله وسلامه عليه .

ليلى : هذا حق ... اقول يا ابتي ...

الاب : نعم

ليلى : اذا فالشاعر حسان بن ثابت كان فعلا شاعر الحضر في الجاهلية ؟

الاب : نعم ، فقد شب يقول الشعر حتى غدا كذلك ، وقد تكسب بشعره ، مدح ملوك العرب وانتجع المناذرة بالحيرة ومدح النعمان بن المنذر ، وانتجع الغساسنة بالشام واكثر من مدائحه في (جبلة بن الايهم) آخر ملوكهم .

ليلى : وبعدها ؟

الاب : وبعدها ، عندما جاء الاسلام صار شاعره ، ولذلك يقول أبوعبيدة :

ـ أن حسان فضل الشعراء بثلاث ، كان شاعر الانصار في الجاهلية ، وشاعر النبي (ص ع) في النبوة وشاعر اليمن كلها في الاسلام .

ليلى : انه اذا من المعمرين ؟

الاب : نعم ، فقد ذكر ان حسان بن ثابت بلغ المائة والعشرين ... ستين في الجاهلية ، وستين في الاسلام .

ليلى : وشعره يا ابتي ؟ ، ان قراءتي لقصيدته التي اسمعتك اياها تدل على انه من فحول الشعراء ، اليس كذلك .

الاب : تاريخ حسان يحدثنا بانه كان شاعرا مطبوعا على قول الشعر ويرتجله اذا دعا داعي القول ... اما عن اسلوبه فقد اتسم في الجاهلية بالرصانة وجزالة اللفظ وقد لان بعد الاسلام ونحا الى السهولة والرقة والسلاسة .

ليلى : مثل قصيدته التي قالها في يوم من أيام قومه في الجاهلية ، وكان للخزرج على الاوس ، ففخرت الخزرج بذلك وقال (قيس بن الخطيم الاوسي) قصيدة :

اجابه حسان عليها في الفخر مستطردا الى شيء من الحكم في نسيج متين ... يقول حسان :

ـ حسان :

لعمر ابيك الخير يا (شعث) مانبا
علي لساني في الخطوب ولا يدي

لساني وسيفي صارمان كلاهما
ويبلغ ما لا يبلغ السيف مذودي

وان أك ذا مال قليل أجد به
وان يهتصر عودي على الجهد يحمد

فلا المال ينسيني حيائي وعفتي
ولا واقعات الدهر يفللن مبردي

واني لمعط ما وجدت ، وقائل
لموقد ناري ليلة الريح : اوقد

... يتلاشى الانشاد مع صوت موسيقى ...

الاب : الى آخر هذه الرائعة الجزلة

ليلى : انها فعلا لكذلك ، ترى يا ابتي ... وما هو دوره كشاعر في الدعوة الاسلامية ؟

الاب : ذكر أبو الفرج الاصفهاني في الاغاني عمن قال ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « امرت عبدالله بن رواحة فقال واحسن وامرت كعب بن مالك فقال واحسن وامرت حسان بن ثابت فشفى واشتفى » .

وذكر ان (عائشة) رضي الله عنها قالت :

« سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان بن ثابت الشاعر :

« ان روح القدس لا يزال يؤيدك ماكافحت عن الله عز وجل وعن رسول الله (ص ع) .

ليلى : وهل تحضرك بعض نماذج شعره في الاسلام يا ابتي ؟

الاب : شعره في هذا المجال الرحب كثير ... ولقد حفظ ديوانه الروائع ... ومنها ـ مثلا :

قول حسان :

ـ حسان :

ان الذوائب من فهر واخوتهم
قد بينوا سنة للناس تتبع

يرضى بها كل من كانت سريرته
تقوى الاله وبالامر الذي شرعوا

قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم
أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

ان كان في النــاس سباقون بعدهــم
فكل سبق لادنى سبقهــم تبــع

اعفة ذكرت في الوحــي عفتهــم
لا يطمعــون ولا يزرى بهــم طمع

الاب : ... وفيها يقول ...

ـ حسان :

اكرم بقوم رســول الله قائدهـــم
اذا تفرقـــت الاهــواء والشـــيع

اهــدى لهــم مدحي قلب يؤازره
فيمــا اراد لســـان حائك صــنع

فانهم افضـــل الاحيـــاء كلهم
ان جد بالناس جد القــول او شمعوا

ليلى : او شمعوا ؟
الاب : نعم ، اي او هزلوا ... والمقصود انهم الافضل في كل المجالات
ليلى : شعر رائع في مدح الاسلام والمسلمين
الاب : حسان كما اخبرتك يا ابنتي شاعر النبي في زمن النبوة وصوت مسموع من الاصوات الشاعرة في الاسلام ، ولقد ظل كذلك حتى لقي وجه ربه .
ليلى : ومتى كانت وفاته ؟
الاب : توفي في زمن خلافة الخليفة الاموى (معاوية ابن ابي سفيان) سنة اربع وخمسين للهجرة .
ليلى : اقول يا ابتي ...
الاب : نعم
ليلى : ومثل ماذا بعد من نماذج شعر حسان الاسلامي

الاب : قلت لك هو كثير ... كثيرا جدا ، ومن نماذجه غير ما ذكرت في مدح الزبير بن العوام (رض) عندما مر بمجلس من اصحاب رسول الله (ص ع) وكان حسان ينشدهم من شعره وهم غير نشاط لما يسمعون منه .. فنبههم الزبير (رض) قائلا :

ـ مالي اراكم غير اذنين لما تسمعون ؟ ... فلقد كان يعرض لرسول الله (ص ع) فيحسن استماعه ويجزل عليه ثوابه ولا يشتغل عنه بشيء ... فقال حسان :

ـ حسان :

اقـام على عهـد النبي وهديـه
حواريـه والقول بالفعـل يعـدل

اقام عـلى منهاجـه وطريقـه
يوالي ولي الحـق والحق اعـدل

هـو الفارس المشهور والبطل الذي
يصول اذا ما كان يـوم محجـل

اذا كشفت عن ساقهـا الحرب حشها
بابيض سباق الى المـوت يرفـل

وان امـرءاً كـانت صـفية امـه
ومن اسـد في بيتهـا لمرفـل

له من رسـول الله قربى قريبـة
ومن نصـرة الاسلام مجد موثـل

موسيقى الختام

بَشّار بن بُرد

جلسة الاب وابنته ليلى

ليلى : اسعدت مساء يا ابتي

الاب : ومساؤك أسعد

ليلى : (متضاحكة) .. ومع كتاب ايضا ؟ ... هكذا دائما ؟ ...

الاب : هذه هوايتي المفضلة يا ليلى ـ كما تعلمين ـ والذي ارجوه ان تكون هوايتك القراءة انت ايضا .

ليلى : (تضحك) بالفعل هذا الذي بدأ يحصل ، فلقد صرت لا استغني عن المطالعة وهذا بالطبع بفضل توجيهك .

الاب : وهذا ما يثلج صدري .

ليلى : لمن تقرأ الان يا ابتي أو عن من ؟

الاب : اقرأ شعر بشار

ليلى : بشار ؟

الاب : نعم بشار بن برد الشاعر العلم الذي ترك آثار خطاه في دنيا الشعر بينة المعالم .. اما سمعت به يقول :

بشار بن برد :

« اذا كنت في كل الامـور معاتبـا

صديقك لم تلـق الذي لا تعاتبـه

فعش واحــدا اوصل اخاك فانــه
مقــارف ذنب مـرة ومجـانبه

اذا انت لم تشرب مرارا على القـذى
ظمئت ، وأي الناس تصفـو مشاربـه

ليلى : نعم يا أبتي فالواقع انني سمعت بهذه الابيات كثيرا في معرض الاستشهاد عند الحديث عن العلاقات الاجتماعية بين الافراد •

الاب : وهكذا هو دائما ، شاعر يستشهد بشعره في اغلب اغراض الشعر التي طرقها •

ليلى : اقول يا ابتي •••

الاب : نعم

ليلى : في اية فترة عاش بشار ؟

الاب : عاش في العراق زمن العباسين وملخص تاريخه انه ولد ضريرا بالبصرة وكان ابوه قد قدم اليها مع الاسرى الذين اسرهم (المهلب بن ابي صفرة) لما ولي خراسان عام (٧٠٢م) واعتقت بشار مولاته وكانت عربية من اشراف البصرة •

ليلى : وماذا عن حياته يا ابتي •

الاب : انه بالرغم من أعجمية اصله ـ كان يفخر بسلامة لفظة وجودة نظمه فيقول متحدثا عن نشأته •

بشار ـ

« ••• ومن أين يأتيني الخطأ وقد ولدت هنا ، ونشأت في حجور ثمانين شيخا من فصحاء بني عقيل ما فيهم احد يعرف كلمة من الخطأ • واما نساؤهم فأفصح منهم ، فمن اين اذا يأتيني الخطأ ؟

ليلى : وهل كان كذلك فعلا ؟

الاب : بالطبع ، لكنه كان يتصف بصفات جعلت الناس تتقيه فهو سليط اللسان عنيف الهجاء قاس في خصوماته •••

ليلى : هكذا ؟

الاب : نعم ، ولقد نحا بشعره نحو الاكتساب مدحا او تهديدا بالهجاء ...
بل انه كان يعلن بصراحة تجنيده فن الهجاء لغرض التكسب فيقول :
بشار ـ
« اني وجدت الهجاء المؤلم آخذ بضبع الشاعر من المديح الرائع ،
ومن اراد من الشعراء ان يكرم في دهر اللئام على المديـح فليستعد
للفقر والا فليبالغ في الهجاء ليخاف فيعطى » .

ليلى : (تضحك) وسيلة في التكسب غريبة

الاب : هكذا كان وظل على هذا النهج حتى مات ... يتسقط الاخطـاء
ويخاصم ويبلغ به الامر حد الاستهتار بالقيم .

ليلى : اذا كيف اشتهر يا ابتي بين الناس وكيف ذاع صيته وهو ما هو عليه.

الاب : لذلك أسباب عدة ، منها مكانة شعره على مستوى فن القريض فهو
يعتبر رأس الشعراء المولدين ففي شعره جزالة البدو ورقة الحضارة
كما انه ابدع ايما ابداع في فنون القريض .

ليلى : سبب مقنع ، فالاصالة تفرض وجودها دائما وفي كل الميادين .

الاب : هذا صحيح ، بالاضافة الى ان هجاء بشار كان لا يحمل مرارة الغل
وظلمة الحقد على الناس ، بل هو أقرب الى الفكاهة والدعابة المضحكة
التي تسلح بها ضد الناس حتى يأمن تندرهم عليه ولكي يحقق أغراضه
ومكاسبه (يضحك) .

ليلى : (تضحك)

الاب : روى عنه ان رجلا سأله عن منزل ذكره له فجعل يفهمه والرجل
لا يفهم ، فلما يئس منه بشار ـ وهو الاعمى ـ اخذ بيده وقام
يقوده الى المنزل الذي يبتغيه وهو ينشد .

بشار ـ

« اعمى يقـــود بصـيرا لا ابالكمـو

قد ضلّ من كانت العميان تهديــه »

ليلى : (تضحك) وماذا عن روائع فنه يا ابتي .

الاب : سبق ان اخبرتك انه ابدع في الكثير من فنون الشعر وجود ... انه يقول ـ مثلا ـ في الحكمة والحماسة ...

بشار ـ

اذا بلــغ الــرأى المشــورة فاستعن

برأي نصيـح أو نصيحـــة حــازم

ولا تجعل الشـورى عليـك غضاضـة

فــان الخـــوافي قـــوة للقـــوادم

وخـــل الهوينـا للضعيـــف ولا تكن

نؤوما فـــان الحـــزم ليـس بنائـــم

وحارب اذا لـم تعـــط الا ظلامـــة

شبا الحرب خـير من قبـــول المظالـم

ليلى : شعر رصين وأراء مدركة

الاب : كيف لا .. وهو في نموذج آخر من فنه يصور هواه ويسجل معاناته فيقول :

ـ بشار :

يا قوم اذني لبعـــض الحي عاشـــقة

والاذن تعشق قبل العـــين احيانـــا

قالوا : بمن لا ترى تهذى ! فقلت لهم

الاذن كالعـــين توفي القلب ما كانـــا

الاب : ويقول يصف حديث النساء (يضحك)

ـ بشار :

وحديث كأنه قطع الروض وفيه الصفراء والحمراء

ليلى : (تضحك)

الاب : والواقع ان بشار برغم ما عرف عنه يقف احيانا في طريق الحياة فيطرح العبث جانبا ويصطنع الجد ويتأمل تصاريف القدر فيأتي بشعر يزينه الوقار واعمال الفكر والخوف من العقاب .

ليلى : مثل ماذا من نماذج شعره في هذا المجال يا ابتي ؟

الاب : مثل قوله :

ـ بشار :

بدا لي ان الدهر يقدح في الصفا
وان بقائي ان حييت قليل

فعش خائفا للموت أو غير خائف
على كل نفس للحمام دليل

خليلك ما قدمت من عمل التقى
وليس لايام المنون خليل

ليلى : هذا شعر لطيف

الاب : بدون شك . الا انه بذات الوقت ـ نراه ينساق وراء هواه فيسف بشعره الى مستوى لا ينسجم ومستوى فنه . انه له ـ مثلا ـ قوله :

ـ بشار :

ربابة ربة البيت تصب الخل في الزيت
لها عشر دجاجات وديك حسن الصوت

ليلى : (تنفجر ضاحكة) ما هذا ؟ .. ايناسبه هذا المستوى في الشعر ؟

الاب : هكذا كان بشار ••• لابل انه لايبالي اذا لم يسعفه الوحي باتمام شعره بالفاظ ليست من العربية •

ليلى : ليست من العربية ؟! كيف ؟

الاب : لا بل وأضيف لك ان بعض الفاظه في شعره الذي أتى بالكلمات الغربية لا وجود لها في اللغات •

ليلى : هكذا اذا ؟!

الاب : انه استعمل مرة في احدى قصائده اسم (ابا مجلز) فسأله أحدهم ، ومن هو أبو مجلز هذا يا بشار ؟ فرد عليه بشار غاضبا بقول :

ـ بشار :

« وما حاجتك اليه ؟ الك عليه دين ؟ اتطالبه بطائلة ؟

••• هو رجل يتردد بيني وبين معارفي في رسائلي »

ليلى : (تنفجر ضاحكة)

الاب : (يضحك كذلك) رحمه الله ، فهو بالرغم من ذلك كله كان من المبدعين • ولقد تصرف كثيرا في فنون الشعر كما سلك في قوالب فنه طرقا لم تسلك من قبله ولم يأخذ شيئا من غيره •

ليلى : هذا بالرغم من فقدانه البصر ••• قابلية فذة بدون شك •

الاب : نعم بدون شك ، ولقد صور الرجل بتفنن ما تتركه حاستا السمع والشم من آثار في النفس •• وبالمناسبة ، فقد عزا المرحوم عباس محمود العقاد في كتابه (مراجعات في الادب والفنون) الى ان ذلك بسبب فقدان حاسة البصر •

ليلى : جائز أن يكون الامر كذلك •

الاب : لم لا •• والواقع ان الرجل وصف ـ وهو الاعمى ـ ما قد يعجز عنه البصير ••• انه يصف الحرب وهو لم يرها ولم يشارك فيها بقوله :

ـ بشار

• كأن مثار النقع فوق رؤوسنا

وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

بديع ••• بديع ••• هذا وصف جد بديع !

الاب : أرأيتِ ؟

ليلى : وهل عَمر طويلا يا أبتي ، هذا الشاعر الفنان ؟

الاب : لقد مات عام ١٦٧ للهجرة الموافق لعام ٧٨٣ الميلادي متأثرا بسياط الخليفة •

ليلى : ولماذا ضرب بالسياط ؟

الاب : قيل ان الخليفة المهدي نهاه عن ذكر النساء في شعره ، وقد حملته جرأته على هجاء الخليفة ووزيره يعقوب بن داود • فعمد الخليفة الى الانحدار الى البصرة وأمر باحضار بشار الى سفينته وحكم عليه بسبعين سوطا مات متأثرا بها ••• وقيل ان الذي أمر بقتله هو صالح بن داود والي البصرة وأخو الوزير يعقوب بن داود •

ليلى : مهما يكن الامر فقد مات قتيلا اذاً •

الاب : نعم ، مات هكذا وهو القائل عن نفسه :

ـ بشار :

قد عشت بين النَّدْمان والراح والمز (م)

هرِ في ظلٍّ مجلسٍ حسن

موسيقى الختام

النَابِغَةُ الذُبيَاني

ـ جلسة الاب وابنته ليلى ـ

ليلى : (وكأنها تتم حديثاً) ... الواقع يا أبتي ان لحفظ الشعر ومأثور الكلم الأثر الكبير في تكوين ملكة الاقناع والقابلية على أداء المعنى بأجود شكل وأحسن صورة .

الأب : بلا شك ... (ضاحكا) يبدو انك أعجبت بمتحدث من هذا النوع سمعته حديثاً .

ليلى : ... انها مُدرستي .

الأب : مُدرستك ؟

ليلى : نعم ، انت تعرف صديقتي (سناء) وكثيراً ما حدثتك عن خلافاتها مع الطالبات في المدرسة والصديقات خارجها .

الأب : ها ...ها.. نعم ، تذكرتها ... وهل علمت بأمرها المُدرسة

ليلى : نعم ، يبدو انها تعرف عنها الشيء الكثير، ولقد تحدثت معها طويلاً أمام الطالبات ناصحة واستشهدت خلال الحديث ببيت من الشعر هو الذي أعجبني وهو بيت القصيد في حديثي ... أنشدتها قول الشاعر ..

ولستَ بمُستَبقٍ أخاً لا تلمُّهُ
على شَعثٍ أي الرجالِ المهذَّبُ

الأب : ها ... ها ...

ليلى : أرأيت يا أبتي ... ما اروع المعنى وأجمل المبنى .

الأب : وكيف لا يكون الأمر كذلك يا ابنتي وهو لنابغة الشعر العربي النابغة الذبياني ؟!

ليلى : النابغة الذبياني ؟

الأب : نعم ... ذلكم الشاعر الذي حكم بين الشعراء في عكاظ وأشاد بشاعريته الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وفضله على الشعراء أجمعين .

ليلى : الى هذا الحد بلغت مكانته اذاً ؟!

الأب : نعم ... ذكر صاحب الأغاني ان عمر بن الخطاب (رض) تساءل: مَنْ أشعر الناس ؟ قالوا : أنت أعلم يا امير المؤمنين . قال (رض) مَنْ الذي يقول :

حلفتُ فلم أتركْ لنفسك ريبةً

وليس وراءَ اللهِ للمرءِ مَذْهَبُ

لئن كنتَ قد بُلغتَ عني خيانةً

لمبلِغُك الواشي أغشُ وأكْذَبُ

ولست بمُستبقٍ أخاً لا تلمهُ

ليلى : ـ مكملة ـ

على شَعَثٍ أي الرجالِ المهذبُ

الأب ... فقالوا له (رض) النابغة ... فقال : فهو أشعر العرب .

ليلى : هكذا .

الأب : نعم ... وفي رواية أخرى رواها الاصبهاني صاحب الأغاني أيضا عمن روى أن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) سأل وفد (غطفان) قائلا يا معشر غطفان أي شعرائكم الذي يقول :

فانك كالليل الذي هو مدركي

وإن خلتُ ان المنتأى عنك واسعُ

خطاطيف حُجنٌ في حبالٍ متينةٍ

تمدُّ بها أيدٍ اليك نوازع

ليلى : وهذا للنابغة أيضا ؟

الأب : نعم ... وقد قالوا له ذلك فقال : فأيكم الذي يقول :

لى أبن مُحرّقٍ أعملتُ نفسي

وراحلتي وقد هدت العيونُ

أتيتك عارياً خلقاً ثيابي

على خوفٍ تُظنُّ بيَ الظنونُ

فالفيتُ الأمانةَ لم تخنْها

كذلك كان نوحٌ لا يخون

قالوا النابغة يا امير المؤمنين فقال (رض) هذا أشعر شعرائكم .

ليلى : اذا كانت مكانته مرموقة بين الشعراء ومحبي الشعر .

الأب : كيف لا ...

ليلى : قلت لي يا ابتي انه كان حكم الشعر فيسوق عكاظ في بدءالحديث.

الأب : نعم . فقد ذُكر في ترجمة حياته ان خيمة كانت تضرب لهبسوق عكاظ ، فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها .... ويذكران أول من أنشده الأعشى ثم حسان بن ثابت ثم انشدته الشعراء وجاء دور الخنساء فأنشدته :

ـ صوت نسائي :

وان صخراً لتأتمُّ الهُداةُ بـه

كأنه علمٌ في رأسـه نـار

فقال النابغة :

«والله لولا أن أبا بصير أنشدني انفاً لقلت انكِ أشعر الجن والأنس»

فأنتفض حسان وقام وقال له : لأنا أشعر منكَ ومن أبيك .

فقال له النابغة :

« يا ابن أخي ، أنت لا تحسن آن تقول :

فانك كالليل الذي هو مُدركي

وان خلتُ أن المنتأى عنك واسع

الأب : ـمتمماـ الشعر الذي سبق ان انشدته لكِ ...ويُذكر ان حسان لما سمع منه ذلك تراجع وتنحى .

ليلى : يبدو اذاً انه كان يملك قابلية النقد بالاضافة الى مواهبه كشاعر ، والا لما ارتضاه الشعراء حكماً بينهم .

الأب : من الطبيعي ان الذي يتصدر للتحكيم في امثال هذه المواقف يجب أن يكون بصيرا بلغة العرب ملما بشعرها عارفا مواطن الاجادة ملتفتا الى الهفوات والعيوب .

ليلى : وقد كان كذلك بدون شك .

الأب : بدون شك . فلقد تهيأت له وسائل النقد والألمام بأصوله واجادته في معناه الواسع في ذلك العصر .

ليلى : وماذا عن نشأته وحياته يا ابتي ؟

الأب : نشأ في قبيلة ذبيان ولم يسجل تاريخه شيئا عن نشأته الاولى . الا ان المعروف عنه انه كان داهية طموحا ، فرض على قبيلته اصالة رأيه وسداد تفكيره وكان له شأن كبير في حرب (داحس والغبراء) بين قبيلته وقبيلة عبس .

ليلى : شارك في الحرب ؟

الأب : لا ، لم يكن موقفه موقف الشاعر المحارب كعنترة مثلا ولا المنفر من الحرب وويلاتها كزهير بن ابي سُلمى في هذه الحرب لكنه قام بما فرضته عليه مصلحة قبيلته وسياستها كمدح أحلافها ومهاجمة اعدائها من بني عامر .

ليلى : ها ... ها ...

الأب : أما عن حياته فعلى مستوى الشعر ـ كما اخبرتك ـ حظي بمكانة عالية وكثيرا ما فُضل على صاحبيه الكبيرين « امرىء القيس وزهير ابن أبي سُلمى » .

ليلى : وعلى مستوى الحياة العامة يا أبتي ؟

الأب : نتيجة صلته الوثيقة بملوك المناذرة والغساسنة وعيشه المترف الذي حققته له هذه الصلة تهيأت للنابغة حياة خاصة قلما حظي بمثلها غيره من الشعراء .

ليلى : وهل أثرت هذه الحياة المترفة في شعره ؟

الأب : بدون شك

ليلى : كيف يا ابتي ؟

الأب : لقد جاء شعره مطبوعا ، واسع الخيـــال ، عذب الموسيقى ، انيق الصياغة ، معنى بتهذيبه عناية لم تخرجه الى الصنعة والتكلف ... حتى لقد قال عنه (ابن سلام) :

ـ صوت :

« انه اكثر الناس رونق كلام واجزلهم بيتا ، كأن شعره كلام ليس فيه تكلف » .

ليلى : بديع ... وهل اشتهر بلون من الوان الشعر أم أنه نبغ فيها جميعها ؟

الأب : الواقع انه كان من الفحول في ميدان الشعر كله ،الا انه اشتهر بالاعتذار وانفرد بأجادته اجادة لم يزاحمه شاعر عربي عليها .

ليلى : ولماذا اهتم بهذا اللون من الشعر ؟

الأب : كان دافعه غضب النعمان بن المنذر عليه وتوعده اياه .

ليلى : ولماذا غضب عليه النعمان ؟

الأب : الظاهر ان منزلته المرموقة لدى النعمان ، أثارت حساده فسعوا به اليه ولفقوا تهما اختلف الرواة فيها . فمنهم من قال أن (المنخَّل اليشكري) الشاعر حسده على مكانته وحقد عليه لتعرضه الى وصف

(المتجردة) امرأة النعمان والتي كان المنخّل يهواها فأوغر صدر النعمان عليه بعد ان وضع ابياتا دسها في قصيدة النابغة .

ليلى : هكذا ؟!

الأب : نعم ، وقيل غير هذا ، فقد ذُكر ان بعض الوشاة كتبوا على لسان النابغة هجاء مقذعاً في النعمان واوصلوا الشعر اليه . ومنهم من قال ان الوشاة أخبروا النعمان ان النابغة لا يكنُ له اخلاصا وهو يترفع عن مدحه لأنه لا يراهُ اهلا للمديح .

ليلى : والى هذا الحد تفنن حساده في الانتقام منه ؟

الأب : نعم ، ولذلك أراد النعمان قتله ،ولذلك ايضا تفنن النابغةفيالاعتذار ... انه يقولللنعمان — مثلا — بعد هذا كله ...

— النابغـة :

لئن كنتَ قد بُلغتَ عني خيانةً
لمبلغكَ الواشي أغشُ وأكــذبُ
ولكنني كنتُ امرءاً لي جانبٌ
من الارض فيه مستراد ومذهب
ملــوكٌ واخـوانٌ اذا ما أتيتُهم
أُحكَمُ في أمــوالهم وأُقرَّبُ

الأب : ألاحظت ؟ ... انه يذكر انه مدح الغساسنة لانهـم أكـرموه وحكمّوه في اموالهم وقربوه وآخوه فشكرهم واجـب لا يشير الى خيانة النعمان كما زين الوشاةُ لهُ .

ليلى : ولماذا كل هذا الألحاف في الاعتذار من النعمان بن المنذر يا ابتي ؟

الأب : قال بعضهم انه كان يخاف بطشه وان كان في مأمن منه في ظل ملوك الغساسنة الذين التجأ اليهم وقالوا كان ذلك طمعا منه في نوع من الابل الممتازة كان يملكها في مملكة النعمان وقالوا غير هذا وذاك...

ليلى : وماذا ترى أنت يا أبتي ؟

الأب : قد يكون الامر بسبب ما ذكروا ولكن السبب الأهم كما ارى حرصه على صلته باعتباره لم يكن ممن يتكسب بشعره أو يتزلف بمدحه ، بل كان اتصال سري من سراة ذبيان له رأيه وله مكانته وله صوته الذي لا يقتصر على ذبيان انما يتردد في احياء العرب فيسمعونه ويقدرونه .

ليلى : وموقف النعمان منه ؟ .. ألم يكن ـ هو بدوره ـ يقدر واقع مكانته ويحسب حسابها ؟

الأب : بالطبع ...كان يدرك هذا كله فرضي عنه بعد ان الح في الاعتذار واعاد اليه مكانته كما كانت من قبل ولكن الاقدار لم تمهله طويلا على هذه الحالة فقد قتل النعمان عام (٦٠٢) للميلاد من قبل كسرى فعاد النابغة الى قبيلته .

ليلى : هكذا ؟... بعد كل تلك الجهود في استرضائه .

الأب : نعم ... لكن الواقع ان ما حصل بينه وبين النعمان اغنى الشعر العربي بالعديد من الروائع ، ولذلك ظلت الاجيال المتعاقبة تردد شعره كنماذج رائعة في الحكمة والاعتذار والمثل السائر ... فهو القائل مثلا :

ـ النابغة :

كلفتني ذنبَ امرىءٍ وتركته

كذي العُرِّ يُكوى غيرهُ وهو راتعُ

الأب : والقائل ...

ـ النابغة :

واليأسُ مما فاتَ يَعقبُ راحةً

ولرُبَّ مَطْعَمةٍ تعود ذباحا

الأب : والقائل ...

ـ النابغـة :

ولستُ بذاخرٍ لغدٍ طعـاماً حِذارَ غدٍ لكل غدٍ طعامُ

تمخضت المنونُ لـه بيـومٍ أنى ، ولكلِّ حاملةٍ تمـامُ

... يتلاشى صوته مع موسيقى الختام

جميل بن معمر

ليلى ـ الاب

ـ في جلسة سمر ـ

ـ يسمع فتح وغلق باب ـ ثم خطوات

الاب : ••• ما شاء الله •• ما شاء الله ••• اكل هذا الانصراف للمطالعة والتتبع ، بورك فيك يا ليلى •

ليلى : شكرا يا ابتي ، ولكنك لم تسألني ماذا اقرأ ؟

الاب : الذي يهمني انك تواصلين التتبع ، وعهدي بك تحسنين الاختيار ••• ها ، ؟ ، ماذا ؟ •• جميل بن معمر ؟

ليلى : لقد اعجبني شعره يا ابتي •

الاب : ومن لا يعجبه شعر شاعر العذريين الاول ؟

(يردد مع نفسه)

واني لأرضى من بثينة بالذى	لو ابصره الواشي لقرت بلابله
بلا وبألا استطيع وبالمنى	وبالامل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى اذ الحول ينقضي	أواخره لا تلتقي واوائله

ليلى : ما هذا الذى تردده يا ابتي ؟

الاب : هذا بعض شعره يا ابنتي

ليلى : لقد وصفته بـ (شاعر العذريين الاول)

الاب : فالمعروف يا ابنتي ان (عذرة) التي ينسب اليها هذا اللون من الحب

ـ اعني الحب العذري ـ قبيلـة كانت لها اعمال مجيدة في أيـام العرب وكان رجالها من ابرز الفصحاء واشتهر عشاقهـا بالموت في سبيل حبيباتهم ولذلك يقول قائلهم ...

صوت :

« في نسائنا صباحة وفي فتياننا عفة »

ليلى : ومتى نشأ هؤلاء الشعراء العذريون يا ابتي ؟

الاب : المعروف ـ تاريخيا ـ ان هؤلاء الشعراء نشأوا في صدر الاسلام وقت توالي الفتوحات وكثرة الخيرات وأموال الفيء ، لكنهم عاشوا في البوادي وعزفوا عما كان زملاؤهم الشعراء غارقين فيه من فنـون المدح والهجاء والمجون ، فقد نزهوا شعرهم عن كل الفنون التي يستجدي بها الشعراء النفع .

ليلى : هكذا ؟

الاب : هذا ما عرف عنهم ، والتاريخ يذكر انه بينما كان عمر بن ابي ربيعة المعروف بشاعر الغزل سادرا في غيه يطلع على الناس كل يوم بحب جديد ، كان ابن معمر عاكفا على حبه يقدس محبوبته ويتصوف بذكرها .

ليلى : تـرى ، يا ابتي ، هل استعد هؤلاء الشعراء واضرابهم لممارسـة فنون الشعر ام انهم ترجموا عواطفهم فحسب ؟

الاب : يذكر صـاحب (الاغاني) عن هـذا الموضوع « ان جميل بن معمر كان راوية هُدبة بن خشرم ، وكان هدبة شاعرا راويـة للحطيئة ، وكان الحطيئة شاعرا راوية لزهير » .

ليلى : هكذا ؟ ... هذا جيد

الاب : كيف لا ، انه يعني ان جميل بن معمر تخرج في مدرسة شعرية مشهورة التاريخ في قوة الاسلوب والحرص على المعاني الى جانب استعداده الفطري وشاعريته الرقيقة ،ونفس حساسة ، ووجـدان مرهف ، وحب قضى دهره في الترنم بمزاميره .

ليلى : وهل بقي صادق الوعد لبثينة ؟

الاب : طبعا ، أليس هو القائل !

جميل ـ

حلفت لكيما تعلميني صادقا ... وللصدق خير في الامور وانجح

لرؤية يوم واحد من بثينة ... ألذ من الدنيا لدي وأملح

ليلى : شعر بديع

الاب : ... لقد احب جميل بثينة حبا ملك عليه نفسه ولذلك جاء شعره في حبه الكبير بشكل بالغ الروعة . انه يقول :

جميل ـ

ولباطل ممن أحب حديثه ... أشهى الي من البغيض الباذل

صادت فؤادي يا بثين حبالكم ... يوم الحجون وأخطأتك حبائلي

منيتني فلويت ما منيتني ... وجعلت عاجل ماوعدت كآجل

وتثاقلت لما رأت كلفي بها ... أحبب الي بذاك من متثاقل

واطعت في عواذلا فهجرتني ... وعصيت فيك وقد جهدن عواذلي

ويقلن انك يا بثين بخيلة ... نفسي فداؤك من ضنين باخل

ليلى : الشعر جميل ولا شك ... ولكن ...

الاب : ولكن ماذا يا ليلى ؟

ليلى : اقول يا ابتي ان شعر الغزل هذا نوع من الشعر ينحو نحوا خاصا قد لا يستسيغه الجميع .

الاب : حسنا فعلت اذ تطرقت الى هذا الموضوع . اود يا ابنتي ان اوضح لك أمرا مادمت قد اتجهت في قراءاتك للادب والشعر .

ليلى : ما هو يا ابتي

الاب : الذي اريد ان اوضحه هو المفهوم الذى يكتنف شعر الغزل . فالغزل اذا كان عفا متساميا يترفع عن الدون وينتهج الخلق الكريم فهو من فنون الشعر الجميلة العطاء .

اما اذا جنح الشاعر عن ذلك كله ، وارتضى لنفسه الخروج على القيم الكريمة فما ذلك بالغزل قط . والبون جد شاسع بين الغزل والمجون .

ليلى : رأى مقبول يا ابتي .

الاب : وهو ما اريد منك ان تضعيه موضع الاعتبار عند دراستك للتراث الادبي والادب المعاصر كذلك .

ليلى : هذا ما اعدك به .

الاب : شكرا لك يا (ليلى) العزيزة .

ـ يضحكان ـ

فاصل موسيقى قصير ـ

الاب : ها ... ماذا ؟ اراك عدت الى عاشق بثينة مرة اخرى

ليلى : إنني اقرأ يا ابي مقاطع من شعره .. لكأنه قد ادرك مصيره فكتب هذا الذى أقرأه

الاب : ماذا ؟ اسمعيني

ليلى : انه يقول :

جميل ـ

أعوذ بك اللهم ان تشحط النوى بثينة في أدنى حياتي ولا حشري

وجاور اذا ما مت بيني وبينها فيا حبذا موتي اذا جاورت قبري

الاب : أألى هذا الحد ؟! مسكين ، لقد وقف حياته في سبيل حبه

ليلى : يبدو انه لكذلك

الاب : لا بالفعل هو كذلك ، اليس هو القائل !

ـ جلسة الأب مع ليلى ـ

يقولون جاهد يا جميل بغزوة واى جهاد غيرهن اريد

لكل حديث عندهن بشاشة وكل قتيل بينهن شهيد

(يضحكان)

ليلى : يقول دارسه الذى اقرأ كتابه الان انه كان من شعراء الموسيقى

الاب : ان شعره الذي غنته الاصوات الطروبة يشهد بذلك بشكل قاطع • وبثينة التي احبها واقترنت بسواه كانت وحي الهامه الشعري وحبه العذري • وقد ظل كذلك حتى صدر امر السلطان باهدار دمه •

ليلى : (باستغراب) اهدار دمه ؟!

الاب : هذا ما حصل

ليلى : وهل قتله ؟

الاب : لا • وانما سافر الى اليمن مرة والى الشام اخرى • وظل دائما محل سخط قومه وقومها فهم معاتبوه ولائموه على هيامه بأمرأة تعيش في كنف غيره

ليلى : ترى ، وماذا فعل ازاء ذلك كله

الاب : التاريخ يحدثنا ان جميل بن معمر كان يعلم سوء ما صار اليه ، لكنه كان لا يملك من أمر قلبه شيئا • ولقد تعذب الرجل من اجل ذلك القلب الصادق الصبابة ، حتى اذا ما ضاقت عليه الارض بما رحبت سافر الى مصر وهو مشفق من فراق بثينة •

جميل –

انى لاحفظ غيبكم ويسرني ... اذ تذكرين بصالح ان تذكرى

ويكون يوم لا ارى لك مرسلا ... او نلتقي فيه على كاشهر

يا ليتني القى المنية بغتة ... ان كان يوم لقائكم لم يُقدر

او استطيع تجلدا عن ذكركم ... فيفيق بعض صبابتي وتفكري

لا تحسبي اني هجرتك طائعا ... حدث لعمرك رائع ان تهجرى

يهواك ما عشت الفؤاد فأن أمت ... يتبع صداى صداك بين الأقبر

ليلى : انه رائع التعبير عما يجيش بنفسه ••• ترى ، هل ظل مقيما على حبه ؟

الاب : تاريخه يؤكد ذلك

ليلى : نموذج تاريخي فذ في هذا المضمار

الاب : بدون شك • ولقـــد ظل كذلك حتى وافاه الاجل عام (٨٢) هـ الموافق (٧٠١) للميلاد في مصر التي لجأ اليها يطلب العون من واليها (عبدالعزيز بن مروان) الذي منحه الحماية واكرمه ••• الا ان مقامه في هذه الدنيا لم يدم طويلا فقد سقط صريع هواه • وعندما أبلغ الناعي بثينة بالحجاز ان أسمها كان آخر ما هتف به عندموته، لطمت وجهها وهي تقول :

صوت نسائي :

وان سلّوى عن جميل لساعـة من الدهر لاحانت ولا حان حينها

سواء علينا يا جميل بن معمر اذا مت بأساء الحياة ولينهـــا

موسيقى الختام

كُثَيِّر عَزَّة

ـ حديث الاب وابنته ليلى ـ

ليلى : (وكأنها تحاول اتمام حديث سبق) ••• نعم يا أبتي ، قلت أن الشعراء العذريين هم من غير طبقة الشعراء الآخرين ••

الاب : نعم ، ولذلك نراهم قد انشغلوا بحبهم المنزه ووجدهم العفيف بينما كان الشعراء من معاصريهم يغرقون أنفسهم في فنون المدح والهجاء واللهو والمجون •

ليلى : هذا جميل •••• ترى يا أبتي ••

الاب : نعم •

ليلى : وهل عد هؤلاء كثرة كاثرة في تاريخ الشعر ؟

الاب : لا • أنهم ليسوا كثرة كاثرة في تاريخ الشعر على أية حال ، الا أن منهم الاعلام الخفاقة مثل قيس بن ذريح وعروة بن حزام وقيس بن الملوح وجميل بن معمر ••• وغيرهم ••

ليلى : وشاعر اليوم ، أهو من ذات القافلة ؟ ••• أعني من الشعراء العذريين؟

الاب : هو منهم في كل شيء الا في سمة واحدة •

ليلى : سمة واحدة ؟••• ما هي ؟

الاب : انه الوحيد من بينهم الذى مدح الامراء ونال صلاتهم •

ليلى : ولماذا يا أبتي ؟

الاب : لقد برر له دارسوه موقفه هذا بحاجته الماسة لا سيما وقد سكن الحاضرة ولم تقتصر اقامته ـ كغيره ـ على البوادي • وحياة الحضر

تتطلب ما تتطلبه من التكاليف ولم يعرف عنه أنه كان من ذوي الثراء .

ليلى : يبدو لي انه تعليل مقبول بالنسبة لظروف الحياة واعتباراتها يومذاك .

الاب : فعلا . فلحياة الشعراء في ذلك الوقت اعتبارات خاصة .

ليلى : أقول يا أبتي ...

الاب : نعم ...

ليلى : هل عاصر كثير جميلا ؟

الاب : لقد كان رواية له .... كما اقتفى أثره في الشعر العذرى وترسم منهج مدرسته الشعرية وظل يحمل لواءها حتى وافاه أجله .

ليلى : اذاً لقد كانا على علاقة ؟

الاب : طبعا .... بل أكثر من هذا ان كثيرا نازع استاذه (جميل بن معمر) على زعامة الشعر في عصرهما .

ليلى : هكذا ؟

الاب : نعم . لكنهما مع ذلك ـ كانا يرعيان حق الاخاء ، ويثني كل منهما على صاحبه ..

ليلى : هذا لطيف .

الاب : بلا شك .... وبالمناسبة أذكر لك أني قرأت في (الاغاني) كتاب (الاصبهاني) المشهور ، ان جميلا وكثيرا التقيا فتذاكرا النسيب ، فقال كثير :

ـ يا جميل ، أترى (بثينة) لم تسمع بقولك :

يقيك جميل كل سوء أماله
لديك حديث أو اليك رسول

وقد قلت في حبي لكم وصبابتي
محاسن شعر ذكرهن يطول

فان لم يكن قولي رضاك فعلمي

هبوب الصبا يا بثن كيف أقول

فما غاب عن عيني خيالك لحظة

ولا زال عنها والخيال يزول

الاب : فقال جميل :

ـ أترى عزة يا كثير لم تسمع بقولك :

يقول العدا يا عز قد حال دونكم

شجاع على ظهر الطريق مصمم

فقلت لها : والله لو كان دونكم

جهنم ما راعت فؤادي جهنم

وكيف يروع القلب يا عز رائع

ووجهك في الظلماء للسفر معلم

وما ظلمتك النفس يا عز في الهوى

فلا تنقمي حبي فما فيه منقم

. . . . ـ موسيقى ـ

الاب : ويضيف (أبو الفرج) صاحب (الاغاني) انهما ، جميل وكثير ، بكيا سوية ثم انصرفا

ليلى : بكيا سوية ؟ ... مساكين

الاب : ليس هذا بمستغرب يا ليلى ، فللحس المرهف والوجد المقيم احكام .

ليلى : قد يكون الامر كذلك يا أبتي

الاب : بل هو كذلك فعلا .

ليلى : يبدو ـ يا أبتي ـ مما سمعته الان ان كثيرا كان من الشعراء المبرزين .

الاب : كيف لا ؟ ... بل لقد اجمع الرواة أنه كان أشعر الناس في العصر الاموي .

ليلى : هكذا ؟ ... اذا هو من أعلام عصره ؟.

الاب : بدون شك . حتى لقد قيل انه سأل يوما الخليفة عبدالملك : كيف ترى شعري يا أمير المؤمنين ؟... فقال له الخليفة : أراه يسبق السحر ويغلب الشعر .

ليلى : بديع ....

الاب : الواقع ان الخليفة لم يتجاوز في وصفه واقع شعر كثير ، ذلك الشعر الذى امتاز بالصياغة الجميلة التي يتأنق فيها ويزيد في صقلها بشكل رائع ... أليس هو القائل :

ـ كثير :

تمنيتها حتى اذا ما رأيتها	رأيت المنايا شرعا قد أظلت
وما أنا بالداعي لعزة بالجوى	ولا شامت ان نعل عزة زلت
فلا يحسب الواشون ان اصابتي	بعزة كانت غمرة فتجلت

الاب : أسمعت ؟

ليلى : شعر رائع

الاب : هذا ـ في الواقع ـ جانب من فن الرجل المتعدد الجوانب المبدعة .. الا أن المعروف عنه أن الذى أثر في شعره ما أنطبع في نفسه من جراء بعض صفاته الجسمانية ، الامر الذي خلق عنده ما يشبه العقدة النفسية تجاه ذلك كله .

ليلى : كيف يا أبتي ؟

الاب : لقد كان كثير قصيرا كريم العين الامر الذى لم يجعله أهلا للمصاولات الجسمانية والمنافسات الغرامية لا سيما في عهد كعهده برز فيه (جميل بثينة) وعمر ابن أبي ربيعة وغيرهما ممن اشتهروا بصباحة الوجوه وجمال الاجسام .

ليلى : ها .... هذا هو الموضوع اذا ...

الاب : نعم . وهذا الامر بالذات هو الذى جعل نقاده يذهبون الى انه هو

السبب الذي جعل الشاعر يعتنق المبدأ القائل بافضلية الروح على الجسد ، وبأن الاخلاق هي ما يزين الرجال لا الاجسام .. ولذلك يقول :

ـ كثير :

ترى الرجل النحيف فتزدريه	وفي أثوابه أسد هصور
ويعجبك الطرير فتبتليه	فيخلف ظنك الرجل الطرير
بغاث الطير أطولها رقابا	ولم تطل البزاة ولا الصقور
خشاش الطير أكثرها فراخا	وام الصقر مقلاة نزور
ضعاف الاسد أكثرها زئيرا	واصرمها اللواتي لا تزير
وقد عظم البعير بغير لب	فلم يستغن بالعظم البعير
ينوخ ثم يضرب بالهراوى	فلا عرف لديه ولا نكير
يقوّده الصبي بكل ارض	وينحره على الترب الصغير
فما عظم الرجال لهم بزين	ولكن زينهم كرم وخير

ليلى : (تضحك) .... منطق سليم

الاب : وهل مثل كثير من يعدمه المنطق السليم والحجة القوية .

ليلى : ترى يا ابتي هل تسلطت عليه هذه العقدة وشغلته ام انه تمكن منها وسلك دروب الحياة ؟

الاب : الواقع الذى عرف عنه انها لم تتمكن منه الا انها كما قلت ـ كان لها بعض الاثر عليه .. اما عن مسألة سلوكه دروب الحياة فماذا تظنين عنده غير حياة الوجد والصبابة والعشق المقيم ؟

ليلى : ولكن بعذريته التي عرفت عنه اليس كذلك ؟

الاب : هذا ما لاشك فيه ـ فلقد حافظ على عذريته في الحب كما تمسك بروح الفطرة الامر الذى جعله يستوحي شعره من ابسط المعاني ويجريه مجرى الكلام المرسل . انه يقول مثلا ـ في قصيدة عتاب :

ـ كثير ..

لقد كذب الواشون مابحت عندهم	بليلى ولا راسلتهم برسـيل
فلا تعجلي يا ليل أن تتفهمـي	بنصح أتى الواشون أم بخبول
فان طبت نفسا بالعطاء فاجزلي	وخير العطا يا ليل كل جزيل
وان تبذلي لي منك يوما مودة	فقدما تخذت القرض عند بدول
وان تبخلي يا ليل مني فانني	موكلة نفسـي بكل نحيـل

ليـلى : انه فعلا عتاب رقيق ....

الاب : هي معاناة الشاعر الحساس ...وهو بذات الروح الشاعرة ، يتحدث عن علاقته بفاتنته فيقول :

ـ كثير ..

ندمت عـلى ما فاتني يـوم بنتم	فيا حسـرتا ألا يرين عويلي
أقيمي فان الغور يا عز بعدكـم	الي اذا ما بنت غير جميـل
كفى حزنا للعين ان رد طرفهـا	لعـزة عـير أذنت برحيـل
توليت محزونـا وقلت لصـاحبي	أقاتلتي ليـلى بغـير قتيـل

ليـلى : كما ذهبت يا ابتي .... انه عذاب الشعراء المرهفين بعينه ..

الاب : كيف لا ؟ فما يكابده قلب الشاعر ينعكس على قصيدة .. وهذا هو عندي سبب تفوق كثير في النسيب وابداعه فيه .

ليلى : وماذا عنه بعد ذلك يا أبتي .

الاب : تأريخه يذكر انه سعد بما لمسه من صدق مشاعر عزة نحوه ...

ليلى : هكذا ؟!

الاب : المقصود طبعا انه ظفر بكلفها به كما كلف بها ... فهي كانت امرأة متزوجة وما كان كثير بعد زواجها يطمح بأكثر من تبادل للحب العذري بمفهومه المتسامي العفيف ... ان ذلك يرضيه كل

الرضا وان شط بينهما المزار ... ولذلك سجل في شعره ان زوج عزة كان يرغمها على شتمه .

ليلى : (متسائلة) شتم كثير ؟

الاب : نعم ... وكانت تبكي ... ان كثيرا يقول في هذا ...

ـ كثير ..

يكلفها الغيران شتمي وما بها   هواني ولكن للمليك استذلت

ليلى : ها ... ها ...

الاب : وهكذا ظل يخلص لها الحب ويتفانى فيه ويقول لمن لامه في حبه وقصره شعره عليها .

ـ كثير ..

« ... لقد سار بها شعري ، وطار بها ذكرى وقرب بها من الخلفاء مجلسي ... وانها لكما قلت فيها :

فأقسمت لا أنساك ما عشت ليلة   وان شحطت دار وشط مزارها
واني لأسمو بالوصال الى التي   يكون شفاء ذكرها وازديارها
من الخفرات البيض لم تر شقوة   وفي الحسب المحض الرفيع نجارها

ليلى : هذا شعر رائق

الاب : وهكذا ظل الشاعر ينشد شعره الرائق هذا ويهتف :

ـ كثير ..

الله يعلم لو اردت زيادة   في حب عزة ما وجدت مزيدا

الاب : الى ان شاء الصدف ان يتغاضبا ويفترقا ... وقد ثقل عليه كثيرا هذا الفراق واوجع قلبه فعاد اليها . ولكنه عندما بلغها وجد الناس ينصرفون لتوهم من جنازتها .

ليلى : (مندهشة) من جنازتها ؟ ... اذا لقد ماتت ؟

الاب : نعم ... وعندما وافته منيته . هو الآخر عام (١٠٥) للهجرة كان

لسان حاله يردد اباته التي قالها يـوم وقف يقبل تراب قبرها الذي لما يجف بعد ...

اقول ونضوى واقف عند قبرها   عليك سلام الله والعين تسـفح
وقد كنت ابكي من فراقك حية   فأنت لعمري اليوم انأى وانزح

الختام

العبَاس بن الأحنف

العباس : ينشد

أيها الراقدون حولي أعينو.... ني على الليل حسبة واتجارا

حدثوني عن النهار حديثا أوصفوه فقد نسيت النهارا

ابو محمد : كان الله في عونك يا ابن الاحنف ... ألى هذا الحد أضناك الوجد حتى انساك النهار ؟

العباس : ـ يتنهد ـ لا تلمني يا أبا محمد .. لا تلمني ... فلقد طال بي الليل وأنا أتعبد في محرابي وأبكي آلامي .

أبو محمد : ولم كل هذا يا عباس ... يبدو انك تثقل على نفسك كثيرا وتحملها ما لا طاقة لها به ... أما ترى كيف أمتهن العشاق قبلك الحب وابتذلوا العفة ... انسيت عمر بن أبي ربيعة واضرابه ... بل هل أن أبا نؤاس عنك ببعيد .

العباس : ولم تذكر هؤلاء وتنسى من هم على شاكلتي ... انني لم آت بجديد أن دعوت الى التوحيد في الحب والتسامي فيه ، وقبلي من الشعراء العذريين الكثير ... انسيت جميل بن معمر .. أنسيت كثير عزة .

أبو محمد : آه يا ابن الاحنف ، فلقد ذكرتني بجميل القائل :

حلفت لكيما تعلميني صادقا وللصدق خير في الامور وأنجح

لرؤية يوم واحد من بثينة ألذ من الدنيا لدى وأملح

العباس : هكذا العشق يا أبا محمد ... أنه الاخلاص المنقطع النظير ، والصدق الذى ما بعده صدق .

أبو محمد : أمس يا عباس ، جمعني المجلس مع نفر من علية القوم ، وقد جرى ذكرك في المجلس فأفاضوا في الحديث عنك .

العباس : أرجو أن يكون حديثهم حديث الرضا يا أبا محمد

أبو محمد : ولقد كان كذلك فعلا يا أخي

العباس : حول ماذا تحدثوا ؟

أبومحمد : وماذا تظنه يذكر اذا جاء ذكرك غير دعوتك الى التوحيد في الحب وأعادتك ـ في عهد بني العباس ـ سيرة الحب العذري .

العباس : ها .. ها ..

أبومحمد : لقد قال بعضهم ان هذه الروح تنم عن قلب كبير ونفس كريمة. وقال اخرون لقد عودنا الشعراء في عهودهم الاولى على استهلال قصائدهم بالنسيب والبكاء على الديار التي يرحل عنها الاحياء مخلفين لهم الشوق والحنين فاذا بالعباس ابن الاحنف ينقطع في كل قصيدة الى نوع واحد من الشعر هو النسيب وحده ، ولكن أي نسيب هو ، فشعره التبتل الصادق والهوى العذري والحب العفيف .

العباس : الحمد لله ان فهمني الناس كما أريد لنفسي وكما يرضي ديني وأخلاقي .

أبومحمد : ولقد ذكروا قصيدتك التي تنادي بها زوار بيت الله واستعادوها .

العباس : يترنم .

أزوار بيت الله مروا بيثرب	لحاجة متبول الفؤاد كئيب
وقولوا لهم: يا أهل يثرب أسعدوا	على جلب للحادثات جليب
فانا تركنا في العراق أخا هوى	تنشب رهنا في حبال شعوب
به سقم أعيا المداوين علمه	سوى ظنهم من مخطىء ومصيب
خذوا لي منها جرعة في زجاجة	الا أنها لو تعلمون طبيبي
وسيروا فان أدركتم بي حشاشة	لها في نواحي الصدر وجس دبيب
فرشوا على وجهي أفق من بليتي	يثيبكم ذو العرش خير مثيب
وان انتم جئتم وقد حيل بينكم	وبيني بيوم للمنون عصيب

فرشوا على قبري من الماء واندبوا   قتيل كعاب لا قتيل حروب

ـ يتلاشى صوته مع موسيقى فاصل ـ

ـ في المنزل / حوار بين ليلى ووالدها ـ

ليلى : ... متميز هذا الرجل ـ كما ارى ـ يا أبتي

الاب : هو كذلك فعلا يا بنيتي . ولقد أجمع نقاد الادب العربي على أنه من أعظم المتفوقين في الفن الواحد .

ليلى : يعنون النسيب

الاب : ذلك كان فنه . ولقد ذكر عنه صاحب الاغاني انه « لم يتجاوز الغزل الى مديح أو هجاء ، ولم يتصرف في شيء من هذه المعاني » .

ليلى : لقد تخصص ـ كما يبدو ـ وأجاد

الاب : اضافة الى أن التخصص دائما احدى وسائل الاجادة فان في شعر العباس بن الاحنف رقة نابعة من طبيعة مهذبة وقلب شديد الحساسية وروح مرهفة شاعرة .

هدى : ولا شك انه تأثر كذلك ببيئته التي عاش فيها .

الاب : لا شك ، فالعصر العباسي الذى عاش فيه ، اتسم بالمدنية والحضارة ... اذكر له مثلا قصيدة يرد فيها على خطاب ورده يقول فيها :

العباس :

وصحيفة تحكي الضمير   مليحة نغماتها
جاءت وقد فرح الفؤا   د لطول ما استبطأتها
فضحكت حين رأيتها   وبكيت حين قرأتها
عيني رأت ما أنكرت   فتبادرت عبراتها
أظلوم نفسي في يديك ....   حياتها ومماتها

ليلى : هذا شعر لطيف يا أبتي ..

الاب : أنه فارس في هذا الميدان ، ولقد وفق أيما توفيق في تسجيل نوازع العشاق وخلجاتهم وهو يصور نوازع نفسه الصبة وخلجاتها .

ليلى : يبدو ان الامر كذلك ؟

الاب : نعم ، هو كذلك فعلا .. اسمعيه ـمثلاـ وهو يصور علاقات المحبين بما فيها من المغاضبة واللوم والعتاب فيقول :

العباس :

كتبت فليتني منيت وصلا | ولم اكتب اليك بما كتبت
كتبت وقد شربت الراح صرفا | فلا كان الشراب ولا شربت
فلا تستنكروا غضبي عليكم | فلو هنتم عليّ لما غضبت

الاب : ويقول :

العباس :

واحسن أيام الهوى يومك الذى | تروع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضى | فاين حلاوات الرسائل والكتب

الاب : ويشرح حبه العظيم الذى ينكره الناس ويحاولون التشكيك فيه ، وينذر حبيبته بعاقبة الاستماع الى الناس وكثرة التجني . فيقول :

العباس :

وقد حملت من حبك ما لو | تقسم بين أهل الارض شابوا
أفيقي من عتابك في أناس | شهدت الحظ من قلبي وغابوا
وكنت اذا كتبت اليك أشكو | ظلمت وقلت ليس له جواب
فعشت أقوت نفسي بالاماني | أقول لكل جامحة أياب
وأن الود ليس يكاد يبقى | اذا كثر التجني والعتاب

ـ موسيقى فاصل ـ

ـ عودة الى حوار العباس وأبي محمد ـ

العباس : وماذا بعد يا أبا محمد ، هل أضاف القوم شيئا آخر الى ما سبق أن قلته لي ، في مجلسكم الذى حدثتني عنه .

أبو محمد : بل هي مجالس يا ابن الاحنف وليست مجلسا واحدا ، وكلها ثناء عاطر ، وهذا ما يزيدني زهوا وفخرا لانك صديقي الاثير .

العباس : شكرا لوفائك يا أخي .

أبومحمد : لقد سأل القوم رجلا من ضيوفهم أعجبك غاية الاعجاب، ويبدو
أنه سبق أن ضمك واياه مجلس وان لم تتعارفا وتتحدثا كما قال..

العباس : ترى الا أذكره ؟

أبومحمد : لست أظن فهو معجب صامت لم يفصح عن شخصيته

ـ يضحكان ـ

العباس : وماذا قال ؟

أبومحمد : قال :

« كان والله ممن اذا تكلم لم يحب سامعه أن يسكت وكان فصيحا جميلا
ظريف اللسان ، لو شئت أن تقول أن كلامه شعر كله لما جانبت
الصواب » .

العباس : ـ ضاحكا ـ لا ، هذا كثير

أبومحمد: بل هو الحق بعينه ، ولقد دلل على رأيه بما لقيه شعرك من اقبال
المغنين عليه ينشدونه والمجالس ترويه وتترنم به . وضرب لذلك مثلا
قصيدتك :

صوت الرجل :

نام من أهدى لي الارقا	مستريحا زادني قلقا
لو يبيت الناس كلهم	بسهادي بيّض الحدقا
كان لي قلب أعيش به ...	فاصطلي بالحب فاحترقا
أنا لم أرزق مودتكم	انما للعبد ما رزقا

العباس : ـ يردد بعده البيت الاخير ـ

أنا لم أرزق مودتكم	انما للعبد ما رزقا

أبو محمد : بالمناسبة قل لي ، انت على ما أنت عليه من المزايا ، حسن منظرك
وكرم أخلاقك ومكانة أسرتك ، وحلو شمائلك وعذوبة حديثك ، أما
كان من اليسير عليك أن تتخذ من الخليلات ألوانا ، وان يكون لك ،
غير « فوز » التي تدلهت بحبها ، الكثيرات الفاتنات ؟

العباس : وهل تظنني أستطيع أن أتنقل في الهوى يا أبا محمد ، أنها ـ وحقك وحدها التي أهوى وأحب • وهي وحدها التي ملأت علي نفسي •
ـ يترنم ـ

قلبي الى ما ضرني داعي … يكثر اسقامي وأوجاعي
كيف احتراسي من عدوي اذا … كان عدوي بين أضلاعي

أبومحمد : كان الله في عونك ••• ولكن الى م هذا العذاب ؟ والى م هذا الصدود الذي اتعبك واضناك ؟

العباس : ـ يترنم ـ

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه … وان كنت مظلوما فقل أنا ظالم
فانك إلا تغفر الذنب في الهوى … يفارقك من تهوى وانفك راغم

أبو محمد : وبعد يا عباس ، ألا ترى أنك تحمل نفسك الكثير •• قل لي اذا يا صاحبي من هي (فوز) هذه عساني أستطيع أن اقدم خدمة ما لك وهذه من واجبات صداقتنا على الأقل •

العباس : ـ يترنم ـ

قد سحب الناس أذيال الظنون بنا … وفرق الناس فينا قولهم فرقا
فجاهل قد رمى بالظن غيركم … وصادق ليس يدري أنه صدقا

أبومحمد : اتتستر حتى مني يا عباس ؟

العباس : وهل تظنني أستطيع ••• ألست أنا القائل يا أبا محمد :

فكيف استتاري اذا ما الدموع … نطقن فبحن بما أضمر

أبو محمد : ولكنني أنصحك مخلصا أن تهجر هذا العشق الذي آذاك واتعبك ولقيت منه ما لقيت ••

العباس : هكذا ترى ؟

أبومحمد : هذا ما يجب أن يكون يا أخي •

العباس : ـ يترنم ـ

سأهجر ألفي وهجرانها اذا ما التقينا صدود الخدود
كلانا محب ولكننا تدافع عن حبنا بالصدود

ـ موسيقى فاصل ـ

ـ عودة الى حوار الاب وليلى ـ

ليلى: وهكذا ظل يا أبتي يداري هواه بصمت ويغني الفن بروائع الشعر ؟

الاب : مم ، ظل ولسان حاله يقول :

العباس ..

عيون العائدات تراك دوني فيا حسدي لعيني من يراكِ
أريدك بالسلام فأتقيهم وأعمد بالسلام الى سواك
وأكثر فيهم ضحكي ليخفى فسني ضاحك والقلب باك

ليلى : تاريخ عاشق فريد يا أبتي هذا الذي حدثتني به عن العباس بن الاحنف ..

الاب : أنه والحق يا ابنتي لمن المتميزين في تاريخ تراثنا الادبي ... ولقد لقي الرجل في هواه الكثير حتى باح بالشكوى وقد ثقل عليه الوجد وآذته الجفوة وكاد أن يفقد الامل :

العباس ..

نصيري الله منك اذا اعتديت وقد عذبت قلبي اذ جفوت
فإن يك ذا مغايظة لحقد فقد والله يا أملي اشتفيت
قضى بالفتك حبك في عظامي وصيرني هواك كما اشتهيت
فلو شاء الذي بكم ابتلاني لعجل راحتي منكم بموتي

ليلى : مسكين

الاب : ... وهكذا ظل مخلصا لحبه وفيا على عهده الى أن مات سنة (١٩٢) للهجرة ولسان حاله يردد قوله :

لو أن القلوب تجازى القلوب لما كان يجفو حبيب حبيبا

وأمر الخليفة هرون الرشيد أبنه المأمون ان يصلي عليه اعترافا بفضله ومكانته في المجتمع وفي دنيا الادب والشعر •

وعندما ووري التراب كان صوت يرتفع مناديا بشعر جميل بثينة :

صوت :

الا أيها النوّام ويحكم هبوا اسائلكم : هل يقتل الرجل الحب ؟

الختـــــام

الخنساء

جلسة/الأب مع ليلى/

الأب : (داخلا ـ مؤثرات) ها•••اسعدت مساء يا ليلى

ليلى : ومساؤك اسعد يا ابتي

الأب : متى عدت من المحاضرة ؟

ليلى : قبل مدة يا ابتي ••• وبالمناسبة ، لقد كانت محاضرة طريفة جدا تلتها مناقشات أطرف •

الأب : شيء لطيف ••• اذاً لقد استغرقت الكثير من الوقت •

ليلى : فعلا ••• ولكننا لم نشعر بطول الوقت •••

الأب : ـ ضاحكا ـ لطرافة الموضوع طبعاً •

ليلى : الواقع يا ابتي ان ما أثير في المناقشة من آراء أدبية هو الذي اغراني بالبقاء •

الأب : مثل ماذا ؟

ليلى : مثل•••مثل موضوع معايشة التجربة بالنسبة للفنان •

الأب : معايشة التجربة ؟!

ليلى : نعم••اعني ان يمر الفنان ،أي فنان، بالتجربة ويعيش ظروفها ، ويتحسس مشاكلها ويعانيها فاذا ما سجلها جاء تسجيله لها نابضا بالحياة عامرا بالصدق •

الأب : هذا امر لا شك فيه ••• وبمن استشهدوا كنماذج على هذا الصدق في اداء العمل الفني ؟

ليلى : لقد ذكروا الكثير ••• من الشعراء والكتاب والموسيقيين والرسامين والنحاتين لكن ـ (تضحك) ـ بقدر ما يتعلق الامر بهوايتي ـ كما تعرف يا ابتي ـ فقد لفتت نظري الاستشهادات الشعرية •

الأب : ولمن كانت ؟

ليلى : ابرزها كان شعر الخنساء •

الاب : ونعم ما استشهدوا به على هذا الموضوع •

ليلى : هكذا ؟!

الأب : بالفعل ••• اتدرين لماذا ؟

ليلى : لماذا يا ابتي ؟

الأب : ذلك لأنها كانت ثاكلة حزينة ، والشعور الحزين يعبر عن نفسه من غير ان يشغله قصد الصنعة والتكلف •

ليلى : هذا صحيح •

الأب : ثم ان العاطفة الحادة القوية لا تعطي مجالا للتعمل ، ولا للوقوف المتكلف للتشذيب والتصنع •

ليلى : فعلا ، لقد تلمست هذا فيما أنشده المناقشون من نماذج لشعرها •

الأب : أليست هي القائلة في رثاء أخيها (صخر) •••

ـ الخنساء :

قذى بعينكِ أم بالعين عُوّارُ

أمْ أقفرت اذ خلتْ من أهلها الدارُ

تبكي لصخرٍ ، هي العَبْرى وقد ثكلت

ودونه من جَديد التُرب أستارُ

لا بد من ميتةٍ في صرفها غِيَرٌ

والدهر في صَرفه حولٌ وأطوارُ

يا صخرُ ورادَ ماءٍ قد تناذرَه
أهلُ الموارد ما في وِرده عارُ

ليلى : رثاء مؤثر .

الأب : جدا ...اسمعي ما تقوله ايضا في هذه القصيدة ذاتها ..

ـ الخنساء :

لا تَسمَنُ الدهر في أرض وان رتعتْ
فانما هي تحنانٌ وتسجارُ

يوماً بأوجدَ مني يومَ فارقني
صخرٌ وللدهرِ احلاء وامرارُ

فان صخراً لوالينا وسيدُنا
وان صخراً اذا نشتو لنَحارُ

وان صخراً لتأتمُ الهداةُ به
كأنّه علمٌ في رأسه نارُ

ليلى : يا لها من ثاكلة مسكينة ...

الأب : على رسلك يا ابنتي ... ما هذا ، ؟ ، يبدو ان الحزن سيطر عليك (يتضاحك) .

ليلى : لا ... ولكن ...

الأب : (يضحك) المسألة مسألة تاريخ يا ابنتي ...

ليلى : هذا صحيح ... ولكن عواطفي غلبتني يا ابتي .

الأب : وهذا سبب يأخذه نقاد الأدب بعين الاعتبار عند دراسة شعر الخنساء

ليلى : ماذا تعني ؟ .. لم افهم قصدك يا ابتي ؟

الأب : انهم يرون ان الذي ساعدها على التجويد في الرثاء كونها امرأة . والبكاء أقرب الى طبيعة المرأة منه الى طبيعة الرجل .

ليلى : (تحاول الضحك) لا يا ابتي ... ليس الى هذا الحد .

الأب : هذا واقع يا ليلى لا يقبل النقاش •

(يضحكان)

ليلى : هكـذا ؟!

الأب : طبعا • ولذلك كان رثاؤها يصور جوانب فجيعتها تصويرا حادا قويا وجد فيه كثير من المرزئين بفقد الأحبة ومن الثاكلات ما يصـور جوانب حزنهم ومرارة المهم ويكون خير عزاء على فداحـة الخطب وهول المصاب •

ليلى : يبدو ان الأمر كذلك •

الأب : هو كذلك فعلا ، فبالاضافة إلى ان شعرها يمثل العاطفة الصادقـة الملتهبة والشعور المتدفق في صور جميلة وتشابيه وكنايات بديعـة فانها تستثير الأسى بما توردِه من (مطالع) لقصائدها جد مؤثرة •

ليلى : مثل ماذا يا ابتي ؟

الأب : انها مثلا كثيرا ما تستهل شعرها بمخاطبة عينها كقولها :

ـ الخنساء :

يا عين جودي بدمع منكِ مسكوبِ
كلؤلؤ جال في الأسـماط منقوبِ

الأب : وقولهـا ••

ـ الخنسـاء :

ما بالُ عينكِ منهـا دمعُها سَربُ
أعـادها حَزَنٌ أم عـادها طرَبُ

وقولهـا أيضاً •••

ـ الخنسـاء :

أعينيَّ جُـودا ولا تجمـدا
الا تبكيـان لصخر النـدى

ليلى : انه فعلا شعر مؤثر يا ابتي

الاب : شعرها في مجال الرثاء يشهد بجودته القدماء والمحدثون

ليلى : ها .. ها...

الاب : لقد روي أن حكم الشعراء الذي سبق أن حدثتك عنه ، النابغة الذبياني ، فضلها في سوق عكاظ على غيرها من اعلام الشعر

ليلى : هكـذا ؟!

الاب : نعم ، وكان الشاعر (جرير) يرى انه أشعر الناس لولا الخنساء

ليلى : اعتراف بمكانتها له اهميته

الاب : بدون شك ... ولقد شهد لها (بشار بن برد) بالشاعرية كما شهد لها (المبرد) صاحب (الكامل) بالجودة والاتقان .

ليلى : اقول يا ابتي

الاب : نعم ؟

ليلى : مأساة الخنساء التي سجلتها في شعرها كانت نتيجة فقدها لاخيها صخر ، على وجه التحديد ، أليس كذلك ؟

الاب : لا ..

ليلى : لا ؟... كيف ؟... هذا اذاً ما عرفته من محاضرة اليوم .

الاب : هو صحيح ، ولكنه ليس كل مأساتها

ليلى : رثاؤها كان لصخر ...

الاب : (مكملا) ولمعاوية أيضا وربما لغيرهما ممن فقدتهم ... فلقد قُتل أخوها (معاوية) في غزوة ، ومات بعده أخوها لابيها (صخر) اذ جرح في معركة التحمت بها قبيلته مع (بني أسد) وبقي مدة يعاني آلام جرحه حتى مات ..

ليلى : وكان تدفق قصائد الرثاء ؟

الاب : الواقع أن في حياتها مآسٍ كثيرة

ليلى : كيف يا ابتي ؟

الاب : في بدء شبابها تزوجت فمات عنها زوجها ثم تزوجت ثانية وصار

لها اربعة اولاد استشهدوا جميعاً في معركة القادسية .

ليلى : اربعتهم ؟!

الاب : نعم ... وقيل انها كانت تحرضهم على الجهاد في سبيل الله والاستشهاد من اجل اعلاء كلمة الحق . حتى انها لما بلغها مقتلهم جميعاً قالت ...

ـ الخنساء :

« ... الحمد لله الذي شرفني بقتلهم . وارجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر الرحمة » .

ليلى : ان موقفها البطولة بعينها !!

الاب : فعلا ...

ليلى : اقول يا ابتي ... الخنساء هو اسمها ؟

الاب : هي تماضر بنت عمرو بن الحارث من قبيلة «سليم» والخنساء لقبها وتكنى بأم عمرو . ولدت في الجاهلية حوالي ٥٧٥ للميلاد وتوفيت نحوسنة ٦٦٤م على الارجح

ليلى : لقد عَمرت طويلا اذاً ؟!

الاب : نعم ، عاشت في الجاهلية واسلمت مع قومها وعمَّرت حتى خلافة معاوية ..

ليلى : شهدت الدولة الاموية ؟!

الاب : هكذا يقول تاريخها ... ومهما يكن من أمر فان شعرها في رثاء (صخر) بالذات ، ظل ، وسيبقى،من أروع نماذج شعر الرثاء ... فكيف يُنسى قولها فيه ...

ـ الخنساء :

أغرُّ أبلجُ تأتمُّ الهُداة بـه
كأنـه علمٌ في رأسـه نـارُ

جلْدٌ جميل المُحيَا كاملٌ ورِعٌ
وللحـــروب غـداة الروع مسعار

الاب : وقولهـــا ...

ـ الخنســـاء :

جَم فواضلـــهُ تنـدى أناملُه
كالبـدر يجلو ولا يخفى على الساري

ردّادُ عاديـــةٍ فكـاك عانيـــة
كضيغم باســـلٍ للقرن هصّار

جوابُ أودية ، حمـال ألويـــةٍ
ســـمحُ اليدين جـــواد غير مقتار

الاب : ثم كيف تنسى قصيدة الرثاء المشهورة التي تقول فيها ...

ـ الخنســـاء :

يذكرني طلوع الشمس صخرا وأذكره لكل مغيب شمسِ
ولو لا كثرة الباكين حولـــي على اخوانهم لقتلتُ نفسي
ولكن لا أزال أرى عجـــولا وباكيةً تنوح ليوم نحس
أراهـــا والهـــاً تبكي أخـاها عشيةَ رزئه أو غبَّ أمس
وما يبكون مثـلَ أخـي ولكن أعري النفس عنه بالتـأسي

... يتلاشى الصوت ...

ـ الختـــام ـ

جرير

المُحدث ـ يقرأ ـ :

« ... وقال محمد بن سلاّم : رأيت أعرابياً من بني أسد أعجبني ظَرفهُ وروايته ، فقلت له : أيهما عندكم أشعر ؟ ـ يعني الفرزدق وجرير ـ فقال : بيوت الشعر أربعة : فخرٌ ومديح وهجاء ونسيب ، وفي كلها غَلب جرير ... قال في الفخر :

ـ اذا غضبت عليكَ بنو تميمٍ
حسبتَ الناسَ كلّهمُ غِضابا

... وقال في المديح :

ـ ألستمُ خيرَ من ركب المطايا
وأندى العالَمين بطون راحِ

... وفي الهجاء :

ـ فغُضَّ الطَرْفَ انك من نُمَيرٍ
فلا كَعْباً بلغت ولا كلابا

... والنَسيب :

ـ ان العيون التي في طَرْفها حَوَرٌ
قتلننا ثم لم يُحْيِين قَتْلانا

... قال أبو عبدالله بن سلاّم : بيت النَّسيب عندي :

ـ فلما التقى الحيّانِ ألقيتِ العصا

ومات الهوى لما أُصيبت مَقَاتِلُهْ

ـ المتحدث : ... هذا بعض ما ذكره أبو الفرج الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني ... والسلام عليكم .

موسيقى

(ليلى ـ الاب)

ليلى : حديث شيق وطريف .

الاب : ـ ضاحكا ـ لاشك أن الذي أعجبك فيه ما أورده من نماذج شعرية ... أليس كذلك ؟

ليلى : ولم تقل يا أبتي نماذج فقط ... أنها عندي من الروائع (تضحك)

الاب : هكذا ؟ (يضحك) ألم أحدس سر اعجابك اذاً ؟

ليلى : بكل تأكيد ... وبالمناسبة ، أقول يا أبتي ... الشاعر الذي ذكره المحدث ...

الاب : (مكملاً) جرير .

ليلى : نعم ، جرير ، أليس هو خصم الفرزدق الذي سبق أن حدثتني عنه

الاب : نعم هو ... صاحب النقائض المشهورة مع الفرزدق

ليلى : وماذا عنه يا أبتي ؟

الاب : جاء في كتاب (المنتخب) عنه أنه «أبو حزرة بن عطية بن الخطفى ، ينتسب الى يربوع من تميم ولد في اليمامة ونشأ في البادية » .

ليلى : وتفاصيل نشأته ؟... ماذا عنها يا ابتي

الأب : المعروف انه نشأ نشأة متواضعة فلم يكن من اسرة ذات ثراء أو جاه عريض ، ولكنه كان يحس في نفسه منذ البداية القدرة على قول الشعر . وعندما ذهب الى البصرة ورأى ما يتمتع به الشاعر الفرزدق

وهو من قبيلته تميـــم من مكانة ونعمة وجاه وما له من صيت في الشعر بعيد ، وشهرة ذائعة ، تنبه فيه طموحه ، وتفتحت موهبتـــه لتحقيق مكانة كان يتطلع اليها •

ليلى : وهل تمكن من ذلك ؟

الأب : الواقع ان السبيل كانت مهيأة له ، فلقد راجت ـ في ذلك الوقت ـ سوق الشعر فصار يعبر عن التيارات المتضاربة في ذلك الحين • ولقد التحم جرير مع شعراء كثيرين فغلب كثيرا منهم وظهر عليهم جميعا ولم يثبت له الا الفرزدق والاخطل

ليلى : هكذا ؟!

الأب : نعم ••• قرأت مرة أن الأصمعي قال عنه :

ـ صـــوت :

« كان ينهش جرير ثلاثة وأربعون شاعرا فينبذهم وراء ظهـــره ، ويرمي بهم واحدا واحدا ،••• وثبت له الفرزدق والاخطل »

ليلى : ولذلك اشتهر ؟

الأب : بطبيعة الحال ••• اشتهر وطار صيته وذاعت شهرته بين النـاس وانقسموا الى فريقين ، متعصب له ومتعصب للفرزدق •

ليلى : يبدو اذا انهما والأخطل كانوا أبرز شعراء العصر يومذاك ؟

الأب : نعم ، ولقد ُذكر في سيرتهم أن بعضهم كان يشبه جريرا بالأعشى والفرزدق بزهير والأخطل بالنابغة • ويذكر صاحب الاغاني ان ابا عبيـدة قـال :

صـــوت :

يحتج من قدم جريرا بأنه كان اكثرهم فنون شعر ، وأســـهلهم ألفاظا ، وأقلهم تكلفا ، وأرقهم نسيبا •

ليلى : هذه تزكية لها دلالتها

الأب : بدون شك ، وهي ليست كثيرة عليه ، فهو فارس في ميدانـــه •

والمعروف عنه أنه كان شديد القسوة في هجائه كثير الاعتداد بشخصيته والفخر بشاعريته ... أليس هو القائل ...

- جرير :

أعددت للشعراء سما ناقعاً

فسقيت آخرهم بكأس الاول

ليلى : (تضحك) هكذا ؟!

الأب : نعم ... وهو القائل أيضا ...

- جرير :

أعد الله للشعراء مني

صواعق يخضعون لها الرقابا

أنا البازي المطل على نمير

أتيح من السماء لها انصبابا

الأب : وهو يهجو الفرزدق والأخطل فيقول ...

- جرير :

لما وضعت على الفرزدق ميسمي

وعلى البعيث جدعت أنف الأخطل

ليلى : (تضحك) الى هذاك الحد ؟

الأب : بل وأكثر منه ، فلقد هجا الأخطل مرة لما فضل الفرزدق عليه معرضا به وبحكمه عليه مشيرا الى ادمانه بقوله ...

- جرير :

يا ذا الغباوة ان بشرا قد قضى

الا تجوز حكومة النشوان

ليلى : (تضحك) ومن هو بشر ؟

الأب : يعني بشر بن مروان والي الكوفة

ليلى : ها .. ها .. انه فعلا قاس الى أبعد حد ... ترى يا ابتي ، وأغراض
شعره الاخرى ، هل هي بمستوى هجائه ؟

الأب : هو في كل أغراض شعره شاعر مجيد .

ليلى : وهل لي يا أبتي أن أستمع الى بعض نماذجه الشعرية في غير باب الهجاء

الأب : من شعره في هذه المجالات الجيد والرائع ... روي في سيرته انه
مدح الحجاج بقصائد مشهورة فقدمه الى الخليفة عبدالملك بن
مروان فقال فيه قصيدته المشهورة التي مطلعها ...

ــ جرير :

أتصحو أم فؤادك غير صاح
عشية هم صحبك بالرواح

الأب : ومنها البيت الذي ذكره المحدث قبل قليل :

ألستم خير من ركب المطايا

ليلى : (مكملة)

واندى العالمين بطون راح

الاب : وفيها يظهر للخليفة الحافه الشديد فيقول ...

ــ جرير :

أغثني يا فداك أبي وأمي
بسيب منك انك ذو امتناح
فأني قد رأيت علي حقا
زيارتي الخليفة وامتداحي
سأشكر ان رددت علي ريشي
وانبت القوادم في جناحي

الأب : وله من غزله الذي كان يستهل به قصائده في مختلف الاغراض على
طريقة الشعراء الجاهلين قوله ...

ـ جرير :

يا أم عمرو جزاك الله مغفرة

ردي علي فؤادي مثلما كانا

يلقى غريمكم من غير عسركم

بالبذل بخلا وبالاحسان حرمانا

لقد كتمت الهوى حتى تهيمني

لا أستطيع لهذا الحب كتمانا

لا بارك الله في الدنيا اذا انقطعت

أسباب دنياك من أسباب دنيانا

الأب : ومنها قوله الذي سبق أن ذكره المحدث قبل قليل أيضا ...

ان العيون التي في طرفها حور

قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به

وهن أضعف خلق الله انسانا

ليلى : شعر رائق

الأب : هو كذلك في أغلب أغراض شعره .. اسمعيه ـ مثلا ـ في قصيدة يرثي بها زوجته ولا حظي صدق العاطفة ورقة الشعور وشدة الحزن ... انه يقول :

ـ جرير :

« بصوت مؤثر »

لولا الحياء لعادني استعبار

ولزرت قبرك والحبيب يزار

ولهت قلبي اذ علتني كبرة

وذوو التمائم من بنيك صغار

ولقد أراك كسيت أجمل منظـــر
ومع الجمـال سكينة ووقــار
لا يلبـث القرنـــاء أن يتفرقـــوا
ليـــل يكـــر عليهـــم ونهـــار

ليلى (تتنهد) رثاء مؤثر فعـلا
الأب : ... رحمه الله ، فهو عبر حياته ومنذ وفاته عام ١١٤ للهجرة وحتى اليوم وشعره مضرب المثل وعكاز القول في كل مجال .. وان نسيت بعض أبياته فمن ينسى قوله في هجاء خصمه الفرزدق ـ عند اقتضا المثل ـ عندما هدد الفرزدق (مربعا) راوية جرير ..
ـ جرير :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعـا
أبشـــر بطـول سـلامة يا مربع

ليلى : (تضحك عاليا)
الأب : (يشاركها الضحك)

الختـــام

زهير بن أبي سلمى

ليلى : (تفتح الباب/مؤثرات/ثم تسمع خطواتها داخله) ••• مرة أخرى اتيك بأشكال جديد في قراءاتي (ضاحكة) اسعدت مساء يا ابتي •••

الأب : ومساؤك أسعد يا ليلى ••• ترى ، ما هو الاشكال ؟

ليلى : استمع يا ابتي اقرأ لك بعض أبيات هذه القصيدة التي قرأتها في كتاب للمختار من الشعر القديم •

الأب : ها ••• ها ••• أنا منصت ، تفضلي

ليلى (تنشد) •••

« أمن أم أوفى دمنة لم تكلم
بحومانة الدرّاج فالمتثلم
ودار لها بالرقمتين كأنها
مراجيع وشم في نواشر معصم
بها العين والآرام يمشين خلفة
واطلاؤها ينهضنَ من كل مجثم
وقفت بها من بعد عشرين حجة
فلأيا عرفت الدار بعد توهم
فلما عرفت الدار قلت لربعها
ألا أنعم صباحا أيها الربع واسلم

الأب : هذا بديع ... انه من روائع الشعر العربي
ليلى : لم أقل أنه غير بديع ... لكن ...
الأب : لكن ماذا ؟
ليلى : لقد اعجبني الشعر فعلا ، جرسه وموسيقاه وسليقته ... لكنني بصراحة أقول لك يا ابتي انني لم استطع ادراك معناه كاملا .
الأب : (ضاحكا) هذا من حقك لأن بعض معانيه غامضة فعلا بالنسبة لقارىء جديد مثلك .. ولكن سأشرح لك فكرة القصيدة باختصار وسترين بوضوح مدى ابداع (زهير بن ابي سلمى) في قصيدته
ليلى : زهير بن ابي سلمى ؟
الأب : نعم ، مبدع هذه الرائعة والكثير غيرها من روائع الشعر
ليلى : لم أكن اعرف ذلك لان صاحب المختارات نقل الشعر واغفل الشاعر
الأب : على أية حال ... لنعد الى فكرة القصيدة .. أود أولا أن تعلمي ان زهيرا يسير في قصائده في تمهل وتؤدة ، فيصور الحوادث والأمكنة ، ويقص خلال ذلك قصصا رقيقا هادئا ، كل ذلك في شعر تميز بايجازه وشدة أسره .
ليلى : وماذا عن قصيدته هذه يا ابتي
الأب : انه ، باسلوبه الشيق ذاك ، ابتدأ بذكر الديار وذكر حبيبته (أم اوفى) وهي زوجته الاولى وقرينة صباه التي طلقها وندم عليها أشد الندم ، فذكرها متغزلا بها غزلا عفيفا متحفظا لا أثر للتبذل فيه وذكر دارها وما فيها ووقوفه بها بعد أن مرت على عهده بها عشرون سنة ، وكيف حياها بتحية رقيقة ...
ليلى : ها .. ها .. لذلك يقول :

فلما عرفت الدار قلت لربعها

الأب : مكملا :

ألا انعم صباحا ايها الربع واسلم

ارأيت ؟

ليلى : أقول يا أبتي ، لقد شوقني حديثه ، **فماذا بعد عنه ؟**

الأب : نشأ زهير في أرض اخــوال أبيه من قبيلــة غطفان وهي غير قبيلته ، وكان لهذه النشأة المغتربة اثر واضح في تكوين شخصيته .

ليلى : كيف ؟

الأب : كانت حياة الافراد في ذلك الزمن وعزتهم واعتــدادهم ترتبــط ارتباطا وثيقا بالقبيلة . فان المرء لا يمكن أن ينسجم في المجتمــع القبلي ما لم يكن مرتبطا معه بأواصر الدم ووشائج النسب .

ليلى : ها ... ها ...

الأب : وعلى هذا الضوء نستطيع أن نتصور الحياة التي عاشها زهــير ... التزام الوقار وتجنب الطيش والنزق والتبصر في الامور والمحافظـة على خلق رضي يضمن له حياة موفورة الكرامة .. ولذلك فقــد عرف زهير بالرصانة والوقار والحكمة .

ليلى : لابد اذا أنه كان من شعراء الحكمة ، فهذه هي ذاتها صفات الشاعر الحكيم .

الأب : هو من شعراء الحكمة الافذاذ ، وكانت حكمة خلاصة أفكــاره وتجاربه في الحياة ... ولعل ما جاء في معلقته خــير دليل عــلى ما أقــول .

ليلى : **هو اذاً من شعراء المعلقات ؟!**

الأب : طبعا ، فهو واحد من ابرز شعراء عصره ، والطريف في الامر أنه من عائلة شاعرة

ليلى : عائلة شاعرة !

الأب : نعم ، فقد كان أبوه شاعرا وخاله شاعرا واخته سلمى شاعرة وابناه كعب وبجير شاعرين واخته الخنساء شاعرة وابن المُضَرَّب بن كعب بن زهير شاعر كذلك وهو القائل ...

ـ صوت :

انى لأحبس نفسي وهي صاديـــة
عن مصعب ولقد بانت لي الطـرق
رعوى عليه كما ارعى على هـرم
جدي زهـير وفينـا ذلك الخـلق

ليلى : هكذا اذا كلهم شعراء

الأب : نعم ••• وهو نفسه أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء ، وانما أختلف في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه ، كما يقول صـــاحب الاغاني ـ فأما الثلاثة فلا اختلاف فيهم وهم : امرؤ القيس وزهـير والنابغة الذبياني

ليلى : هذا يعني انه أحد أعلام عصره ••• أليس كذلك ؟

الأب : ليس في ذلك ادنى شك ••• والمعروف عنه أنه كان يتخذ مـــن الشعر حقلا لشخصيته يفرغ فيه مواهبه ومثله العليا ، وهو مخلص في فنه اخلاصا نأى بشعره عن الهذر فجاء قيما سليما واظهره رائدا من رواد الاصلاح

ليلى : هل استطيع ان استوضح عن هذا الجانب يا أبتي في حياة الشاعر

الأب : المعـــروف يا ابنتي ان زهـــيرا تعلق بالمخلصـــين والمحبـين للسلم والاصلاح في بيئته التي غلب عليها ركوب المراكب الصـعبة في الغزوات والثارات •

ليلى : كيف يا ابتي ؟

الأب : على سبيل المثال اذكر لك انه افاض في مدح « هرم بن ســـنان » و « الحارث بن عوف » اللذين توسطا للصلح بين (عبس) و (ذبيان) في حرب (داحس والغبراء)

ليلى : ها •• ها ••

الأب : ويذكر أنه لمدحه (هرم بن سنان) واشادته به ان هرما حلـــف

الا يمدحه زهير الا أعطاه ، ولا يسلم عليه الا اعطاه ولا يسأله الا اعطاه فاستحيا زهير من ذلك فكان اذا رآه في ملأ قال :

ـ زهير :

« عموا صباحا غير هرم ، وخيركم استثنيت »

الأب : ومن شعره في مدح (هرم) قوله :

ـ زهير :

ومرهق النيران يحمد في ال
ـلأواء غير مُلعَّن القدر
واذا برزت به برزتَ الى
ضافي الخليقة طيب الخبر
متصرف للمجد معترف
للنائبات يراح للذكر
أثني عليك بما علمت وما
سلفت في النجدات والذكر

ليلى : مدح فخم وتقدير كبير

الأب : هذا ما عرف عنه ... والواقع ان مدحه كان صورة صادقة لممدوحيه، فهو ينقل أحاسيسه من غير ما تصنع ولا مبالغة لا كما وصفه (ابن سلام) صاحب (طبقات الشعراء) بكونه من المبالغين في المدح .

ليلى : هذا هو رأي ابن سلام فيه ؟

الأب : نعم ... وبالمناسبة ، تذكر سيرة زهير ان عمراً بن الخطاب (رض) قال لبعض ولد (هرم) : أنشدني بعض مدح زهير أباك ، فأنشده . فقال عمر (رض) : انه كان ليحسن فيكم القول ، فقال ابن هرم : ونحن والله كنا لنحسن له العطاء .فقال رضى الله عنه : قد ذهب ما اعطيتموه وبقي ما اعطاكم !

ليلى : وهذه عين الحقيقة

الأب : فعلا ••• فشعره من القريض الذي خلد عبر العصور ••• فلقد مرت به أحداث الهمته القول الصائب والرأي السديد وواضح ان لطبيعة الفترة التي عاشها اثر في كل ذلك •

ليلى : تعني ••••

الأب : اعني فترة النضج التي سبقت بزوغ الاسلام ••• وهي فترة تهيء واختبار وتأمل ولهذا فاضت على شعره بألوان مختلفة من الحكم تصور تجاربه ووقاره وايمانه بالبعث ، أليس هو القائل•••

ـ زهير :

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم

ليخفى ومهما يكتم الله يعلم

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر

ليوم حساب أو يعجل فينقم

الأب : ويبدو ان زهيراً قد سئم الحياة بعد ان اعياه اكتناه الغيب المخبأ كما سئم الفوضى ، فوضى مجتمعه يوم ذاك •

ليلى : قبل الاسلام

الأب : قبل الاسلام طبعاً ، وليس من نور يتراءى لتلك الجموع التي تتخاصم وتتحاور وتحيا وتموت ••• فكانت حكمته خلاصة افكاره ••• انه يقول في معلقته :

ـ زهير :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش

ثمانين حولا لا ابالك يسأم

واعلم مافي اليوم والأمس قبله

ولكنني عن علمِ ما في غدٍ عَم

رأيتُ المنايا خبطَ عشواء مَنْ تُصِبْ

تمتــه ومــن تخطيء يعمر فيهرم

ومــن لم يصانــع في أمــور كثيرة

يضرس بأنيــاب ويوطـأ بمنســم

ومن يك ذا فضــل فيبخــل بفضله

عــلى قومــه يستغن عنــه ويذمــم

ومــن يجعل المعــروف في غير أهــله

يــكن حمــده ذماً عليه وينــدم

ومهما تــكن عند امرىء من خليقة

وان خالهــا تخفى على الناس تعلم

وكائن ترى من صامت لــك معجب

زيادتــه أو نقصــه في التكــلم

لسان الفتى نصف ونصــف فؤاده

فلم يبق الا صورة اللحم والــدم

الأب : الى اخر ماقاله في معلقته المشهورة

ليلى : ان شعره هذا فعلا ــ كما سبق وقلت لي ــ يمثــل وعاءشخصيتــه وخلاصة افكاره .

الأب : رحمه الله ... فهو عبر حياته الطويلة حيث كانت ولادته عــام (٥٣٠) للميلاد ووفاته عام (٦٢٧) للميلاد ، كان كــذلك ، رجــل الحكمة والوقار والرأي السديد ... ويوم حم القضــاء وانتقلت روحه الى بارئها وقفت اخته الخنساء الشاعرة ترثيه وتقولُ ...

ــ صوت نسائي :

ومــا يغنى تــوقي المــوت شيئاً

ولا عقــد التميــم ولا القضــاء

ليلى : رحمه الله

الخليل بن احمد الفراهيدي

– جلسة الأب وابنته ليلى –

ليلى : (وكأنها تتم حديثاً) ••• الآن يا ابتي ، وقد انتهيت من الكتاب الذي أعرتني اياه ، وامتعتني به أيما امتاع ، أود أن اسمعك هذا المقطع منه وأريد رأيك فيه •

الأب : تفضلي ••• (يضحك) •• عسى ان اكون ممن يملك الرأي •

ليلى : (تضحك) •• كيف لا يا ابتي ••• يقول المؤلف :

– صوت :

« اجتمع أدباء من كل افق بمكة فجعل أهل كل بلد يرفعون علماءهم ويقدمونهم حتى جرى ذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي فلم يبق أحد الا قال ان الخليل من أذكاهم » •

الأب : هذا صحيح •

ليلى : (مداعبة) اذا كان هذا هو الرأي فيـه ، فهل لي يا أبتي أن أسـمع منك عنه ؟

الأب : ان الفراهيدي يا ليلى أحد الاعلام الخفاقة في دنيا تراثنا الفكري ، والحديث عنه حديث عن العبقرية والذكاء والمواهب الجمة ، كما هو حديث عن الزهد والتعفف والنفس الأبية والخلق الكريم •

ليلى : هذا رائع •

الأب : تاريخه يذكر انه رغب في العلم صبياً وأنه بعد ان جاهد شاباً دفاعا عن الثغور الاسلامية ضد الروم انصرف بكليته الى مجالس العلماء ينهل منها ويستزيد •

ليلى : وهكذا تسنم مركزه العلمي ؟

الأب : قيل انه بعد ان بلغ الشأو وحقق الغاية من المعارف أراد له بعض أصحابه ان يناظر شيخاً من شيوخ حلقات العلم فاذا ما افحمه وظهر عليه حق له ان يحتل مكان الاستاذية •••

ليلى : وهل ناظر أحدهم ؟

الأب : لقد حضر حلقة أحد الشيوخ المبرزين يومذاك وهو (أبو عمرو ابن العلاء) واستطاع ان يجد المنفذ الذي ينفذ اليه منه لكنه أبى وتعفف وقال لاصحابه الذين أتهموه بالعته والجبن ••••

ـ صوت الخليل :

« لست جبانا ولا معتوها ، ولكني رأيت شيخاً هرماً قد حمل العلم ستين سنة وافاد الناس وترأسهم خمسين عاما ، رأيته يخرج علما من عنده اكتشفه واذاعه • فأخذته من شيوخي سهلا يانعا ، ثم فتق لي منه عددا من المسائل ما كنت لأجدها لولاه ، فوجدت قبيحا بي أن اسقطه بها ـ وقد أخرجتها بفضله ـ فأفضح علمه في البلد ، وأضيع حقه وحرمته ••• لافعلت ذلك أبدا » •

ليلى : انه منتهى الخلق الرفيع •

الأب : فعلا ، فهو مثال نادر في هذا الباب •

ليلى : وماذا فعل ـ بعد ذلك ـ يا ابتي ، اذاً ؟

الأب : لقد انقطع الى ابي عمرو بن العلاء نفسه وبسط له المسائل التي وجدها ،فأعجب به وشجعه على المضي •

ليلى : هذا أمر بديع

الأب : ومن هنا انطلق الى التفكير المبدع ، فما كان الناس يرونه الا مطرقاً يعمل فكره •

ليلى : ومثل ماذا من ثمرات هذا الفكر يا ابتي ؟

الأب : الذي شغله في البدء كون القواعد العامة المنطقية ليست أمراً سهلا ايجاده في لغة كثرت لهجاتها وتوزع أهلها في بلاد واسعة كاللغة العربية ولكن الخليل ليس من اولئك الذين تثنيهم الصعوبات •

ليلى : وماذا عمل اذاً ؟

الأب : كان اذا وجد في قياسه خللا أحدث قياسا جديدا ، بل قياسات عديدة ، ولم يكن يرتضي بالنتيجة التي يصل اليها حتى اذا كشف عن سر لم يجعل ذلك غاية سروره بل عاد الى التأمل فيه ونقده بل نقضه اذا اقتضى الأمر •

ليلى : وهل حقق شيئاً ؟

الأب : بل اشياء كثيرة ، ولقد اكتشف في النحو قواعد وضوابط ادهشت شيوخه ، ورفعت من شأنه لدى العلماء ورجال المعرفة •

ليلى : هذا أمر جميل •

الأب : وترجمة حياته تروي انه انقطع بعد ذلك عن الناس وصار اصدقاؤه يبحثون عنه فلا يرونه حتى وجده أحد اصحابه يخرج مبكرا الى الصحراء فداعبه ووصفه بالعاشق الولهان الذي يناجي حبه في الصحارى •

ليلى : (تضحك) •

الأب : ولما سأله عن جلية الأمر قال له الخليل :

ـ الخليل :

ـ انت تعلم ان الحروف التي تتشابه صورتها تميز عن بعضها في الكتابة بنقاط كالجيم تميز عن الحاء بنقطة في اسفلها •

الأب : قال صاحبه نعم • فقال الخليل :

ـ الخليل :

ـ وانت تعلم أن ابا الأسود الدؤلي رحمه الله ضبط حركات الحروف من فتح وضم وسكون بالنقاط أيضاً ، توضع اعلى الحرف أو أسفله أو على يمينه أو على شماله ، وكذلك تختلط النقاط المميزة للحروف بالنقاط المميزة للحركات .

الأب : فقال له صاحبه :

ـ يا للعجب ، وكيف يتم الاختلاط اذا كتب كل نوع منها بحبر خاص ؟. فالنقاط المميزة للحروف تكتب بالاسود والضابطة للحركات بالاحمر .

الأب : فقال الخليل :

ـ الخليل :

ـ ان ما يشغلني هو تسهيل الامر على المتعلمين والكاتبين والقارئين ، اريد ان اجد ما يكتب الناس به دون تغيير الحبر وان لا يضطرب أمر المتعلمين من كثرة النقاط واشتباكها » .

ليلى : وهل وجد ؟

الأب : نعم ، يقول الخليل :

ـ الخليل :

« الامر الذي خطر على بالي هو على غاية من البساطة ، وذلك أن يرسم فوق كل حرف محرك صورة حرف المد الذي يقابل حركته ، فان كانت حركته الفتح أضفنا عليه الفاً صغيرة وان كانت الضم وضعنا واواً وان كان الكسر وضعنا ياء .

ليلى : اذاً هو الذي ابتكر هذه الاشارات ؟

الأب : نعم ، وابتكر غيرها

ليلى : مثل ماذا يا ابتي ؟

الأب : على هدي ما سمعه من اصوات الطرق في سوق الصفارين في البصرة

واصوات مطارق الجلد في سوق (القصارين) وهم الذين يتولون تنظيف الثياب استطاع بعد تمعن واستقـراء اكتشاف سر المـوسيقى واصلها •

ليلى : كيف يا أبتي ؟

الأب : لقد درس اصوات الضرب المنبعثة من مطارق النحاس والاخرى التي تبعثها مطارق الجلد وفحص انواع هذه المطارق وتمكن بذكائه الخارق من وضع كتابه في الموسيقى الذي اسماه تراكيب الأصوات •

ليلى : رجل متعدد المواهب •

الأب : كيف لا ، بل قد تعجبين غاية العجب اذا اخبرتك أنه بعد هذا ، ونتيجة معاشرته لأهل الموسيقى والغناء استطاع ان يذيع رأيه المشهور الذي مؤداه أن (السكون في الشعر كالسكون في الموسيقى) •

ليلى : وما معنى هذا ؟

الأب : معناه أن الرجل استطاع ان يضع ضابطاً للشعر العربي •

ليلى : تعني •••

الأب : اعني ميزان الشعر الذي اكتشفه الخليل ، فلقد كان الاعاجم يرون أن لا ضابط لشعر العرب بينما اتضحت اصول شعر اللغات الاخرى وعرفت مقاييسه فلا سبيل الى الخروج عنها •

ليلى : ان دوره اذاً في هذا المضمار دور كبير •

الأب : بل هو الرائد الذي لم يسبقه أحد في هذا المجال ••• (يتضاحك) أذكر حكاية قرأتها عن الخليل وهو في هذه المرحلة من مراحـل بحثه غاية في الطرافة •

ليلى : ما هي يا ابتي •؟

الأب : قيل ، كان الخليل يخفي رأسه في فوهة بئر بيته ويقابل قواعده التي استنبطها على مقاطع الشعر العربي حيث تظهر المقاطع واضحـة في الصدى الذي تحدثه البئر •

ليلى : ها •• ها ••

الأب : لكن ابنه عبدالرحمن ظن به الجنون فخـــرج يستغيث ويجهش بالبكاء وينعى للناس عقل والده •

ليلى : (تضحك)

الأب : ويهرع القوم اليه فيجدونه منكباً على تطبيقـــاته وعندما يعلم سبب مجيئهم يخبرهم أنه على موعد معهم في المسجد حيث سيذيع على الملأ سر ما توصل اليه • الا أنه يلتفت الى ابنه ويقول له بلهجةالحزين :

ـ الخليل :

لو كنت تعلم ما أقــول عــذرتني
أو كنت تعلــم ما تقــول عذلتكا

لــكن جهلت مقــالتي فعــذلتني
وعلمت أنــك جاهــل فعذرتكــا

ليلى : (تضحك) وهل التقى بعد ذلك بالقوم في المسجد الجامع ؟

الأب : نعم ، وكشف لهم عن سر الشعر العربي وضــبطه ، ومنذ ذلك الحين عرف الناس كيف يتقون الخلل ، وما استطاع انسان أن يقول غير الشعر فيدعي أنه الشعر ••• فلقد نادى الخليل الناس بصوت جهوري •••

ـ الخليل :

••• ألا أيها العرب ، اعتزوا بشعركم ، وفاخروا الأمم بموسيقاه وحسن ضبطه » •

ليلى : عمل كبير !

الأب : ولكنه لم يقف عند هذا الحد

ليلى : اذاً ماذا اضاف الى تراثه الكبير يا أبتي ؟

الأب : لقد وضـع مقدمة كتاب (العـين) وأوكل الى الليث بن المظفر بن نصر بن سيار تتمة هذا البحث الجليل بتوجيهه وارشاده وهـــو

مشروع جليل عمد فيه الى وضع معنى كل لفظ ومشتقات كل مصدر .

ليلى : رجل واسع الفكر

الأب : بلا شك ، ثم أنه أمد تلميذه (سيبويه) بعلمه ومعرفته وأعانه على وضع كتابه النحوي الشهير .

ليلى : سيبويه من تلاميذه ؟!

الأب : نعم ، وقد جمع التلميذ في (الكتاب) أقوال استاذه في النحو وأضاف اليها أقوال غيره ونظمها بعقد معرفته واخرج مصنفه الشهير (قران النحو) وعرفه الناس باسم (الكتاب) .

ليلى : الخليل بن أحمد الفراهيدي يا ابتي اذاً استاذ الاساتذة .

الأب : كيف لا يا ابنتي ... رحمه الله ، فقد كانت جهوده العلمية كبيرة وفذة وقد خلف تراثا خالدا ستبقى تشيد به الأجيال ... فما أصدقه عندما قال لأهله وتلامذته وهو مسجى على فراش الموت اثر اصابة برأسه في سارية الجامع عندما زلت قدمه اصابة بالغة طرحته أرضا والدماء تنزف منه بغزارة :

ـ الخليل ، بصوت المصاب ،

« ... لا تبكوا ، فوالله ما فعلت فعلا اخاف على نفسي منه ، وماكان لي فضل فكر صرفته الى جهة وددت بعد ذلك أني كنت صرفته الى غيرها ... وما علمت أني كذبت متعمداً قط ، وأرجو أن يغفر الله لي التأول » .

الأب : ... وهكذا لقي وجه ربه عن اربع وسبعين سنة في عام ١٧٥ للهجرة الموافق ٧٩١ للميلاد بعد ان قدم كل تلكم الأعمال العظام .

ليلى : رحمه الله ...

ابو تمام

ـ جلسة الاب مع ابنته ليلى ـ

الأب : ... معذرة يا ليلى ، لم انتبه جيداً لما قلت .

ليلى : قلت لك يا أبتي انني سمعت اليوم الوانا من الاستشهادات الادبية في موضوع السفر لم اسمع بمثلها من قبل .

الأب : كيف ؟

ليلى : لقد عرض علينا استاذنا في المعهد فكرة سفرة مدرسية الى قطر عربي في العطلة القادمة .

الأب : واستشهد الطلاب بالشعر والادب على أهمية السفر ، أليس كذلك؟

ليلى : وبمنتهى الاطناب والاستفاضة ... وكل منهم عزز رأيه بقول مأثور أو بيت مشهور .

الأب : (يضحك) هذا لطيف ، وهو يدل على متابعة وحفظ ادبي مشكور.

ليلى : بلا شك

الأب : اقول يا ليلى ....

ليلى : نعم يا ابتي

الأب : ترى ما الذي اعجبك من الشواهد اكثر من غيره ، وهل كان من الشعر أم من النثر

ليلى : من الشعر يا أبتي

الأب : لقد حدست ذلك فعلا (يضحك) فنت من هواة الشعر وعشاق القريض .

ليلى : لو سمعت الاستشهاد الذي أعجبني لما خالفتني فيه قط

الأب : أأستطيع ان اسمعه منك ؟

ليلى : لم لا ... يقول الشاعر :

وطول مقام المرء في الحي مخلق
لديباجتيه فاغترب تتجدد
فاني رأيت الشمس زيدت محبة
الى الناس ان ليست عليهم بسرمد

الأب : وكيف لا يعجبني هذا القول يا ليلى وهو لابي تمام ، علم الشعر الخفاق ؟

ليلى : أبو تمام ؟

الأب : نعم ، حبيب بن أوس الطائي ، أما سمعت به من قبل ؟

ليلى : سمعت ، ولكن بشكل عابر ، فأنا لذلك ، أجهله أو أكاد ....

الأب : انه يا بنيتي أشهر من أن يجهل ، وتراثه الضخم الذي خلفه ثروة شعرية وادبية لا تجارى .

ليلى : هكذا اذا يا ابتي ..

الأب : كيف لا يا ليلى ... انني في الواقع ماذكرت أبا تمام الا وذكرت رائعته التي يقول فيها :

اذا جاريت في خلق دنيئاً	فأنت ومن تجاريه سواء
رأيت الحر يجتنب المخازي	ويحميه من الغدر الوفاء
وما من شدة الا سيأتي	لها من بعد شدتها رخاء
لقد جربت هذا الدهر حتى	أفادتني التجارب والعناء
يعيش المرء ما استحيا بخير	ويبقى العود ما بقي اللحاء
فلا والله ما في العيش خير	ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

ليلى : شعر بديع

الأب : ان أبا تمام في قصيدته هذه ضمن بعض الابيات لشعراء غيره مثل (النظار بن هاشم الازدي) و (قيس بن الخطيم) •

ليلى : من وجهة النظر النقدية يا أبتي ، هلا يؤاخذ الشاعر على هـــذا التضمين ؟

الأب : التضمين كفن لاغبار عليه ، الا ان بعضهم حسبه سرقة على أبي تمام لانه أورده بدون أن يدل عليه •

ليلى : وهل بالامكان رد هذا الزعم ؟

الأب : بلا شك ، فهذه الابيات نفسها سجلها أبو تمام في ديوان الحماسة الذي اختاره من شعر العرب •

الأب : وما هو ديوان الحماسة يا أبتي ؟

لأب : لكي اعلمك ما هو ديوان الحماسة لابد لي ان اروي لك قصة تاليفه وكيف أنجز أبو تمام هذا السفر الضخم ؟

ليلى : كيف يا أبتي ؟

الأب : في تاريخ حياته أنه سافر مرة الى خراســان وبقي فيهــا ردحا من الزمن طويلا فلما رجع الى العراق عرج على (همذان) ، فانزله فيها (أبو الوفاء بن سلمة) واكرمه • فاصبح ذات يوم وقد وقع ثلج عظيم قطع الطريق ومنع السابلة • فقال له أبو الوفاء :

ـ « وطن نفسك على المقام فان هذا الثلج لا ينحسر الا بعد زمان »

ليلى : وما ذا فعل اذا ؟

الأب : لقد أحضر أبو الوفاء أبا تمام الى خزانة كتبه فطالعها واشتغل بها وصنف خمسة كتب في الشعر منها كتاب الحماسة • وهذا الكتاب هو السبب الرئيسي في مجــد أبي تمام وشهرته حتى قال عنــه شارحه (التبريزي) :

ـ ان ابا تمام في حماسته أشعر منه في شعره » •

ليلى : ها ... ها ... وماذا اذا عن شعره يا أبتي ؟

الأب : الواقع ان شعر الطائي حفلى بالكثير من الآراء المتضاربة فيه والملاحظات المختلفة عنه .

ليلى : كيف ؟

الأب : ان شعره يمتاز بصناعة اللفظ ، وجودةالفن ، وكثرة الحكم والامثال واستخدام البراهين والاقيسة المنطقية ، وهذا قد يفضي به الى التقيد أحيانا .

ليلى : قلت لي يا أبتي ان الرأي في شعره متضارب .

الأب : نعم ، فمثلا ، يروي أبو الفرج الاصبهاني في كتابه الشهير (الاغاني) ان أبا تمام افرط في التصنيع افراطا سبق فيه جميع الشعراء ، حيث يقول :

— « ان لابي تمام مذهبا في المطابق هو كالسابق فيه جميع الشعراء وان كان قد فتحوه قبله » .

ليلى : ها .... ها ....

الأب : ويذهب (الآمدي) الى ان « استكثار أبي تمام الطباق وافراطه فيه من أعظم ذنوبه واكبر عيوبه » .

ليلى : هكذا ؟

الأب : نعم ، ويرى غيرهم غير هذا الرأي ويذهب الى أن صناعة الشاعر مجيدة وذات طلاوة وعذوبة ويذهبون الى أن في شعر أبي تمام الامثلة الحية على قابلية حجيرات اللغة العربية للتجديد وعلى تحويل بيانها بحيث يستسيغ السامع منها ماكان يعافه .

ليلى : هذا رأي المحدثين ، كما أرى .

الآب : نعم ، وهم يضربون لذلك مثلا بقوله :

— أبو تمام :

فلويت بالمعروف أعناق المنى وحطمت بالانجاز ظهر الموعد

الأب : مهما يكن من أمر فهو ابن بيئته وقد تأثر بثقافات عصره فصب تأثراته
في اطارات قوافيه ، لذلك قال عنه بعضهم انه « حكيم أكثر من شاعر » .
ليلى : ومثل ماذا من امثلة شعره يا أبتي ؟
الأب : ان أبا تمام شاعر كبير وان تراثه ضخم ، ولا أظن الامثلة التي
سأضربها لك تمثل غير غيض من فيض .
ليلى : الامر واضح يا أبتي .
الأب : قصيدته التي أعجبت ببيتيها اللذين وردا كاستشهاد على أهمية
السفر على لسان زملائك في الصف يوجهها الى التي ثقل عليها سفره
وصعب عليها الفراق فيقول مسلسلا المعاني باسلوبه الرائع :
أبو تمام :

غدت تستجير الدمع خوف نوى غد
وعاد قتادا عندها كل مرقد

وانقذها من غمرة الموت أنه
صدود فراق لا صدود تعمد

فأجرى لها الاشفاق دمعا موردا
من الدم يجري فوق خد مورد

هي الشمس يغنيها تودد وجهها
الى كل من لاقت وان لم تودد

ولكنني لم أحو وفرا مجمعا
ففزت به الا بشمل مبدد

ولم تحبني الايام نوما مسكنا
الذ به الا بنوم مشرد

وطول مقام المرء في الحي مخلق

. . . .

ليلى : تكمل البيت ـ

لــديباجتـه فاغتــرب تتجـــدد

الأب : أرأيت ؟

ليلى : قصيدة بديعة .

الأب : وله من الروائع كثير ، انه ـ مثلا ـ يمدح (بني شيبان) لبسالتهم في حرب (ذي قار) فيقول :

أبو تمام :

اذا افتخــرت يومـا تميم بقوسـها

وزادت على ما وطـدت من منـاقب

فـأنتم بذي قار أمـالت سـيوفكم

عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

الأب : ويقول للخليفة المعتصم حين انتصـر للمضـامين في (عمورية) وافتتحها ....

ـ أبو تمام :

عداك حر الثغــور المسـتضامة من

برد الثغــور ومن سلسالها الشــنب

الأب : ويقول يفاخر بقومه :

أبو تمام :

بهـاليل لو عـاينت فيض أكفهم

لايقنت ان الرزق في الارض واســع

اذا خفقت بالبــذل أرواح جـودهم

حداها الندى . واستنشقتها المطامــع

رياح كريح العنبر الغض في النــدى

ولكنهـا يوم اللقــاء زعازع ....

الأب : ومن شعره في الحكمة :

ـ أبو تمام :

ينال الفتى من عيشــــه وهو جـاهل
ويكدي الفتى في دهـره وهو عـــالم
ولو كانت الارزاق تأتي على الحجـا
هلكن اذن من جهلهـــن البهـــائم

ليلى : هذه نماذج بديعة ... ورائعة يا أبتي .

الأب : وهي ـ كما قلت لك ـ أقل من القليل .

ليلى : نسيت أن أسألك يا أبي عن ترجمة حياته الخاصة ... فقد استطردنا بحديثه الممتع ..

الأب : نعم ، خلاصتها انه ولد حوالي سنة ١٩٢ للهجرة أي (٨٠٧) الميلادية في قرية (جاسم) قرب بحيرةطبرية .وقدتنقلمع ابيهوهويلتمساسباب الرزق ، فقضى زمنا في حمص ثم قصد أبو تمام مصر وامتهن السقاية في جامع عمرو بن العاص بالفسطاط . وقد غادرها الى الشام ثم الى العراق حيث مدح المعتصم ووزراء الدولة وولاتها فقربوه ثم تولى بريد الموصل ومات بها عام ٢٣١ للهجرة أي سنة ٨٤٦ الميلادية .

ليلى : مات بالموصل ؟

الأب : نعم ، ودفن بها ... رحمه الله ـ فقد روى ان يعقوب الكنـدي ، لما رأى كد أبي تمام لذهنه في تحلية شعره بالمعاني والبديع ... قال : هذا رجل يموت قبل حينه .

ليلى : وحدث ذلك فعلا ؟

الأب : نعم ، فقد مات ولم يتجاوز الاربعين ... ولسان حاله يردد قوله :

ـ أبو تمام :

أظن الـــدمع في خـــدي ســـيبقى
رســـوما من بكـــائي في الرســـوم

ـ الختام ـ

البُحتُرى

ـ جلسة الأب وابنته ليلى ـ

الأب .. مؤثرات لدخوله /... اسعدت مساء يا ليلى

ليلى : ومساؤك أسعد يا أبتي .

الأب : ها ، ماذا تقرأين ؟.. دروس مدرسية ؟ .

ليلى : (ضاحكة) لا يا أبتي ، أوسع منها .

الأب : اذا ماذا ؟.. لابد أن يكون كتاباً وفق هواياتك .

ليلى : طبعا .. كتاب يبحث في الصور الادبية والاوصاف الشعرية .

الأب : كتاب لذيذ بدون شك .

ليلى : وقيم يا أبتي .

االأب : وهل سجلت ـ كالعادة ـ ملاحظات عن البحث ؟

ليلى : بضع ملاحظات عابرة .

الأب : مثل ماذا ؟

ليلى : لقد لاحظت يا أبتي فوارق واضحة بين الشعر الجاهلي وهذا الشعر الذي أقرأه الآن .. شعر العصر العباسي .

الأب : تعنين في صور الوصف ؟

ليلى : نعم ، فالوصف هو موضوع الكتاب الذي أقرأه .. ولقد وجدت خروجا عن التشبيهات القديمة والصور التي عرفها الشعر الجاهلي

كوصف الصحراء وحيواناتها ونباتاتها والتشبيه بالاسد كرمز للقوة والبأس والمنافسة وبالناقة كنموذج للصبر واحتمال المصاعب والغزال كمثال فذ للجمال •• أقول وجدت خروجا على تلك الصور القديمة وجديدا لم أقرأه في شعر الجاهلية •

الأب : ملاحظة فطنة بدون شك ••••

ليلى : (ضاحكة) شكرا يا أبتي •

الأب : مثل ماذا لفت نظرك يا ليلى •

ليلى : استمع يا أبي ـ على سبيل المثال ـ الى هذه القصيدة للشاعر البحتري وهو يصف قصرين للخليفة العباسي (المتوكل) بسامراء يقال لاحدهما (الصبيح) ويسمى القصر الآخر (المليح) •••

ـ البحتري :

قد صفا جانب الهواء ولذت	رقة الماء في مزاج المدام
واستتم (الصبيح) في خيروقت	فهو مغنى انس ودار مقام
ناظر وجهه (المليح) فلو يسـ	تطيع حياه معلنا بالسلام
كالمحبين لو أطاقا التقاء	أفرطا في العناق والالتزام
مستمد بجدول من عباب ال	ماءكالابيض الصقيل الحسام
واذا ما توسط البركة الحسـ	سناء ألقت عليه صبغ الرخام
فتراه كأنه ماء بحر	يخدع العين وهو ماء غمام
شوقتنا الى الجنان فزدنا	في اجتناب الذنوب والآثام

ليلى : أسمعت يا أبتي ؟

الاب : كيف لا يا ليلى ، فأنا بالبحتري من المعجبين ، انني من بين الذين يحفظون له الكثير من روائعه •

ليلى : هكذا اذاً •

الاب : طبعا يا ابنتي •• فللرجل مزية فريدة في اسلوبه تعود الى حسن مزجه بين طابعي الاسلوب البدوي والحضري •

ليلى : وكيف تم له ذلك يا أبتي ؟

الاب : هو في حكم نشأته البدوية مطبوع على المتانة والقوة والجريان على السجية •• وفي حكم حياته الحضرية وثقافته وتنقله في البلاد اكتسب الرقة والسلاسة والسهولة فمزج بين الخاصتين فكان اسلوبه جامعا بين المتانة والرقة مطبوعا لا تعمل فيه ولا تكلف •

ليلى : هذه ميزة نادرة لشاعر موهوب •

الاب : بلا شك •• استمعي اليه ـ مثلا ـ يصف الطبيعة المزهرة في صورة من صورها الملونة فيقول :

ـ البحتري ـ

هذي الرياض بدا لطرفك نورها ... فأرتك أحسن من رباط السندس

ينشرن وشيا مذهبا ومدبجا ... ومطارفا نسجت لغير الملبس

وأرتك كافورا وتبرا مشرقا ... من قائم مثل الزمرد أملس

متمايل الاغصان في حركاته ... كسل النعيم وفترة المتنعس

فاذا طربت الى العيون وغنجها ... فأجل لحاظك في عيون النرجس

ليلى : هذا شعر بديع •

الاب : ان روائع البحتري كثيرة •• وهو في أغلب فنون الشعر كذلك •• ان له قصيدة رائعة يصف فيها الربيع فيصوره بريشة الرسام المبدع الذي يستجلى الجمال ويستلهم الروح ••• انه يقول :

ـ البحتري ـ

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا ... من الحسن حتى كاد أن يتكلما

وقد نبه النيروز في غسق الدجى ... أوائل ورد كن بالامس نوما

يفتقها برد الندى فكأنه ... يبث حديثا كان قبل مكتما

فمن شجر رد الربيع لباسه ... عليه كما نشرت وشيا منمنما

أحل فأبدى للعيون بشاشة ... وكان قذى للعين اذ كان محرما

ورق نسيم الروض حتى حسبته   يجيء بأنفـاس الأحبـة نعما
فما يحبس الراح التي أنت خلها   وما يمنـع الاوتار أن تترنمـا

ليلى : هذا فعلا من روائع الشعر •• حقا يا أبتي انالبحتري لوصافمبدع •
الاب : وهو في غير هذا الوصف مبدع كذلك •• فمن مدحه ـ مثلا ـ قوله:

ـ البحتري ـ

دنوت تواضـعا وعلوت مجـدا   فشأناك انحـدار وارتفـاع
كذاك الشمس تبعـد ان تسـامى   ويدنو الضوء منهـا والشـعاع

الاب : وقال ايضاً •••

ـ البحتري ـ

مني وصـل ومنـك هجر   وفي ذل وفيـك كبـر
قد كنت حرا وأنت عبـدٌ   فصرت عبـدا وأنت حر
أنت نعيمي وأنت بؤسـي   وقد يسـوء الذي يسـر

ليلى : روائعه كثيرة ••• أقول يا أبتي •••

الاب : نعم ؟

ليلى : ترى ماذا عن حياة البحتري بعـد أن أطلعتني على بعض جوانب فنون شعره ؟

الاب : البحتري هو أبو عباده الوليد بن عبيد الطـائي ولد كما تروي سـيرته في (منبج) وهي مدينـة بين حلب والفرات في عام ٢٠٦ للهجرة الموافق لعام ٨٢١ الميلادي •

ليلى : وفي (منبج) نشأ ؟

الاب : نعم ثم اتصل بأبي تمام الذي ينتمي الى قبيلته ، فكلاهما طائيان ، عند حضوره الى حمص فلما اقتنع أبو تمام بملكته الشعرية أوصى به أشراف معرة النعمان فمدحهم البحتري وأجزلوا له العطاء •

ليلى : وهل بقي في تلـــك المرابع ، أعني منبج وحمص ومعرة النعمان يا أبتي ؟

الاب : لا ••• بل جاء بعدها الى العراق ••• ويروى انه في الطريق لقي الذئب فوصفه ، وقص حكاية قتله بقصيدة دالية مطلعها :

ـ البحتري ـ

سلام عليكم لا وفاء ولا عهد   أما لكم من هجر أحبابكم بد ؟

ليلى : وماذا عنه في العراق ؟

الاب : لقد كان العهد ـ عندما قدم اليه ـ عهد الخليفة العباسي المتوكل ••• وقد مدحه كما مدح كبار حاشيته ، وأقام في العراق زمنـا طويلا فلما أفضت الخلافة الى (المستعين) ومن بعده الى (المعتز) لم يحظ البحتري بطائل فغادر بغداد ورجع الى بلده مخيب الآمال وثار لنفسه فهجا الخليفتين هجاء مرا •

ليلى : وهكذا قضى حياته ؟

الاب : الواقع ان صروف الحياة قد تقلبت به وتقلب بها ••• ولطـــالما اضطرته الى المديـــح والثناء بدافـع من التكسب المحض والمصلحـة الخاصة ، الا ان في حياة البحتري جانبا عاطفيا مهما ترك في شعره آثاره البارزة •

ليلى : وما هو يا أبتي ؟

الاب : عندما تفتحت شاعرية البحتري في مسقط رأسه أحب فتاة تدعى (علوة بنت زرعة) وفي شعره الكثير من معاناته لهذا الحب •

ليلى : مثل ماذا يا أبتي ؟

الاب : شعره في هذا المجال كثير ، ومنه على سبيل المثال •••

ـ البحتري ـ

اذا ما الكرى أهدى اليَّ خيـاله   شفى قربه التبريح أو نقع الصدى

اذا انتزعتـه من يدي انتبـــاهة عددت حبيبا راح مني أو غـــدا
ولم أر مثلينا ولا مثـل شأنتــــا نعذب أيقــاظا وننعم هجــدا

الاب : أتلمست مدى شاعريته الخصبة ؟

ليلى : فعلا يا أبتي

الاب : وذلك ما أجمع عليه جميع نقاده .... ويكفي ان (المتنبي) قال فيه : انه أبرز الشعراء المحدثين ، وبالمناسبة فالبحتري نفسه يفتخر باصالة شعره وما اجتمع له من العقل والتجربة في فنه الذي خـلا من كل تكلف . هذا بالاضـــافة الى أن (الجرجاني) صاحب (أسرار البلاغة) فضل سلاسة ألفاظه ووضوح بيانه على غموض أبي تمام .

ليلى : تقيمات لفنه ثمينة .

الاب : كيف لا وهو صاحب الرائعـــة المعروفة (بركة المتوكل) التي يقول فيها :

ـ البحتري ـ

يا من رأى البركة الحسناء رؤيتها والآنســات اذا لاحت مغـــانيها
بحسبها انها في فضـــل رتبتهـــا تعـــد واحدة والبحر ثانيهـــا
ما بال دجلـــة كالغيرى تنافسها في الحسن طـورا وأطوارا تباهيها
كأن جن سليمان الـــذين ولوا ابداعهـــا فأدقوا في معــــانيها
فلو تمر بها بلقيس من عـــرض قالت هي الصـــرح تمثيلا وتشبيها
تنصب فيهـــا وفود المـــاء معجلة كالخيل خارجـــة من حبل مجريها
كأنها الفضـــة البيضـــاء سـائلة من السبائك تجرى في مجاريهـــا
فحاجب الشمس أحيانا يضاحكها وريق الغيث أحيـــانا يباكيهـــا

.... يتلاشى صوته

ـ موسيقى الختام ـ

الشريف الرضي

الاب ـ وابنتــه ليلى ـ

ليلى : « وكانها تتم قراءة بدأتها »

ليلى : أمنصت الي يا ابتي ؟

الاب : طبعــا

ليلى : (مواصلة) • ويقول الدكتور زكي مبارك في وصف نكبة الرضي : « وزاد في هول تلك المأساة انها صادفت فتى رقيق الحس ، مرهف القلب ، شاعر الروح ، فصيرته وترا حنّانا يجيـــد تصوير الاسى وترجيع الانين » •

الاب : ذلك حق فعلا

ليلى : كيف يا ابتي

الاب : المعروف يا ابنتي ان حياة الشريف الرضي لم تجر هينة لينـــة وكانت في اغلبها قاسية عليه ثقيلة الوطأة على نفسه •

ليلى : وما هي تفاصيل نكبته التي اشار اليها مؤرخوه

الاب : اضافة الى ظروف الحياة العامة التي عاشها وهو الشاعر المرهف الحس فالذى اثر في نفسه واوجعه هو سجن ابيه ومصادرة املاكه والرضي لما يزل يافعا •

ليلى : وماذا عن الظروف العامة التي عاشها يا ابتي ؟

الاب : لقد عاصر الرضي الثورة التي قامت بين الديلم والاتراك وشهد

ما جرته من المآسي على ابناء بلاده فمن الطبيعي ان يتأثر بهـا وان تؤثر فيه .

ليلى : هذا واضح

الاب : ويمكنك ان تزيدى عليه طموح الرضي وتطلعه الى المجد لـولا معاكسة الظروف ... انه يقول

ـ الشريف الرضي :

ولي امل كصدر الرمح ماض   سوى ان الليالي من خصـومي

ليلى : هكذا ؟

الاب : هكذا كانت رؤيته الى واقعه . شاب طموح جمع بين العلم واصالة النسب والشاعرية الخصبة فمن الطبيعي ان ينعى ظروفه اذا ما تعثرت به الخطى .

ليلى : هذا صحيح . ولكن قل لي يا ابتي ...

الاب : نعـم

ليلى : قلت لي انه جمع بين العلم واصالة النسب ...

الاب : ـ مكملا ـ والشاعرية الخصبة .

ليلى : نعم ، نعم ، الذي أعنيه هـو السؤال عن مكانتـه الأدبيـة .. ترى هل حقق شيئا في هذا المضمار ؟

الاب : نعم يا ليلى . فلقد ترك الشريف جملة مؤلفات فُقد اغلبها . ومن كتبه المعروفة (حقائق التأويل في متشابه التنزيل) و (مجازات الاثار النبوية) و (تلخيص البيان من مجازات القرآن) وغيرهـا كثير .

ليلى : هذا جهد كبير

الاب : بلا شك . فالمعروف ان الشريف الرضي حرص على تحصيل العلم اعدادا لنفسه في ان يكون امام الشعراء .

ليلى : هكذا ؟.. اذا لقد كان يطمح الى مكانة كهذه ؟

الأب : بل والى اكثر منها ••• انه تطلع الى الخلافة وتمناها •

ليلى : ترى يا ابتي ••• هل كانت الظروف في ذلك الزمن تستلزم ذلك كله •

الاب : كيف لا يا ابنتي فلقد شهد القرن الرابع الهجري الذى عاش عبره الشريف الرضي ازدهارا في العلم وترفا في الحضارة • ولم يعد الناس يقنعون بالمواهب الفطرية كأسلافهم بل راحوا يصقلون مواهبهم بالدراسة والتتبع ، وحتى الخلفاء والملوك نبغ منهم الشعراء والعلمـــاء •

ليلى : هكذا اذا ؟

الاب : طبعا ، ولذلك نشط الطموح وجدت المواهب ، ومن الطبيعي ان يكون الشريف الرضي اول المتطلعين •

ليلى : بلا شك ، ما دام الامر كذلك

الاب : انه يعتز بقدرته اللغوية الفائقة وامكانياته الشعرية فيقول :

ـ الشريف الرضي :

الا من كنت شـــاعره فان المجـــد شـاعرُه
وان اللفظ مطـــروح على فكـــري جـواهره

الاب : ويتحدث عن نفسه ويفخر بها ويعتز بارادته وتصميمه على تحقيق غاياته وتجسيد آماله فيقول :

ـ الشريف الرضي :

سأمضي للتي لا عيب فيهـا وان لم استفد الا عنـــاء
وأطلب غاية ان طوحت بي أصابت بي الحِمامَ او العلاء

ـ موسيقى ـ

ليلى : وهل اوقف الشريف الرضي يا ابتي شعره على تحقيق اغراضـه وآماله الخاصة فحسب ؟

الاب : بالعكس فشاعريته لم تقف عند حدود الفخر ومطامحه في دنيا السياسة والنفوذ بل كانت شاعرية فياضة ذات خيال خصب وروح هفهافة .

ليلى : اتعني انه وصف الطبيعة وتغزل بالجمال ؟

الاب : بالضبط . وهو في هذين الميدانين فارس الحلبة .اليس هوالقائل :

ـ الشريف الرضي :

كليني الى ليل كأن نجومه	تغازل طرفي عن عيون الجآذر
أمرُّ بدار منك مشجوجة الثرى	بمجرى نسيم الآنسات الغرائر
تمر عليها الريح وهي كأنها	تلفَّت في اعطاف تلك المقاصر

ليلى : شعر لطيف

الاب : كيف لا وهو شاعر القافية الرقراقة . وفي شعره الغزلي الدليل الاوضح على ما أقول .. وقصيدته التي يسجل فيها ذكرياته في الحجاز وهو مقيم في العراق من غرر شعره في هذا المضمار .... استمعي اليه يقول :

ـ الشريف الرضي :

يا ظبية البان ترعى في خمائله	ليهنك اليوم ان القلب مرعاك
الماء عندك مبذول لشاربه	وليس يرويك الا مدمع الباكي
هبت لنا من رياح الغور رائحة	بعد الرقاد عرفناها بريّاك
ثم انثنينا اذا ما هزنا طرب	على الرحال تعللنا بذكراك
سهم اصاب وراميه بذي سَلم	من بالعراق لقد ابعدت مرماك
انت النعيم لقلبي والعذاب له	فما امرّك في قلبي واحلاك
عندي رسائل شوق لست اذكرها	لولا الرقيب لقد بلَّغتها فاك
هامت بك العين لم تتبع سواك هوى	من علم العين ان القلب يهواك
يا حبذا نفحة مرت بفيك لنا	ونطفة غمست فيها ثناياك

ليلى : شعر بديع

الاب : فعلا فالرضي الذي ولد عام ٣٥٩ للهجرة ببغداد لاسرة علوية كريمة النسب ولم يعش اكثر من سبع واربعين سنة حيث وافته منيته عاجلة عام ٤٠٦ للهجرة ، حمّل قصيده رائع الوصف وجميل القول ورصين الحكمة .

ليلى : وهل عالج الحكمة في شعره ايضا ؟

الاب : كيف لا . فلقد حفل ديوانه بحكمه التي يرسلها في غير تكلف ولا اصطناع ... اليس هو القائل :

ـ الشريف الرضي :

اذا قلَّ مالي قل صحبي وان نما فلي من جميع الناس اهل ومرحب

الاب : والقائل :

ـ الشريف الرضي :

يغرُّ الفتى ما طال من حبل عمره وترخى المنايـا برهة ثم تجذب

الاب : والقائل :

ـ الشريف الرضي :

النفس ادنى عـدو انت حاذره والقلب اعظم ما يبلى به الرجل

ليلى : حكم ناضجة

الاب : وما سمعت لا يعدو القلة القليلة . انه غيض من فيض ورذاذ من مطر .

ليلى : قل لي يا ابتي ... (مستدركة) ... اخشى ان اكون قد اثقلت عليك (تضحك)

الاب : بالعكس ... تفضلي ، فمن دواعي اغتباطي الشديد حديثي واياك عن الادب والادباء والشعر والشعراء ..

ليلى : شكرا يا ابتي • اردت ان اقول •••

الاب : مـاذا ؟

ليلى : ترى ألم يتعرض الشريف الرضي لقالة القائلين وهو ما هو عليـه من مكانة ونسب بعد ان عالج الغزل في شعره وتغنى بالجمال •

الاب : سؤال طريف هذا الذي سألته

ليلى : (تتضاحك)

الاب : الواقع أن الشريف تعرض لكلام الناس في هذا المجال ، لاسـيما وان في شعره الدلائل التي تمكنهم من تعزيز حجتهم ضده ••• فهو يقول مثلا :

ـ الشريف الرضي :

أنا الفداء لظبي ما اعترضت لــه
الا وهتَّك شوقــا ما استَّــره

لاحظته والنوى ترمي ملاحظة
بعارض من رشــاش الـدمع يمطـره

ما انفكَّ من نفس للوجد يكتمـه
تحت الضلوع ومن دمع يوقــره

أهوى الي يدا عقد العنــاق بهـا
والبين يعذله والحب يعـذره

وقال ، تذكر هذا بعد فرقتنـــا ؟
فقلت ، ما كنت أنسـاه فاذكـره

الاب : ويبرر عشقه وهيامه وتشبيبه في قصائده فيقول :

ـ الشريف الرضي :

عشقت ومالي يعلم الله حاجـة سـوى نظري والعاشقون ضروب
ومالي يا لمياء بالشعر طائـل سوى أن اشعاري عليـك نسيب

أحبك حبا لو جزيت ببعضه أطاعك مني قائـــد وجنيب
وفي القلب داء في يديك دواؤه الارب داء لا يـــراه طبيب

الاب : الا انه عندما يجد الجد وينبري يرد على خصومه والمتقولين ضده يقول :

ـ الشريف الرضي :

أكـذب بالتصون مدّعيهـم والجم قائليهـم بالعفـاف

ليلى : موقف ينم عن الثقة

الاب : مهما يكن من شيء يا ابنتي فقد حفلت حياة الشريف الرضي بذلك كله وعايش التجارب الحياتية جميعها .

ليلى : الا انه مات مبكرا

الاب : تلك مشيئة الله ... وعندما أسكت القدر صوته الصداح الى الابد كان لسان حاله يردد بيته المشهور :

وأبك عني فطالما كنت من قبـ ـل أعير الدموع للعشـاق

ـ الختام ـ

إبن زيدون

– موسيقى –

– جلسة الاب وابنته ليلى –

الاب : (يترنم)

يا ابن زيدون مرحباً　　قد أطلت التغيبا

أنت في القول كله　　أجمل الناس مذهبا

ليلى : (وكأنها تتم حديثا سابقا مع أبيها)

ومن قال هذا الثناء في ابن زيدون يا أبتي ؟

الاب : أميرُ الشعراء المرحوم احمد شوقي عند استقباله لديوان ابن زيدون ونشره في ذلك الحين لاول مرة مضبوطا ومشروحا •

ليلى : هذا تثمين" كريم

الاب : ومع ذلك فلا أظن أن اميرَ الشعراءِ قد بالغ فيه

ليلى : هكذا ؟

الاب : هذا الذي أراه فالحديث عن أبي الوليد احمدَ بن عبدالله بن غالب بن زيدون حديث خصب غني العطاء • فلقد خلّدَ الرجل اسمه في تأريخ الادب الاندلسي واحتل فيه مكانه مرموقة

ليلى : هل لي يا أبتي ان اسألك مزيدا من الأيضاح عن جوانب حياته وفنه •

الاب : ولم لا • أما اتفقنا ان نطرق رحاب الادب ونتجول في مروج الشعر في جلساتنا الممتعة هذه ؟•

ليلى : (ضاحكة) شكرا لك يا أبتي

الاب : بقـدر ما يتعلـق الامر بنشأتـه الاولى فقد ولد في قرطبه عام ٣٩٤ للهجرة في بيت علمٍ وأدبٍ وبيئةٍ تعشَقُ الفن والجمال وفي فترة هي أزهى عصور الادب في الاندلس •

ليلى : فرص خصبة لأصحاب المواهب ، الا ترى ذلك يا أبتي ؟

الاب : بلا شك وان لقي ابن زيدون في بدء حياته بعض الصعاب •

ليلى : كيف ؟

الاب : المعروف يا ابنتي ان أباه القاضي العالم أبا بكر ابن أحمد توفي عام ٤٠٥ للهجرة •

ليلى : ٤٠٥ للهجرة ؟ وهو ولد في عام (٣٩٤) ؟ اذا لقد تركه صبيا يتيما ؟

الاب : وهو ما قصدته من قولي انه لقي بعض الصعاب في بدء حياته •

ليلى : وكيف شق طريقه اذاً ؟

الاب : لعلها الحياة يا ابنتي هي التي كانت تعد ابن زيدون لدوره الطويل فيها • لانه ما ان بلغ مراتب الشباب حتى اشتهر وذاع صيته وتسامع الناس بعلمه وأدبه واحلوه منهم محل الزعامة •

ليلى : الى هذه الدرجة ؟

الاب : نعم ولذلك اشترك في الفتنة القرطبية التي اندلعت نيرانها في قرطبه يومَذاك والتي اسلمت الحكم الى ملوك الطوائف •

ليلى : اذا لم يقتصر دوره على الشعر وحده ؟

الاب : لا • فلقد جمع بين الشعر والسياسة ولقب بذي الوزارتين •

ليلى : ذي الوزارتين ! لماذا ؟

الأب : الواقع أنها فترة مضطربة في حياة ابن زيدون •

ليلى : كيف يا أبتي ؟

الأب : لقـد كان في حوالى الثامنة والعشرين من عمره عندما قربه (ابنُ

جَهور) ولقبه بذي الوزارتين لكنّ عينَ الحسد لا تنام فلقد ظل خصومه يكيدون له حتى سجنه (ابنُ جهور) ولما لم تجد كل الرسائل والقصائد التي أرسلها اليه عمد الى الفرار بعد عامين من سجنه •

ليلى : وهل ظل هارباً ؟

الاب : لا لقد عاد الى قرطبه بعد وفاة خصمه وبعد ان تولى الامر أبنه لكن حُساده لم يتركوه كذلك بل عملوا على النيل منه مرة أخرى حتى تمكنوا من أن يغيروا قلب الابن كما غيروا قلب الاب من قبل على ابن زيدون •

ليلى : مسكين ؟ وماذا عمل ؟

الاب : لقد فر مجددا مخافة السجن وظل يتقلب في البلدان حتى استقر به المقام في أشبيليه حيث استوزره (المعتضد) ومن بعده خليفته (المعتمد) الذى لم يسمع لحساد بن زيدون بل اقتنع برأيه في غزو قرطبه والاستيلاء عليها ولذلك عاد اليها ابن زيدون مكرما معززا •

ليلى : نهاية منتصرة •

الاب : هذا صحيح ولكن خصومه مع ذلك لم يلقوا السلاح •

ليلى : كيف ؟

الاب : لقد ضلوا يكيدون له حتى زينوا للمعتمد ان احدا من القادة لن يستطيع اخماد ثورة (يهود اشبيلية) التي قامت يومذاك غير ابن زيدون •

ليلى : وماذا حصل ؟ هل قتل فيها ؟

الاب : لا لكنه كان في هذه الفترة مريضا وقد ثقلت عليه الشيخوخة الا أنه امتثل لامر المعتمد مضطرا وبينا هو في طريقه اليها وافاه أجله في منتصف رجب عام (٤٦٣) للهجرة •

ليلى : رحمه الله • وماذا عن مجالات فنه يا أبتي ؟

الاب : اذا تركنا صدى حياته السياسية في نفسه وهو من الشعراء المُبرَّزين

في زمانه فأن الجانب الثاني من فنه تمثل في حبه الكبير الذى اشتهر به •

ليلى : حبه ؟ وهل كان من الشعراء المحبين مع هذه الحياة السياسية المضطربة التى حدثتني عنها ؟

الأب : نعم لقد أحب ابن زيدون حبا أنطقه بأجود الشعر انطقه وجعله في مصاف أشهر شعراء الغزل في تأريخ الشعر •

ليلى : ومن هي الفاتنة التي تمكنت من قلبه يا أبتي ؟

الاب : فاتنته هي الاخرى شاعرة جزلة القول حسنة الشعر تعارض الشعراء وتساجل الادباء •••انها (ولادة بنت المستكفي بالله)سليلة البيت العريق وصاحبة العلم والادب والفكاهة •

ليلى : وهل قال فيها شعرا كثيرا ؟

الاب : ومن الروائع أيضا ولعل قصيدته المشهورة « أضحى التنائي » من أبرز الامثلة على ما أقول • انه يقول فيها :

ـ ابن زيدون :

أضحى التنائي بديلا من تدانينا	وناب عن طيب لقيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلّت جوانحُنا	شوقا اليكم ولا جفّت مآقينا
نكاد حين تناجيكم ضمائرنا	يقضي علينا الاسى لولا تأسّينا
حالت لفقدِكم أيامُنا فغدت	سودا وكانت بكم بيضاً ليالينا

ـ موسيقى مناسبة ـ

(يواصل الألقاء) ••

أبكي وفاءً وإن لم تبْذُلي صِلةً	فالطيفُ يُقنعنا والذكرُ يكفينا
وفي الجواب مطاعٌ إن شفعت به	بيض الأيادي التي ما زلت توليِنا
عليك منّا سلامُ اللهِ ما بقيت	صُبابةٌ بك نُخفيها فتُخفينا

ـ موسيقى ـ

ليلى : قصيدة عامرة •

الاب : ديوانه يضم في الواقع نماذج كثيرة من القصيد الرائع • اسمعيه مثلا في قصيدة حنين يعلل بها نفسه ويداري هواه فيقول :

ـ ابن زيدون :

هل راكبٌ ذاهبٌ عنهم يحيِّيني — إذ لا كتابٌ يوافيني فيُحْييني

قد رمت الاذماءَ في يمسكه — ان الفؤاد بلقياهم يرجيّني

ما سرّح الدمع من عيني وأطلقه — الا اعتيادُ أسىً في القلب مسجونِ

ـ موسيقى مناسبة ـ

ليلى : هذا فعلا يا أبتي من أصيل الشعر •

الاب : ان له نماذج من فنون الشعر يكاد سامعُها يتصورُها لواحد من الشعراء الرومانسيين المعاصرين الذين عشقوا الطبيعة ووجدوا فيها الملاذ والمهربَ من ظروفهم الحياتية الخاصة •

ليلى : هكذا ؟ مثل ماذا ؟

الاب : مثل :

ـ ابن زيدون :

يا ساريَ البرقِ غاد القصرَ واسْقِ به

من كان صرفَ الهوى والودِّ يَسقينا

واسألْ هنالك هل عنّى تذكرُنا

إلْفاً تذكّره أمسى يعنّينا

ويا نسيمَ الصبا بلّغ تحيّتنا

من لو على القُربِ حيّاً كان يُحيينا

الاب : « مداعبا » ها ••؟ •• ماذا ترين

ليلى : فعلاً هو كما صورت يا أبتي •

الاب : اذا لقد اعجبك شعره ؟

ليلى : جـداً

الاب : الواقع يا ابنتي ان ابن زيدون لم يقتصر على الشعر والسياسة فهو اضافة الى ذلك احد علماء زمانه وان غلبت عليه صفة الشعر ٠

ليلى : هكذا ؟ يبدو ان الرجل من ذوي المواهب المتعددة ٠

الاب : هـو فعلا كـذلك يا ليلى ٠٠ ها ٠٠ وتحضُرُني في هـذه المناسـبة قصيدته التي يورد فيهـا معانيـه الفلسفية عـن الدهر ، والصبر ، والايمان ، ويضعها في قالب من الشعر جميل ، ذلك لانه كان يحس المعنى بوجدانه قبل ان يجريه على لسانه ٠ انه يقول :

ـ ابن زيدون :

هو الدهرُ فأصبر للذي أحدث الدهـرُ

فمن شيمِ الابـرار في مثلهـا الصبـرُ

ستصبر صبر اليـأس أو صبر حسبـةٍ

فلا تؤثر الوجـه الذي معـه الوِزْرُ

حـذارك مـن ان يعقب الـرزء فتنـة

يضيـق لهـا عـن مثل إيمانك العـذرُ

ـ موسيقى مناسبة ـ

ليلى : شعر فلسفي جميل ٠

الأب : ارأيت ؟ هذا اضافة الى أن له عدة رسائل نثرية أشهرها « الرسالةُ الجديدة » وقد كتبها في سجنه وغلب على أسلوبها التصوير الشعري باستعاراته ومجازاته ، ومنهـا ـ مثلا ـ ما يقولـه معتذرا عن خطئـه في حق أبي الحزم بن جَهْور :

ـ ابن زيدون :

(٠٠٠ فلا غرو قد يغصَ بالماء شاربه ، ويقتل الدواءُ المستشفي بـه

ويؤتى الحذر من مأمنه وتكون منية المتمني في أمنيته ، والحين قد يسبق جهد الحريص وهل أنا الا يدادماها سِوارها وجبين عض به أكليله ومَشرَفيّ الصقه بالارض صاقله ؟)

ليلى : هذا من أجمل فنون النثر يا أبتي .

الاب : وهو ما يؤكد ان الرجل كان جملة مواهب .

ليلى : فعلا يبدو انه كذلك .

الاب : رحمه الله فلقد مات وفي نفسه غُصَّة وفي قلبه لوعة ولسانُ حاله يرددُ قوله ..

ـ ابن زيدون :

سَتَبْلى الليالى والودادُ بحاله جديد وتفنى وهو للارض وارثُ

ولو انني أقسمت أنك قاتلي واني مقتول لما قيل حانث

الاب : حقا ما أصدق أمير الشعراء أحمد شوقي حين قال :

ابن زيدون عبقري زمانه قصّر المحسنون عن احسانهْ

أخذ الروم في الجزيرة عنه ومشوا في خياله وافتنانهْ

ـ الختام ـ

ابن سينا

« الشيخ الرئيس »

في جلسة عائلية / الاب ـ ليلى

ليلى : أسعدت مساء يا أبتي

الاب : ومساؤك اسعد يا ليلى

ليلى : جئت الليلة أسألك في قضية اختلفت فيها بالرأي مع استاذي

الاب : هكذا ؟!

ليلى : لقد ناقش الاستاذ مسألة الاختصاص وذهب الى رأي مفاده ان التخصص وحده أمر مقبول على أن يجمع المرء الى جانب اختصاصه حصيلة واسعة في العلوم والفنون والمعارف لكي يستطيع أن يواكب الحركة الثقافية المتطورة •

الاب : هذا صحيح •

ليلى : صحيح ولكنه عسير ، فواقع حياتنا اليوم لا يسمح للمرء باكثر من اختصاصه • وهذا هو رأيي الذي ابديته فلم يقره الاستاذ •

الاب : اسمعي يا ابنتي •• ان تكون الحياة اليوم معقدة لا تفسح للمرء مجال التشعب والسعة في الاطلاع فذلك أمر واقع الا ان الثقافة العامة أمر لابد منه ••• أما قرأت شيئا عن العلماء الجهابذة الذين خلفوا في كل درب من دروب العلم والمعرفة أثرا •

ليلى : ولكن هناك فارق في طبيعة الحياة يا ابتي •

الاب : وهذا صحيح ايضا ولكن الذين أعنيهم كانوا على مستوى التخصص
والتفنن في الاختصاص والذي يطالبكم به الاستاذ هو مجرد الاطـلاع
العام ليس الا •

ليـلى : نعم ، هو قال كذلك فعلا •

الاب : اين انت اذاً من أولئك الاعلام القدامى •• ان ابن سينا ،الشيخ الرئيس
ـ مثلا ـ لم يقتصر ـ في تأليفه على علم من العلوم ولا فن من الفنون
فلقد ألف في العلوم الفلسفية من ميتافيزيقا ومنطق وطبيعيات والهيات
كما ألف في الاخلاق والسياسة والتربية والتصوف ، بل لقد نعدى
ذلك الى التأليف في الرياضيات والفلك والموسيقى • ثم في اللغة وقرض
الشعر بل لقد كان علما في الكيمياء والطب •

ليـلى : حصيلة وافرة ومتشعبة ••• لقد سبق لي أن سمعت عن الرجـل
شيئا عابرا ، فهلا حدثتني عنه يا ابتي ؟•• وبالمناسبة لماذا اسميته الشيخ
الرئيس ••• ماذا تعني هذه التسمية ؟

الاب : أبو علي بن عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا ، وهذا هو اسمه
الكامل ، لقب بالرئيس اشارة الى اشتغاله بالسياسة وتقلده الوزارة ،
أما لقب الشيخ فدلالة على اشتغاله بالعلم والفلسفة •

ليلى : هذا يعني انه جمع العلم والحكم ؟

الاب : ـ ضاحكا ـ وهذا دليل آخر على سعة اختصاصه •

ليـلى : ضاحكة ـ فعلا •

الاب : سألتني عنه ؟

ليلى : نعم يا أبي •

الاب : فيما يتعلق بولادته ونشأته ، المعروف انه ولد في قرية (خرميثن)
في تاريخ يقرب من السنة الثالثة والسبعين بعد الثلاثمائة للهجرة من

والد يدعى (عبـــدالله) من أهالي (بلخ) ويتحدث ابن سينا عن نشأته فيقول

ـ انتقال سريع ـ

صوت ابن سينا :

« .... ولقد كنت أسمع ما يجرى على الالسنة من ذكر الفلسفة والهندسة وحساب الهند . ولقد أخذ أبي يوجهني الى رجل كان يبيع البصل ، ويقوم بحساب الهند . حتى أتعلم منه . ثم جاء الى (بخارى) أبو عبدالله الناتلى ، وكان يدعى المتفلسف . فأنزله أبي دارنا . وجاء تعلمي منه .

ـ انتقـــالة ـ

ـعودة الى الحوار الاول ـ

ليلى : تلك كانت البداية ؟

الاب : نعم ، بل وقبلها ايضا يشير ابن سينا الى محاولة سابقة . فيقول :

صوت ابن سينا :

« وقبل قدوم الناتلى كنت أشتغل بالفقـــه . وأتردد الى (اسماعيل الزاهد) . وكنت أجود السالكين ، وقد ألفت طرق المطالبة ، ووجوه الاعتراض على المجيب ، على الوجه الذي جرت عليه عادة القوم » .

ثم أخذت أقرأ على الناتلى كتاب (ايساغوجي) في المنطق للصوري وكتاب (الاصول) في الهنـــدسة المستوية ل (اقليدس) وكتـــاب (المجسطي) في علم الهيئة لبطليموس .

ومرة قال لي استاذي (أبو عبدالله الناتلى) :

ـ انتقـــالة ـ

ابن سينا ـ الناتلي

الناتلى : يا أبا علي . ماذا تم من قراءتك لكتاب بطليموس ؟

ابن سينا : لقد فرغت من مقدماته يا سيدي وانتهيت الى الاشكال الهندسية

الناتلي : هذا حسن « تول أنت قراءتها وحلها بنفسك ثم اعرضها علي لابين لك صوابها من خطئها » •

ابن سينا : سأفعل ما ترى يا سيدي • واذا سمحت الان فعندي سؤال أرجو اجابتكم عليه ؟

الناتلي : في الاشكال الهندسية •

ابن سينا : بل في المنطق

الناتلي : سل ما تشاء •

ابن سينا : لقد أشكل علي موضوع (حد الجنس) يا سيدي

الناتلي : ها ، ها ، حد الجنس يا بني بتركيز واختصار هو « المقول عــلى كثيرين مختلفين بالنوع في جواب ما هو »

ابن سينا : أهذا كل ما هنالك في الموضوع

الناتلي : هذا ما توصل اليه تحقيقي

(انتقالــة)

صوت ابن سينا :

ورحت بعد هذا اللقاء مع أبي عبدالله الناتلي احقق هذا الحد فتوصلت الى ما لم يسمع بمثله من قبل • الامر الذي أثار عجبه وجعله يحذر أبي من اشتغالي بغير العلم • وكان أي مسألة قالها لي ، أتصورها خيرا منه ، حتى قرأت ظواهر المنطق عليه وأما دقائقه فلم يكن عنده منها خبرة • ثم أخذت أقرأ الكتب على نفسي ، واطالع الشروح ، حتى أحكمت علم المنطق ، وكذلك كتاب (اقليدس) فقرأت من أولـه خمسة أشكال أو ستة على الناتلي ، ثم توليت بنفسي حل بقية الكتاب بأسره • ثم انني رحت اوضح لاستاذي الكثير مما أشكل عليــه في (الاشكال الهندسية) التي أوردها كتاب (المجسطي) •

ـ موسيقى ـ

ـ عودة الى حوار الاب وابنته ـ

ليلى : يبدو ان الرجل يا أبتي أطل على المعرفة من شبابيك عريضة .

الاب : لقد مشى دروبها خطوة فخطوة ثم أسهم اسهامات واسعة في فتح دروب جديدة في دنيا المعارف والعلوم .

ليلى : استنتاجا مما سمعته منك يبدو ان الامر كذلك

الاب : هو كذلك فعلا . فلقد اشتغل ابن سينا عندما غادر (الناتلى) بخارى، وتوجه نحو خوارزم ، بتحصيل العلوم الطبيعية والالهية وغيرها ، ثم شرع ينظر في النصوص والشروح حتى فتح الله عليه أبواب العلم .

ليلى : كنت أسمع عنه انه واحد من الاطباء القدامى وكفى ، فاذا بك اليوم تطلعني على الكثير الذي كنت أجهله من أمره .

الاب : بقدر ما يتعلق الامر بالطب فهو في هذا المجال علم بين أعلامه .

ليلى : هكذا ؟!

الاب : كيف لا وانه لم يكتف بفهمه والنبوغ فيه ومعالجة المرضى دون طمع في كسب ، بل زاد على ذلك ان أخذ يعلمه للناس .

ليلى : شيء رائع .

الاب : وأروع ما فيه انه حقق ذلك كله وهو يافع في حدود السادسةعشرة من عمره

ليلى : ست عشرة سنة

الاب : يؤرخها هو نفسه فيقول :

ابن سينا :

« .. رغبت في الطب وصرت أقرأ الكتب المصنفة فيه . وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة فلا جرم اني برزت فيه في أقل مدة . حتى بدأ فضلاء الطب يقرأون علي علم الطب وتعهدت المرضىفانفتح علي من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف . وأنا في هذا الوقت من أبناء ست عشر سنة » .

ليلى : هذه قابلية تلفت النظر •

الاب : ـ ضاحكا ـ وعلى ذكر طب ابن سينا هناك حادثة طريفة تروى عنه•

ليلى : كيف يا أبي ••••

(نقلـة موسيقية)

ابن سينا ـ صاحبه أبو الفضل

أبو الفضل : يا أبا علي • أهلا بك في جرجان وعـلى الرحب والسـعة قدومك • انني أعرف يا صاحبي الدوافع التي حملتك على أن تاتي هذا البلد متخفيا ، لكن لي عندك رجاء • فهل أستطيع أن أعرضـه عليك •

ابن سينا : أرجو أن أكون عند حسن ظنك يا أبا الفضل • قل ، عسى أن يوفقني الله لاجابة الطلب •

ابو الفضل : ان أحد أقرباء أمير جرجان مصاب بعلة أعيت الاطباء •

ابن سينا : ولكن كيف لي أن اعالجه وأنا مستتر لا أريد أن يعرف أحد هويتي •

أبو الفضل : ومن يدري انك ابن سينا • أنت طبيـب وافد وكـفى •• أرجوك فالمريض شاب أعزه أيما اعزاز والامير من أقرب أصدقائي •

ابن سينا : كما تشاء •

أبو الفضل : شكرا لك يا أبا علي •

ـ انتقالة موسيقية ـ

(ابن سينا ـ أبو الفضل ـ في بيت المريض ـ ورجل من أهله)

ابن سينا : ••• ها انني أجريت الكشف على مريضكم ولكنني لكي أنجز مهمتي كاملة أريد رجلا يعرف جميع الامكنة في هذه الناحية وآخر يعرف جميع الاحياء والبيوت وثالث يعرف جميع أسماء سكانها •

أبو الفضل : ولكن ما علاقة ذلك بمرض المريض

ابن سينا : دعني يا أبا الفضل ، هناك علاقة وثيقة

الرجل : ذلك لك أيها الطبيب ، امهلنا دقائق وسنحضر لك من تريد

ـ فاصل موسيقي ـ

ابن سينا : .. يا سادة ، ليس بابنكم مرض ، ولكنه عاشق متيم بفتاة عرفت اسمها ومكان سكناها واريد من اسر له هذه المعلومات

الرجل : هكذا ؟؟.... يالله

أبو الفضل : ولكن كيف ؟!

ابن سينا : هذه هي حقيقة مرضه

الرجل : تفضل يا سيدي ، قل لي ، أنا موضع سرك فالمريض ابني

ـ فاصل قصير ـ

ابن سينا ـ أبو الفضل

أبو الفضل : ولكن كيف عرفت يا أبا علي انه عاشق وانــه يحب فلانة التي تسكن في الحي الفلاني ؟ ... وما علاقة ذلك بالطب يا أخي ؟؟

ابن سينا : دعني اوضح الامر لك يا أبا الفضل . عندما أجريت الكشف على المريض لم أجد به علة ولكنني وجدته وقد انهك وذوى فقدرت ان المرض هو العشق ليس الا . وعندما استدعيت الرجال ودكر لي أولهم أسماء الأمكنة على مسمع من المريض الذي كنت أجس بضه ، اضطرب نبض الفتى اضطرابا ظاهرا عندما ذكر مدينة معينة . وعندما ذكر الرجل الثاني أسماء الاحياء والبيوت اضطرب كذلك عند دكر حي معين وكذلك حدث عند ذكر الاسماء . وعى ذلك استطعت أن أعرف من هي فاتنته التي أصابت قلبه .

ـ يضحك ـ

أبو الفضل : بورك فيك يا أبا علي من طبيب يفقه ..

ابن سينا (مكملا) اسرار العشاق .

ـ يضحكان ـ

ـ عودة الى حوار الاب وابنته ليلى ـ

ليلى ـ ترى يا أبتي كيف تمكن ابن سينا أن يصل هذه الذروة السامقة في العلوم المختلفة والاختصاصات المتباينة ؟

الاب : انه الجد يا ابنتي والمثابرة .... يذكر عنه انه لما استدعي لعلاج الامير (نوح بن منصور الساماني) صاحب خراسان وعالجه حتى شفي من مرضه استأذن الامير أن يطلع على مكتبته العديمة النظير فأذن له وقد قال عن هذه الفرصة العلمية النادرة :

ـ انتقالة سريعة ـ

صوت ابن سينا :

« لقد دخلت دارا ذات بيوت كثيرة ، وفي كـــل بيت صناديق كتب منضدة بعضها على بعض ، في بيت منها كتب العربية والشعر ، وفي آخر الفقه ... وهكذا . فطالعت فهرس كتب الاوائل وطلبت ما احتجت اليه منها ، ورأيت من الكتب ما لم يقع اسمه الى كثير من الناس قط ، وما كنت رأيته من قبل ولا رأيته أيضا من بعد .

فلما بلغت ثماني عشرة سنة من عمري . فرغت من هذه العلوم كلها ، وكنت اذذاك أحفظ للعلم ولكنه اليوم معي أنضج »

انتقالة سريعة ـ عودة الى الحوار

ليلى : ثماني عشرة سنة من عمره والعلم معه أنضج ... انه واحـــد من الافذاذ بدون شك

الاب : بدون شك طبعا ، فكيف اذاً خلف ذلك التراث الضخم من المعارف ، وكيف استطاع أن يغني العلم بمؤلفاته ورسائله التي جاوزت المئتين .

ليلى : جاوزت المئتين ؟؟

الاب : لا بل وأكثر من ذلك ، فلقد عدوا له ستة وسبعين ومئتي كـتـاب ورسالة وقصيدة وارجوزة .

ليلى : ومع ذلك فقد أسهم بالحكم ولقب بالرئيس

الاب : نعم ، مع ذلك ، فلقد تقلد الوزارة لشمس الدولة مرتين ، وكان من الرجال البارزين الذين يشار اليهم وتسمع توجيهاتهم •

ليلى : حياة حافلة قضاها الرجل يا أبتي !!

الاب : في حياته الطريف النادر والمعجب المثير • فلقد كان يصر على أن يتبوأ مكان الصدارة في كل مجالات العلوم ومجالي المعرفة •

يحكى عنه أن اللغوي الكبير (أبو المنصور الجبائي) قال له يوما في مجلس (علاء الدولة) اثر حديث عن مسائل اللغة :

صوت الجبائي :

« انك فيلسوف وحكيم يا أبا علي ، ولكنك لم تقرأ من اللغة ما يرضي كلامك فيها » •

الاب : فما كان من ابن سينا الا أن انصرف الى اللغة يدرسها حتى وضع فيها ثلاثة كتب احدها على طريقة ابن العميد والثاني على طريقة (الصابي) والثالث على طريقة (الصاحب بن عباد) تحدى فيها (الجبائي) اللغوي •

ليلى : قابلية نادرة !

الاب : لا شك ، هكذا ضل مشعلا يضيء ومعينا من المعارف لا ينضب طيلة حياته التي لم تتجاوز الستين عاما •

ليلى : لم تتجاوز الستين عاما ؟ كل هذه الحصيلة العلمية الوافرة ولم يتجاوز عمره العقد السادس

الاب : نعم • فلقد مات يرحمه الله في (همدان) عندما كان في رفقة (علاء الدولة) •• بعد أن تناوبته الاسقام وأخذ الضعف منه كل مأخذ ولم تجد معه المعالجات حتى قال وهو نفسه على فراش الموت

صوت ابن سينا :

« •• لقد نفذ والله السهم وعجز البدن عن التدبير •• فلا تنفعني المعالجة بعد »

الاب : ثم اغتسل وتاب الى الله وتصدق بما معه على الفقراء ورد المظالم على كل من عرفه وأعتق مماليكه وأكب على قراءة القرآن ... حتى صعدت روحه الى بارئها في يوم جمعة من أيام رمضان سنة **٤٢٨** للهجرة ... فانطفأ بذلك سراجه الوهاج .. ليرحمه الله

ليلى : أجل .. ليرحمه الله .

- الختـــــام -

الحسن بن الهيثم

ليلى ـ الاب

الاب : تسمع خطواته داخلا ـ أسعدت مساء يا ليلى

ليلى : ومساؤك أسعد يا أبتي

الأب : ها ، ماذا ؟... أكتاب جديد ؟

ليلى : (ضاحكة) ولكنه في العلم هذه المرة

الأب : هكذا ؟... نعم الأختيار . عن ماذا تقرأين ؟

ليلى : عن كتاب المناظر يا أبتي

الأب : كتاب المناظر ؟... لأبي علي الحسن ابن الهيثم

ليلى : ها انك تعرفه ابتي

الأب : ومن يجهل ، بطليموس العرب يا ابنتي

ليلى : بطليموس العرب ؟

الأب : نعم . ألم تسمعي بهذا الاسم قبل اليوم

ليلى : لا يا ابتي

الأب : المعروف في تاريخ العلم ان ابن الهيثم قام بابحاث سبق ان قام بها (بطليموس) في حوالي منتصف القرن الثاني بعد الميلاد ، وترك آثارا في الرياضيات والفلك والفيزياء .

ليلى : اذا ماذا عن ابحاثه في علم الضوء لا سيما ومؤلف هذا الكتاب الذى أقرأه يقول عنه :

صوت : « والذي جعلني ابدأ بعلم الضوء دون فروع الطبيعة الاخرى ان علما ازدهر في عصر التمدن الأسلامي وكان من أعظم مؤسسيه شأنا ورفعة وأثرا الحسن بن الهيثم الذى كانت مؤلفاته ومباحثه المرجع المعتمد عند أهل أوربا حتى القرن السادس عشر للميلاد » •

الاب : فعلا ، فلقد حقق الرجل في مضمار العلوم انجازات فذة •

ليلى : ترى يا ابتي ، من هو ابن الهيثم

الأب : تسألين هكذا وانت تقرأين عن كتابه

ليلى : (ضاحكة) لأني انما اردت تعريفا به ، استطيع معه ان أكون فكرة عنه

الأب : هو يا ابنتي ، أن أردت أن اختصر لك القول ، ابو علي الحسن بن الهيثم ولد في (البصرة) عام ٣٥٤ للهجرة اى عام ٩٦٥ للميلاد وتوفي عام ٤٣٠ للهجرة أي ١٠٣٩ للميلاد في القاهرة ودفن فيها •

ليلى : في القاهرة ؟!

الأب : نعم • فقد كان في أواخر أيامه يقيم فيها في قبة قريبة من الجامع الأزهر

ليلى : وهل قبره معروف اليوم هناك ؟

الأب : لا يا أبنتي

ليلى : ولماذا ؟

الأب : لأنه وان ترك آثاره واضحة في دروب العلم ومسالكه دفن كأي مغمور في قبر لا يزال مجهول الموضع •

ليلى : شيء مؤسف

الأب : أما سمعت يا ليلى بقول (المعرى)

صوت : « رب لحد قد صار لحدا مرارا

ضاحك مـــن تزاحـم الأضـــداد »

ليلى : نعم ، يبدو ان الأمر كذلك

الأب : بل هو كذلك فعلا

ليلى : وماذا بعد عنه يا أبتي ـ حدثني بالمزيد

الأب : ولماذا الحديث وانت تقرأين عنه .. اقولها مرة اخرى ..

ليلى : لا يا أبتي ، بحقي عندك .. فهذا الكتاب يتحدث عن علمه في الضوء وأنا أريد أن أعرف عنه كل شيء .. فلقد أثرت في حب الاستطلاع بشكل عنيف

الاب : (ضاحكا) هكذا ؟... اذا ليكن حديثنا مقصورا عليه

ليلى : شكرا لك يا أبتي

الاب : المعروف يا ابنتي ـ تاريخيا ـ ان ابن الهيثم عاش في مسقط رأسه البصرة وترعرع فيها وتعلـــم وكان من ذوي الذكاء الحاد والفكر الوقاد .

ليلى : كيف لا ، وقد حقق ما حقق

الأب : انه فعلا حقق الكثير

ليلى : كتابه (المناظر) هذا الذى اقرأ عنه يدل على طول باعه وسعة أفقه في العلوم يا ابتي ؟

الأب : وما هذا الاغيض من فيض

ليلى : غيض من فيض .؟... اذا هناك الكثير غيره

الأب : كيف لا

ليلى : مثل ماذا يا ابتي ؟

الأب : ان التراث الذى خلفه الرجل في مضمار البحث والتاليف بلغ مـــا يقرب من مائتي كتاب

ليلى : كل هذا ؟... انه رائع .

الاب : فعلا . أن ابن الهيثم يتحدث عن نشاطه هذا فيقول :

ـ ابن الهيثم

« ... فما صنفته في العلوم الرياضية خمسة وعشرون كتابا وفي العلوم الطبيعية والألهية اربعة واربعون كتابا وفي العلوم الطبيعة ثلاثة وثلاثون كتابا وفي الفلك ما يقرب من ثمانين كتابا .

... وان أطال الله في مدة الحياة وفسح في العمر صنفت وشرحت ولخصت من هذه العلوم أشياء كثيرة تتردد في نفسي ويبعثني ويحثني على اخراجها الى الوجود فكرى والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد بيده مقاليد كل شيء وهو المبدى والمعيد وهذا ما وجب ان اذكره في معنى ما صنفته واختصرته من علوم الأوائل . قصدت به مذاكرة الحكماء الأفاضل والعقلاء الأماثل .

ليلى : رجل فذ

الأب : كيف لا ، انه علم من أعلام المعرفة

ليلى : وماذا بعد يا أبتي عن اهتماماته الأخرى

الأب : المعروف يا ابنتي انه أهتم بكتب الأغريق الفلسفية والعلمية

ليلى : مثل ماذا ؟

الاب : لقد لخص الكثير من كتب (ارسطو) وشرحها ودرس كتب (جالينوس) ودرّسها .

ليلى : اذا لقد انقطع الى الدرس والبحث طيلة حياته

الاب : نعم ، فهو بالرغم من تبحره في العلوم الطبية وفن المداواة لم يتخذ (العلاج) حرفة له فقد كانت نفسه متجهة الى البحث والدرس . لقد ابتعد عن المشاكل الدنيوية ليتفرغ لابحاثه وتتبعاته وزهد في مناصب الدولة التى عرضت عليه

ليلى : وهل عرضت عليه مناصب هامة ؟

الاب : طبعا . وكان اخرها ان دعوه الى (الاستيزار) لكنه تعلل بالمرض مدة ثم سافر الى (مصر) تلبية لدعوة أميرها الحاكم بامر الله .

ليلى : هكذا ؟ ... ولم دعاه (الحاكم بامر الله)

الاب : قيل انه قد بلغ الحاكم ان ابن الهيثم قال :

ابن الهيثم ..

« ... لو كنت في مصر لعملت في نيلها عملا يحصل به النفع في كل حالة من حالاته ، من زيادة أو نقص ، فقد بلغني انه ينحدر من موضع عال وهو في طرف الاقليم المصري .

ليلى : وعلى هذا دعاه الحاكم

الأب : نعم . لقد أراد أن يستفيد منه في أمر النيل فارسل اليه أموالا وهدايا ورغبة في الحضور الى مصر وخرج لاستقباله بنفسه واكرم وفادته. وفادته .

ليلى : وهل استطاع ان يفعل شيئا في ما قاله عن النيل

الاب : لا

ليلى : لا . ؟! كيف

الاب : يذكر التاريخ ان الحاكم سيّر ابن الهيثم في بعثة هندسية الى أعالي النيل غير ان ما يتطلبه تغيير مجرى النيل من امكانيات واسعة، عسيرة في ذلك الوقت ، اضطرته الى ان يتراجع عما كان يظن ان من المستطاع عمله .

ليلى : عالم ، وطبيب ، ومهندس ... وغير هذا وذاك .. أليست هذه مواهب خارقة يا أبتي ؟

الاب : وهل في ذلك ادنى شك . ولعل قمة مجده يا ليلى تتمثل في نجاحاته الرائدة في علوم (البصريات) ان كتابه (المناظر) الذى تقرأين عنه الان من أكثر الكتب القديمة استيفاء لبحوث الضوء وأرفعها قدرا . وهو لا يقل في مادته ولا في تبويبه عن أشهر الكتب العلمية الحديثة.

ليلى : انه يتحدث بالاجمال فيه عن ... أعني عن ...

الاب ـ مكملا ـ انه يتحدث فيه عن موضوعات انكسار الضوء وتشريح العين وكيفية تكوين الصور على شبكة العين . ولقد شرح فيه مختلف أنواع

العدسات وكيفية حدوث (عيوب الضوء) وأثرها على الابصار وكيفية تكون البؤرة وابعادها وغير ذلك كثير .

ليلى : هذه ثروة علمية ضخمة

الاب : بلا شك . فان العلماء الاوربيين يعترفون بالاجماع أن هـذا الكتاب كان المرجع لعلمائهم طيلة قرون عديدة وكان أساسا للبحوث التي نشطت في القرنين التاسع عشر والعشرين وقد ساعد على فهم الكثير من الحقائق بالفلك والكهرباء

ليلى : وهل ذكر الاوربيون ذلك عنه ؟

الاب : طبعا فقد ذكرت عنه دائرة المعارف البريطانية انه (اول مكتشف ظهر بعد بطليموس في البصريات) وأشاد به مختلف رواد المعرفة لانه طرق أبوابا في العلم لم يطرقها أحد غيره

ليلى : تعني ما يتعلق بتشريح العين ، أليس كذلك يا ابتي ؟

الاب : هو ما أعنيه بالضبط يا ليلى . فابن الهيثم أول من كتب في أقسام العين ورسمها بوضوح ووضع أسماء بعض هذه الاقسام وقدترجمت تسمياته الى اللغات الاجنبية .

ليلى : مثل ماذا يا ابتي ؟

الاب : مثل (الشبكية والقرنية والسائل المائي والسائل الزجاجي) ، وغيرها كثير .

ليلى : انه في كل علم مجلي

الاب : وهنا سر نبوغه . اتدرين انه وضع أسسا كثيرة في الهندسة التحليلية فحل المعادلات التكعيبية بواسطة (مقطوع المخروط) وحل غيرها بواسطة (تقاطع المنحنيين) وتمكن من ايجاد حجم الجسم المتولد من دوران القطع المكافيء حول محور السينات أو الصادات كما وضع قوانين لايجاد مجموع الاعداد المرفوعة الى القوى من

(واحد) الى (أربعة) وغير ذلك من اسرار العلم •

ليلى : رجل فذ •• وعالم جهبذ •

الاب : ليرحمه الله ، بقدر ما قدم للتراث العلمي من خير عميم •

— الختام —

إِبْنُ رَشِيق

ـ جلسة الاب وابنته ليلى ـ

الاب : (داخلا) اسعدت مساء يا ليلى

ليلى : ومساؤك أسعد يا أبتي .... كنت بصدد المجيء الى غرفتك .

الاب : لماذا ، هل اشكل عليك شيء ؟

ليلى : استمع يا أبتي الى هذا المقطع الذي استوقفني في كتاب اليوم الذي أقرأه .

الاب : ماذا ؟... تفضلي .

ليلى : يقول الكاتب :

« قضى المشرق فترة من الزمان منعكفا على أبي نواس والبحتري والمتنبي ولا سيما المعرى وابن سينا وهم وان كانوا بلا مراء من مفاخر الآداب العربية وأمجادها الا انه لا يجوز أن يقتصر جهد الباحثين عليهم وأن يفتنوا بآثارهم فتونا وبما يحصر آفاق الشباب الناهض ويجعله قانعا بذلك النصيب بينما يوجد لديه خضم تلاطمت أمواجه وغمر عبابه الزاخر سواحل المشرق والمغرب على السواء .

الاب : ها . ها ...

ليلى : ماذا تقول في هذا الرأي يا أبتي ؟

الاب : بقدر ما يتعلق الامر بتراثنا الثقافي في المغرب العربي . فذلك أمر لا غبار عليه ولا مماراة فيه ... فلقد أنجب من أعلام الفكر والادب ما يضيف مجدا الى أمجاد امتنا الثقافية وأسماء ابن رشيق وابن

حزم ، وابن رشد ، وابن سعيد الغرناطي وغيرهم •• وغيرهم كثير أشهر من أن تذكر •

ليلى : ابن رشيق ؟••• لقد سمعت بهذا الاسم قبلا •

الاب : طبعا فهو صاحب الكتاب الشهير (العمدة في صناعة الشعر ونقده) ••• كما انه صاحب كتب (قراضة الذهب في نقد أشعار العرب ، وانموذج الزمان في شعر القيروان • والشذوذ في اللغة ، والرسائل الفائقة والنظم الجيد) وغيرها من المصنفات الهامة •

ليلى : اذاً فهو أحد المبرزين في دنيا الفكر والادب ؟

الاب : نعم • ولقد قال عنه أحد الذين درسوه :

ـ صوت :

« ••• لقد نظرت فرأيت ابن رشيق الناقد الشاعر البليغ ، في بلاط المُعز بن باديس كالبحتري في بلاط المتوكل ، ورأيته في كتابه (العمدة) كالجرجاني في كتابه (الوساطة بين المتنبي وخصومه) وكالآمدي في كتابه (الموازنة بين الطائيين أبي تمام والبحتري) •

ليلى : هكذا ؟!

الاب : كيف لا ، فلقد قدم الرجل للغة العربية في نقدها خير ما قدم ناقد لا سيما في مجال نقد الشعر وأدى لها في شعرها ما يرتفع به الى صفوف المقدمين من الشعراء المجيدين •

ليلى : لقد شوقتني يا أبتي الى معرفة الكثير عنه ••• فهلا حققت لي هذه الرغبة ؟

الاب : بكل سرور •

ليلى : قلت لي انه نشأ في المغرب أليس كذلك ؟

الاب : نعم نشأ في الشمال الافريقي وأمتدت حياته من بداية العشر الاواخر في القرن الرابع الهجري والى ما بعد منتصف القرن الخامس بقليل ، وتاريخه ـ شاعرا ـ يذكر انه وصل الى بلاط المعز في القيروان

وصار شاعره المقدم •

ليلى : ها • ها •••• اذاً لقد تبوأ مكانة مرموقة يومذاك •

الاب : نعم لكن الحال لم تدم به هكذا ، فقد آل الأمر بالمعز نتيجة الفتن والغارات والحروب الى الارتحال عن القيروان الى (المهدية) حيث يحكمها ابنه (تميم ابن المعز) •

ليلى : وابن رشيق ؟

الاب : في البدء ارتحل كذلك الى (المهدية) ولكن مقامه فيها لم يطل فقد ولى وجهه شطر صقلية تاركا الاحداث والفتن في الشمال الافريقي يومذاك منصرفا الى نفسه •

ليلى : منصرفا الى نفسه ؟

الاب : هكذا أو يكاد يا ابنتي ، فتأريخه يذكر انه صمت هناك ولم يسمع له صوت الا وصفه لركوب البحر اليها حيث يقول :

ـ ابن رشيق :

ولقد ذكرتك في السفينة والردى
متوقع بتلاطم الأمواج

والجو يهطل والرياح عواصف
والليل مسود الذوائب داج

وعلى السواحل للأعادي غارة
يتوقعون لغارة وهياج

وعلت لأصحاب السفينة ضجة
وأنا وذكرك في الذ‌تتاج

ليلى : (تضحك) أين هو من أحداث عصره •

الاب : لا يخلو الامر من بعض الغرابة ، الا ان الابيات نسبت اليه ، والشعر على أية حال صدى لما في نفس الشاعر •

ليلى : ترى يا أبتي ....

الاب : نعم ؟

ليلى : أقول ، ما دام ابن رشيق كان ـ كما ذكرت لي ـ شاعر المعز ومن المقربين اليه واللامعين في قصره ، ترى لم تركه وتوجه الى صقلية .

الاب : لا بد لي ، قبل أن أروى لك السبب الذى ذكره تأريخه ، أن أذكر لك ان ابن رشيق في المهدية لم ينس حياة القيروان ولذلك نسمعه يقول :

ـ ابن رشيق ـ

اترى الليالي بعد ما صنعت بنا	تقضي لنا بتواصل وتـــدان
ونعيد ارض القيروان كعهدها	فيما مضى من سالف الازمان
أمست وقد لعب الزمان بأهلها	وتقطعت بهم عرى الاقران
فتفرقوا أيدى سبا وتشتتـــوا	بعد اجتماعهم عـلى الاوطـان

ليلى : حنينه اليها ـ كما يدل شعره ـ عارم وتشوقه لأيامه السابقة كبير .

الاب : نعم ، وقد ذكر التأريخ في اسباب تركه (المعز) و (المهدية) قصة تتلخص في ان اسطول الروم هجم ليلة على المهدية .. فأصبح النهر على حد قول (ابن بسام المؤرخ) ثنايا تطلع منايا ، واكماما تحمل موتا زؤاماً . وان (ابن رشيق) دخل على المعز في فجر ليلة هجوم الاسطول . فوجده في مصلاه والرقاع ترد عليه وهو ينظرها في نور شمع بين يديه فقام ينشده قصيدته التي يقول فيها :

ـ ابن رشيق ـ

تثبت لا يخامرك اضطراب	فقد خضعت لعزتك الرقاب

الاب : فلم يعجب (المعز) ذلك المطلع وابتدر ابن رشيق بقوله :
متى عهدتني لا أثبت ؟... اذا لم تجئنا الا بمثـــل هذا فمالك الا تسكت عنا ؟

ليلى : كلام قاسي يوجه الى شاعر مقرب من الحاكم

الاب : بلا شك . خاصة انه ما تعود من صاحبه هذه المبادرة ... والانكى من ذلك أن المعز أمر بالرقعة التي فيها القصيدة فمزقت ، ثم ادنيت من الشمع فأحرقت .

ليلى : الى هذا الحد ؟

الاب : هكذا رويت الحادثة .. الأمر الذى عز على ابن رشيق الذى عاش في بلاط الرجل مقربا منه فخرج من يومه على غير هدى الى ان ولى وجهه شطر صقلية وبقى فيها الى أن مات .

ليلى : هكذا لم يتطلع ولا حاول التقرب من أحد .

الاب : لقد حاول ان يلقى (عبادا) أحد أمراء الاندلس لكن الحظ لم يسعفه .

ليلى : أقول يا ابتي ..

الأب : نعم ؟

ليلى : قلت لي في بدء حديثنا ان ابن رشيق هو صاحب كتاب (العمدة في صناعة الشعر ونقده) أليس كذلك .؟

الاب : نعم . وهذا الكتاب هو الذى حمل اسم (ابن رشيق) وجعله في عداد الخالدين من أعلام العرب وقد رفعه الى (أبي الحسن علي بن أبي الرجال) رئيس ديوان الانشاء على عهد المعز والذى اشتهر بالكرم وتشجيع الادب .

ليلى : كان هذا قبل رحيله الى صقلية ؟

الاب : نعم . في القيروان . أيام عزه ومجده ، ولقد خاطبه فيه قائلا :

ـ ابن رشيق ـ

« .... أما بعد ، فأن أحق من جنى ثمار الالباب ، واقتطف زهر الاداب متنزها في عقول الحكماء ، متفكها في أقاويل العلماء بالغا بهمته أعلى المراتب . خاطبا لنفسه أسنى المطالب ، من عرف للعلم حقه

وفضله وسلك به طرقه وسبله ، السيد الأمجد رجل الخطاب وفارس الكتب ، أبي الحسن علي ابن أبي الرجال الكاتب .... الذى نال الرياسة وحاز السياسة وانفرد بالبسط والقبض واتحد في الأبـرام والنقض ..

الاب : .... الى آخر ما قاله في مدحه والثناء عليه .

ليلى : وماذا تناول ابن رشيق في عمدته يا أبتي ؟

الاب : لقد تضمن كتاب العمدة طائفة من الأبواب معظمها في نقد الشعر وصناعته وتأريخه وما يتصل به من مباحث الوزن والقافية والصورة الفنية التي تتصل بفن القول عموما وفن الشعر بصورة خاصة .

ليلى : موضوعات جد مهمة .

الاب : بلا شك . لكن ابن رشيق على عادة المؤلفين الذين سبقوه يضم الى ذلك الموضوع الاصيل في كتابه موضوعات أخرى لا تجمعهـا مع الشعر ودراسته جامعة لا من قريب ولا من بعيد .

ليلى : مثل ماذا يا ابتي ؟

الاب : مثل أبواب كتابه في أصول النسب ، والجوائز والصلات ، وغيرهما مما شابه ومائل .

ليلى : جريا على عادة الكتاب في عصره .... أليس كذلك ؟

الاب : نعم ، فلقد كانوا يطرقون في كتبهم الموضوعات المختلفة

ليلى : بقي أن أسألك يا أبتي عن شعره .... فماذا عنه شاعرا .

الاب : ابن رشيق يا ابنتي رجل موهوب منذ نعومة اظفاره ، وألا كيف حقق لنفسه ما حققه وهو ابن صائغ مغمور في عصر كعصره ؟.... أن موهبته وطموحه جعلاه يترك آثار خطاه واضحة على الطريق .

ليلى : يبدو أنه كان كذلك .

الاب : هذا واضح، وهو ، شعورا منه بمكانته ، نراه في تصانيفه عندمايسوق في حديثه شعر الشعراء الاعلام كنماذج دراسية يسوق الامثلـة من شعره كذلك .

ليلى : وهل ترك ابن رشيق ديوانا ؟

الاب : لم يضم شعره ديوان • ونتاجه متناثر فى كتابه (العمدة) وفيما ذكرته كتب التراجم التي تعرضت له كما أن هناك مجموعة من شعره في مكتبة (الأسكوريال) •

ليلى : وهل طرق الكثير من فنون الشعر ؟

الاب : نعم ، وان له فيما طرقه ـ في الواقع ـ شعرا بديعا •

ليلى : مثل ماذا يا أبتي ؟

الاب : مثل قوله يصف الطبيعة في الشتاء ••

ـ ابن رشيق ـ

خليلي هل للمزن مقلة عاشق   أم النار في أحشائها وهي لا تدرى
ترقرق دمعا في خدود توشحت   مطارفها بالبرق طرزا من التبر
فوشي بلا رقم ونسج بلا يد   ودمع بلا عين وضحك بلا ثغر

ليلى : وصف بديع !

الاب : ومن شعره قوله :

ـ ابن رشيق ـ

تنازعني النفس أعلى الأمور   وليس من العجز لا أنشط
ولكن بمقدار قرب المـكان   تكون سلامة من يسقـط

ليلى : (ضاحكة) هذا تعليل غير مقبول

الاب : (ضاحكا) بدون شك ••• ومهما يكن من شيء يا ابنتي فللرجل فضله الكبير ومكانته في التراث الثقافي العربي • كما أن عليه مآخـذ جمة يحاسب عليها كشعر له ماجن وتبذل في القول لا يليق به في بعض ما انتج من قريض •

ليلى : هكذا اذا ؟

الاب : نعم ... لكأني به يوم لقي وجه ربه سنة (٤٥٦) للهجرة كان يردد مع نفسه قوله :

ـ ابن رشيق

رجوت رحمة ربي وهي واسعة   ورحمة الله أرجى لي من العمل

ـ الختام ـ

ابن النفيس

(الأب – ليلى ابنته)

الاب : يفتح بابا ثم يدخل – مؤثرات

« ما شاء الله ... ما شاء الله ، ولم كل هذا الانشغال يا ابنتي ؟

ليلى : – تضحك – لا – انما هي مسابقة في مجلة ما زلت احاول الأجابة على أسئلتها

الاب : وهل صعب عليك جواب سؤال ؟

ليلى : هذا السؤال ، طبيب عربي اكتشف الدورة الدموية الصغرى قبل (وليم هارفي) ، من هو ؟

الاب : ألا تعرفينه يا ليلى ؟

ليلى : معذرة يا أبتي ، ان الذي أعرفه ان الاوساط العلمية البريطانية احتفلت قبل مدة بمرور ثلاثة قرون على وفاة الطبيب البريطاني (هارفي) مكتشف الدورة الدموية في الجسم البشري .

الاب : المعروف يا ابنتي ان الطبيب العربي (علاء الدين أبا الحسن ابن النفيس) كان أول من اكتشف الدورة الدموية التنفسية منذ حوالي ستة قرون .

ليلى : ستة قرون ؟!

الاب : نعم ، أي (قبل هارفي) بثلاث مائة سنة

ليلى : هكذا ؟

الاب : نعم يا ابنتي

ليلى : وأين كان ذلك يا أبتي

الاب : كان ذلك في القاهرة يا ليلى ... وفيها اشتهر

ليلى : وماذا عن سيرته ؟

الاب : لم يذكر أحد من المؤرخين اسم البلدة التي ولد فيها (ابن النفيس) وقال بعضهم انه نشأ في دمشق فلعله ولد فيهـا . وأجمع كل من ترجم له انه درس الطب بدمشق على أشهر طبيب في ذلك العصر وهو (مهذب الدين أبو محمد عبدالرحيم بن علي الدخوار)

ليلى : ها .. ها ..؟

الاب : وتاريخه يحدثنا انه بدأ دراسة الطب على كبر وان هـذه الدراسة لم تشغله عن دراسات اخرى متصلة بالطب أو منفصلة عنه مثل المنطق والفقه والجدل والعربية والبيان والحديث .

ليلى : مجموعة معارف

الاب : كيف لا . انه واحد من الاعلام

ليلى : وهل تحدث عنه المؤرخون كثيرا ؟

الاب : نعم . تحدثوا وأطالوا الحديث

ليلى : مثل ماذا يا أبتي ؟

الاب : ـ ضاحكا ـ هذا كثير يا ليلى .... اسمحي لي أن أختـار لك ما تقرأينه عنه ريثما أغير ملابسي وأعود .

ليلى : ماذا ؟..

الاب : لحظة ... (تسمع خطوات) هذا كتاب مبسط ، يورد الكثير عن ابن النفيس .. تفضلي

الاب : مثل ماذا ؟

(تسمع خطواته ذاهبا)

ـ موسيقى فاصل ـ

(بعد انتهاء الفاصل الموسيقي يعود الاب)

ـ خطوات قادمة ـ

الاب : ها ؟ ... هل قرأت شيئا عنه ؟

ليلى : هنا يا أبتي أقوال تلفت النظر

الاب : مثل ماذا يا ابنتي

ليلى : يقول (أبو الفتح العمري) عنه : كان ابن النفيس على وفور علمه بالطب واتقانه لفروعه واصوله قليل البصر بالعـــلاج . فاذا وصف لا يخرج بأحد عن مألوفه ، ولا يصف دواء ما أمكنه أن يصف غذاء، ولا مركبا ما أمكنهالاستغناء بمفرد)

الاب : ها ، ها

ليلى : بينما يقول الذهبي : وبرع في الصناعة والعلاج . ويقول السبكي : وكان في العلاج أعظم من ابن سينا .

الاب : ان رأي الشيخ العمري يا ابنتي منصب على كون ابن النفيس كان يجنح الى العلاج بالغذاء قبل اللجوء الى الدواء

ليلى : وماذا في هذا ؟

الاب : ذلك هو مأخذه

ليلى : ولكنه خطأ بالنسبة للطب الحديث

الاب : تقصدين فكرة العدول عن الدواء الى الغذاء ؟

ليلى : بالضبط ... أما سمعت يا أبتي بما اذيع قبلأيام حول هذا الموضوع.

الاب : ماذا ؟

ليلى : لقد جاء في الاخبار العلمية ....

(انتقالة سريعة)

صوت : « أذاع الدكتور توم دوجلاس سبايز ، مدير مستشفى هيلمـــان بمدينة برمنجهام الامريكية ، نظرية جديدة في العلاقة بين الامراض

والتغذية ، قال فيها : ان كل الامراض التي تصيب الجسم سببها مواد كيماوية ، ومن ثم فكل الامراض يمكن علاجها بالكيمياويات • ولما كانت كل المواد الكيمياوية التي يستخدمها الجسم ـ ما عدا الاكسجين والماء ـ تأتي عن طريق الطعام ، فانه اذا زادت معلوماتنا عن هـــذه المواد ، استطعنا أن نتقي كل الامراض ، وأن نعالجها عن طـــريق التغذية الصحيحة •

وقد أمكن فعلا علاج كثير من حالات الانقباض النفسي والقلق والأرق والصداع عن طريق نظام غذائي يقل فيه السكر والنشويات بعد أن ثبت ان هذه الحالات سببها كثرة الانسولين في الدم » •

(انتقالة ثانية سريعة)

ـ الاب ـ ليلى ـ

الاب : ألا يعني هذا ان الرجل كان ينتهج نظرية علمية يحاول بعض الاطباء المحدثين تطبيقها ؟

ليلى : كيف لا •• انه يعنيه بالضبط • بل انه يدل دلالة اخرى يا أبتي

الاب : هكذا ؟ ••• ما هي يا ليلى ؟

ليلى : يبدو ان الجديد في الغرب اليوم له جذوره واصوله في شرقنا القديم •

الاب : ـ ضاحكا ـ بورك فيك يا ليلى ••• انه استنتاج منطقي ومعقول

ليلى : وما من شك في ان الرجل كان من ذوي النظر البعيد

الاب : ما كتبه عنه المؤرخون بعد وفاته يدل على هذا •

ليلى : وماذا قالوا يا أبتي

الاب : قالوا الكثير ••••

ليلى : مثل ماذا ؟

الاب : قال اليافعي :

ـ صوت :

« ابن النفيس أحد من انتهت اليه معرفة الطب • مع الذكاء المفرط والذهن الخارق »

الاب : وقال الأسنوي :

ـ صوت :

« كان ابن النفيس امام وقته في فنه ، شرقا وغربا ، وبلا مدافعة، فهو اعجوبة دهره »

الاب : وقال أبو حيان الاندلسي :

ـ صوت :

« كان ابن النفيس اماما في الطب ، لا يضـــاهى في ذلك ولا يبارى ، ولا يدانى استحضارا واستنباطا » •

الاب : وقال العمري :

صوت ـ : فرد الـــدهر وواحده ، وأخو كل علم ووالده ، امام الفضائل ، وتمام الاوائل •

(صوت موسيقى منفرد)

الاب : ••• ماذا يا ليلى •••• يبدو انك سرحت بعيدا مع الأخيلة •

ليلى : اي والله يا أبتي

الاب : كيف ؟!

ليلى : كنت أتمثل هذا الرجل الذي أجمع المؤرخون على حذقه وعلمــه وعبقريته ••• ترى يا أبتي ، ماذا عن نشاطاته في غير مجالات الطب ؟

الاب : له يا ابنتي نشاطات كثيرة

ليلى : مثل ماذا ؟

الاب : لعل فيما تركه من مصنفات الدليل الواضح على ذلك ••• فلقــد

ألف في العربية كتابا في جزئـــين ذكره المؤرخ العمري وكتب في المنطق (الوريقات) وهو مخطوطة بمكتبه (بودليـــان) كما ألف (المختصر في علم اصول الحديث) وهو مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة كما كتب (الرسالة الكاملية في السيرة النبوية) وشـــرح (التنبيه في الفقه الشافعي) ووصل فيه الى باب (السهو)

ليلى : وهل له مؤلفات في الطب ؟

الاب : كثيرة كذلك

ليلى : مثل ماذا ؟

الاب : مثل (الشامل) و (المهذب في الكحل) و (المختار من الاغذية) و (تفاسير العلل وأسباب الامراض) •

هذا بالاضافة الى شروحه لكتب (ابو قراط) ودراساته حول (القانون) لابن سينا • وشرح المسائل الطبية ل (حنين) وشرح التشريح ل (جالينوس) •

ليلى : رجل فذ •• ترى وماذا عن اكتشافه الخطير في الدورة الدموية ؟

الاب : يقول ابن النفيس في شرحه على تشريح ابن سينا :

ـ صوت ابن النفيس :

« ••• اذا لطف الدم في التجويف الايمن فلا بد من نفوذه الى التجويف الايسر • ولكن ليس بينهما منفذ • فان جرم القلب هناك ليس فيه منفذ ظاهر كما ظنه جماعة ، ولا منفذ غير ظاهر يصـلح لنفوذ الدم فان مسام القلب متينة وجرمه غليظ • فلا بد أن يكون هذا الدم اذا لطف ، نفذ في الوريد الشرياني الى الرئة لينبث في جرمها ، ويخالط الهواء ، ويتصفى الطف ما فيه وينفذ الى الشريان الوريدي ليوصله الى التجويف الايسر من تجويفي القلب » •

ـ موسيقى ـ

ليلى : ••• كل هذا ؟••• يا لله ••• يا لها من عبقرية مبكرة

الاب : تصوري ... فلقد توصل الى كل هذا الفتح العلمي في ذلكم الزمن البعيد ولذلك عد اعظم اطباء عصره .

ليلى : شيء رائع

الاب : ويوم فاضت روحه الى بارئها في القاهرة عام ٦٨٧ للهجرة عن عمر بلغ الثمانين رثاه ابو الفتح الصفي فقال فيما قاله ...

ومسائل : هل عالم أو فاضل
أو ذو محل في العُلا بعد العَلا ؟

فأجبت - والنيران تضرم في الحشا -
أقصر فمذ مات العَلا مات العُلا

ليلى : ليرحمه الله .

- موسيقى الختام -

جمال الدين الأفغاني

صوت ـ قال الشيخ عبدالله العلايلي ....

... وبراعة الافغاني انه وجه الضربة من أول الأمر الى الاساس : ضرب يد المستعمر فتهاوت هنالك السدود ، وكان لنا هذا الطوفان الذي أرى فيه حكاية الاستعمار تغرق ...

الاب ـ ليلى

ليلى : ... وكأنها تتم حديثا سابقا ...

ومن هو الشيخ العلايلي هذا يا أبتي ؟

الاب : هو أحد الاعلام الاحياء الذين كتبوا عن (الرجل الاعصار) جمال الدين الافغاني

ليلى : وهذا هو لقبه وتلك صفته ... أعني (الافغاني) و (الرجل الاعصار)

الأب : (الرجل الاعصار) صفة أطلقها على جمال الدين بعض من تناوله بالدرس والبحث .

ليلى : والافغاني ؟

الاب : باعتباره من أفغانستان ... فهو منسوب الى بلده

ليلى : وماذا عن حياته ؟

الاب : يقول السيد الافغاني عن حياته :

ـ صوت جمال الدين :

(... وأي نفع لمن يذكر انني ولدت سنة (١٢٥٤) هجرية وعمرت أكثر من نصف قرن واضطررت لترك بلادي الافغان مضطربة تتلاعب بها الاهواء والاغراض ، واكرهت على مبارحة الهند واجبرت على الابتعاد عن مصر ـ أو ان شئت نفيت منها ومن الاستانة ومن أكثر عواصم الارض ـ كل هذه الاحوال خاطرات لا تسرني وليس فيها أدنى فائدة للقوم .)

ليلى : رأي بديع .

الاب : أرأيت ؟... انه يقول (ان هذه الاحوال خاطرات لا تسرني) لانه كان يريد أن يضحي بنفسه في سبيل الحق الذي ينادي به فيصل بذلك الى أسمى المراتب في التضحية .

ليلى : رجل ولا كالرجال .

الاب : انه فعلا أحد الافذاذ

ليلى : وعلى هذا الاساس لم يكتب تاريخ حياته ؟

الاب : كيف لا . الا انه هو نفسه لم يكن يحفل به أو يوليه عنايته .

ليلى : وماذا عنه ؟

الاب : المعروف انه ولد في بيت كبير يصعد نسبه الى الحسين (رض) ، قيل انه في الافغان وقيل أيضا ـ انه في فارس عام تسعة وثلاثين وثمانمائة وألف ميلادية .

وقد درس في الافغان علوم عصره ، على الطريقة التقليدية ، وتفقه ، ثم سافر الى الهند حيث تمرس بالرياضيات سنة وبعض سنة . ثم انتقل الى الحجاز فطوف فيها وأدى فريضة الحج . ثم عاد الى الافغان .

ليلى : جولة طويلة ... وماذا بعد ذلك ؟

الاب : انه بعد أن عاد الى الافغان من مكة بدأ نضاله الوطني ، وفتح سجله

الثوري الذي قال عنه (جولدزير) في دائرة المعارف الاسلامية :

صوت :ـ

« كان السيد قبل كل شيء سياسيا ، يعتبره مريدوه وطنيا صادق الشعور ، ويعده خصومه مسعر ثورات مخوفا » •

ليلى : هكذا ؟

الاب : هذا ما قيل عنه •

ليلى : هل لي أن أعرف يا أبتي شيئا عن مساهماته في الجهاد الذي نذر نفسه له ؟

الاب : تاريخ الافغان يحدثنا يا ابنتي انها عاشت فترة طويلة في كفاح متواصل لسيطرة النفوذ البريطاني • ولقد واكب جمال الدين هذا الكفاح بشكل بارز • وقد اختاره (محمد أعظم) وزيرا •

ليلى : وصل الى منصب الوزارة ؟؟

الاب : نعم ، الا ان منصبه لم يدم له طويلا •

ليلى : لماذا ؟

الاب : لان الانكليز أنسوا في (محمد أعظم) القوة والاستقلال فآثروا أن يعضدوا خصومه عليه •

ليلى : وهل تمكن الخصوم أن يفعلوا شيئا ؟

الاب : نعم ، فقد حاقت به الهزيمة ولجأ الى ايران •

ليلى : وماذا بالنسبة للسيد الافغاني ؟

الاب : لقد بقي في وطنه ، في ساحة المعركة ، لم يفر منها لثقته بشعبه وحمايته له • ولذلك لم يجرؤ أحد أن يمسه • ولكنه لما شعر بمحاولات الخصوم وتآمرهم ضده آثر أن يفارق الافغان وقال انه ذاهب لاداء فريضة الحج • فأذنت السلطات له على شرط أن لا يمر بايران لكي لا يلتقي بالحاكم السابق (محمد أعظم) صديقه ونصيره • فغادر الى الهند •

ليلى : غادر حانقا طبعا •

الاب : بلا شك ، فقد اتضحت في ذهنه الوقاد ألاعيب الاطماع الخارجيـة وأحابيلها وترابط في روعه معنى تلاحم قوى الاستعمار وتضـامنها ضد الشعوب •

ليلى : وهلا ترى يا أبتي ان هذه التجربة هي التي وجهت شـعوره هذه الوجهة التحررية ؟

الاب : هذا ما يجمع عليه كل من درسه • فهو اجتـاز تجربته الاولى في النضـال مساهما في تأليفهـا واحداثها بحكم منصبه وبحكم اتصـاله بامراء الافغان وكانت تلك نقطة البداية وعمره دون الثلاثين •

ليلى : دون الثلاثين ؟

الاب : نعم ، وكانت جولته الاخرى في الهند حيث سافر اليها •

ليلى : وماذا عنه هناك ؟

الاب : لقد أدى دوره هناك كذلك ، فبالرغم من انه احيط بالرقابة وطوق بالمراسيم الرسمية حيث أنزلته السلطة في ضيافتها ولم تفسح له مجال الالتقاء بالناس كما يريد الا انه استطاع أن يبلغ رسالته •

ليلى : كيف ؟

الاب : لقد تجاوبت الهند كلها بقدومه ، وهرع اليه كبـارها ، وعلماؤها ورجالاتها ، ومختلف طبقات شعبها يسمعون أقواله ودروسه الوطنية وتتاج خبرته السياسية •

ليلى : اذن والرقابة التي فرضت عليه ؟

الاب : عندما لم يعد للمراقبين حيلة في الرقابة جاءه كبير من حكومة الهند ـ يومذاك ـ وأخبره أمام عشرات الاشخاص الذين كانـوا يؤمون منزله بأن حالة البلاد لا تساعد على بقائه أكثر مما مكث •

ليلى : وهكذا بارح الهند ؟

الاب : نعم ، ولكن بعد أن أجج نارا في بضـعة أسابيع وقال ما يريد أن يقول ، وأظهر قوة الشعب الكامنة •

ليلى : •••• ولكن ، الى أين يا أبتي ؟

الاب : الى السويس هذه المرة ، ومنها عرج على القاهرة في زيارة قصيرة حيث غادرها الى الاستانة وكان ذلك عام ١٨٧١ •

ليلى : وماذا عنه في الاستانة •

الاب : لقد اتصلت أسبابه بأسباب (عالي باشا) الصدر الاعظم ـ يومذاك ـ فأحله منزلا ومنزلة ، وذاع صيته بين علمائها وجماهيرها • وبعد ستة شهور من اقامته هناك سمي (عضوا في مجلس المعارف) •

ليلى : مجال جيد لتحقيق مايريد من أصلاحات ••• أليس كذلك •

الاب : هنا تكمن مشكلته ••• فلقد عاش الصراع مع خصوم دعوته بشكل قاس وغادر الاستانة في آذار عام ١٨٧١ منفيا نفيا لبقا •

ليلى : والى أين هذه المرة ؟

الاب : الى مصر ، ليكافح ويجاهد من أجل الشعب وليخرجه الخديوي ـ منفياً ـ كذلك حيث ذهب الى الهند ثم لما وجد نفسه يعاني ماعاناه سابقا هناك شخص الى أوربا حيث استقر به المقام في باريس •

ليلى : هكذا ؟••• وماذا يعمل هناك يا ترى !

الاب : لقد راسل طلابه واتصل بمريديه وكان منهم الشيخ (محمد عبده) الذي حكم عليه في مصر بالسجن ثم ابدل السجن الى النفي جزاء له على كتاباته في تأييد (عرابي) وتحريضه الناس على الانكليز وقت الثورة •

ليلى : وأين كان الشيخ (محمد عبده) ؟

الأب : في بيروت ومنها شخص الى باريس حيث ساهم مع السيد جمال الدين في اصدار جريدة (العروة الوثقى) هناك •

ليلى : وما هو هدفه من ذلك ؟

الاب : جريدة العروة الوثقى التي أصدرتها الجمعية التي تحمل هذا الاسم ويتزعمها السيد وصحبه كانت تهدف الى ايقاظ الشعور الديني وتجنيد القوى لخدمة القضايا الوطنية ولقد لاقت الجريدة صدى عريضا في ذلك الوقت •

ليلى : وهل استمرت على الصدور ؟

الاب : استمرت حوال ثمانية شهور وقد حوربت من الخصوم ومنعت من دخول القطر المصري •

ليلى : وبعــدها ؟

الاب : توقفت الجريدة عن الصدور وفكر السيد في نقل مجال نشــاطه مجددا الى الشرق وسافر الى فارس بعــد أن أبرق اليه الشــاه (ناصرالدين) يستقدمه الى طهران •

ليلى : لمــاذا ؟

الاب : لقد عهد اليه أولا بوزارة الحربية ثم اختاره مستشارا خاصا بالاضافة الى مهنته تلك لكنــه ما لبث أن هجر منصبه بعد أن تبين له بعد الشاه (ناصرالدين) عن روح الاصلاح الذي ينشده السيد •

ليلى : جواب افاق

الاب : فعلا • فانه بعد ذلك ذهب الى روسيا وأخرج منها فسافر الى لندن ومنها الى باريس ثم الى ميونخ ثم عاد بصحبة الشاه الى فارس من جديد ثم أخرج منها بالقوة هذه المرة ورمي به في (خانقين) وأقام ردحا من الزمن في البصرة ثم غادرها مجددا الى لندن ثم اســتدعي بالحاح الى الاستانة عام ١٨٩٢ من قبل السلطان عبدالحميد •

ليلى : مرة أخرى الى الاستانة ؟

الاب : نعم ووجد نفسه كــذلك بعد الذهاب اليهــا في قفص من ذهب لا يستطيع الافلات منه وعاش كذلك أيضا ـ يعمل من أجل نشــر دعوته ورفع لواء الاصلاح ولا من مجيب حتى وجد المرض يسطو على فكه •

ليلى : مرض ••• ها •••؟

الاب : قيل انه اصيب بالسرطان واجريت له جراحة لم تنجه فأسلم روحه

الى بارئها في آذار عام ١٨٩٧ وهكذا مات الرائد الذي عرف بالجهاد من أجل الحق ... مات الرجل الاعصار .

ليلى : ... ليرحمه الله ...

الختـــام

محمود سامي البارودي

يسمع صوت ينشد مع الموسيقى :

« أعـــد يا دهر أيام الشـباب — وأين من الصبا درك الطلاب
زماناً كلمــا لاحت بفـكري — مخائله بكيت لفــرط ما بي
مضى عني وغــادرني ولوعاً — تولد منـــه حزني واكتئــابي
وكيف تلذ بعـد الشيب نفسي — وفي اللذات ان سنحت عذابي !

يتلاشى الصوت والموسيقى ...

جلسة الأب وابنته ليلى

الاب : (داخلا) اسعدت مساء يا ليلى ... ها ، يبدو عليــك الاهتمام بما تسمعين !

ليلى : (ضاحكة) .. ومساؤك أسعد يا أبتي ... فعلا ، فلقد اعجبت بالشعر الملقى من الراديو غاية الاعجاب .

الاب : انـــه فعلا شعر يستأهــل الاعجاب .. أتعرفين شـــاعره ؟

ليلى : قال منشده انه لمحمود سامي البارودي ... ولكنني في الواقــع لا أعرف عنه الا القليل .

الاب : رحمه الله فهو من أعلام عصره ... انه يعتبر استاذ شوقي وحافظ ويعد المدرسة التي أخذ عنها هذان الشاعران الكبيران وأضرابهما .

ليلى : انه اذاً من كبار الشعراء .

الاب : بدون شك ••• ولقد امتاز شعره بالنزعة الوجدانية الخالصة وعبر عن خلجات فؤاده ونبضات شعوره بصدق تام وصراحة واضحة دون تزويق ولا تنميق •

ليلى : هذا جميل •

الاب : كيف لا •

ليلى : أقول يا أبتي ؟

الاب : نعم •

ليلى : انطلاقاً من مفهوم التقييم الذي قيمت به البارودي ، أعني نزعته الوجدانية ألا يعني هذا ان الرجل عبر عن خواطره الذاتية •

الاب : بلا شك ، وهذه نزعة وجدانية خالصة شاعت فيما بعد في شعر مطران ومن سار على مذهبه من الشعراء •

ليلى : تعني يا أبتي •••

الاب : أعني ان شعر البارودي الذي زخر بالألم ، نهجت مدرسة (مطران) على نهجه فتمادت في هذا الالم •

ليلى : ها ••• ها •••

الاب : ولان مطران كان أكثر اتصالا بالثقافة الغربية من البارودي فانه هذب هذا الألم تهذيبا جعله أشبه بالرومانتيكيين الذين يتفشى الألم في شعورهم وينطبع في شعرهم •

ليلى : وعلى مَ يدل هذا يا أبتي ؟

الاب : انه عندي دليل عزلة روحية

ليلى : هكذا ؟

الاب : هذا الذي أراه ••• فان رهافة شعورهم ودقة احساسهم الى درجة لا تستقر معها نفوسهم بل تظل في اضطراب دائم وحيرة متصلة هي التي دفعتهم الى هذه العزلة •

ليلى : قد يكون مرد ذلك انهيار بعض آمالهم •

الاب : ربما ... وربما لنفورهم من بعض أدواء المجتمع .. فقد يمتد بهم العمر ولا يجنون من آمالهم شيئا ولا يظفرون من أحلامهم بشيء ... ولقد وضع البارودي اللبنة الاولى في هذا الفن الشعري عندما قال ...

ـ البارودي ـ :

أعـد يا دهر أيام الشباب   وأين من الصبا درك الطلاب

الاب : القصيدة التى استمعت اليها قبل قليل .

ليلى : ها ... ها ... دليل واضح على ما ذهبت اليه يا أبتي !

الاب : هذه سمة من سماته البارزة يا ليلى

ليلى : حديثه طريف ... هلا استطعت يا أبتي أن أعرف عنه وعن شعره أكثر وأكثر ؟

الاب : بقدر مايتعلق الامر بترجمته الخاصة فهـو ابن (حسن حسني) أحد كبار الموظفين في عهد محمدعلي بمصر ولقد توفي أبوه وهو في السابعة من عمره فتعهده أقاربه .

ليلى : وكيف كانت بداياته .

الاب : على المستوى المدرسي التحق بالمدرسة الحربية وتخرج فيها وظل يترقى في الجيش حتى أصبح وزيرا للحربية .

ليلى : ها .. ها ؟

الاب : نعم ... ثم انه تسنم بعد ذلك منصب رئيس الوزراء .

ليلى : هكذا اذن ، شاعر وقائد وسياسي

الاب : نعم ، لكن المجد لم يدم له طويلا

ليلى : لماذا يا أبتي ؟

الأب : لقد تحـول البارودي من الجيش الى الادارة ، ولقـد صارت اليه ، فيما صارت اليه من وظائف كبيرة ـ رئاسة مجلس النظار ، قبـل الثورة العرابية . فلما جاء الانكليز وسيطروا على مرافق الدولة ألقوا

القبض على زعماء الثورة العرابية وكان من بينهم البارودي فحوكم ونفي الى (سرنديب) اي جزيرة (سيلان) .

ليلى : حوكم ونفي !؟

الأب : نعم ، ولقد لبث في منفاه حتى عام ١٩٠٠ حيث صدر العفو عنه ... ولا شك أن اجراء كهذا كبير الاثر على شعور مرهف كشعوره واحساس رقيق كأحساسه وهو الشاعر الشاعر ...

ليلى : بدون شك

الاب : ولذلك نجده يقول متوجعا وهو في منفاه

البارودي :

ليت شعري متى أرى روضة النيل ذات النخيل والاعناب

حيث تجري السفين مستبقات فوق نهر مثل اللجين المذاب

ملعب تسرح النواظر فيه بين أفنان جنة وشعاب

يا نديمي في سرنديب كفا عن ملامي وخلياني لما بي

كيف لا أندب الشباب وقد اصبحت كهلاً في محنة واغتراب

اخلق الشيب جدتي وكساني خلعة منه رثة الجلباب

ليلى : مسكين ... يبدو ان وطأة المنفى قد ثقلت عليه

اب : كيف لا ... وهو فعلاً يسجل هذا الثقل في شعره اصدق تصوير ... انه يقول ـ مثلا ـ في واحدة من قصائده ...

ـ البارودي :

أكلف النفس صبراً وهي جازعة

والصبر في الحب أعيا كل مشتاق

لا في « سرنديب » لي خل الوذبه

ولا أنيس سوى همي واطراقي

ليلى : وماذا يا أبتي عن أغراض شعره الاخرى ؟

الاب : للبارودي شعر كثير ، طبع بعضه في جزئين من ديوانه (الى قافية اللام) ولم يكمل نشر بقية الديوان حتى الان ، وفي ما تركه من حصيلة شعرية وافرة تناول أغلب فنون وأغراض الشعر .

ليلى : هل لي أن استمع الى بعض النماذج من قصائده ؟

لم لا ... قال مثلاً يصف الطبيعة ...

ـ البارودي :

... وللنسيم خلال النبث غلغلة
كما تغلغل وسط اللمة المشط

والريح تمحو سطوراً ثم تثبتها
في النهر لا صحة فيها ولا غلط

وللمياه خيوط غير واهية
تكاد تجمع بالايدي فترتبط

كأنها ـ واكف الريح تضربها ـ
سلوك عقد تواهت فهي تنخرط

ليلى : بديع

الاب : وله ـ مما له في الحكمة ـ قوله ...

ـ البارودي :

اذا ساء صنع المرء ساءت حياته
فما لصروف الدهر يوسعها سبا ؟!

ليلى : (تضحك) فكرة طريفة

الاب : فعلا . ومن شعره الرائع ، المؤثر ، قصيدة يرني فيها زوجته وقد جاءه نعيها وهو في منفاه ... يقول :

ـ البارودي :

لا لوعتي تدع الفؤاد ولا يدي
تقوى على رد الحبيب الغادي
يا دهر فيم فجعتني بحليلة
كانت خلاصة عدتي وعتادي
ان كنت لم ترحم ضناي لبعدها
أفلا رحمت من الأسى أولادي !
هيهات بعدِك أن تقر جوانحي
أسفاً لبعدك أو يلين مهادي
ولهي عليك مصاحب لمسيرتي
والدمع فيك ملازم لوسادي
فاذا انتبهت فأنت أول ذكرتي
واذا أويت فأنت آخر زادي

ليلى : انه فعلاً شعر يثير أعمق الأسى والشجن
الاب : لقد بدا عليك هذا (يضحك)
ليلى : ولذلك أرجو ان تنقلني الى أجواء أخرى من شعره
الاب : كما قلت لك ان له الكثير ... هو مثلاً يعارض قصيدة أبي فراس الحمداني المشهورة (أراك عصى الدمع)
فيقول ...

ـ البارودي :

طربت وعادتني المخيلة والسكر واصبحت لا يلوى بشيمتي الزجر
صريع هوى يلوى بى الشوق كلما تلألأ بدر ، أو سرت ديم غُر
اذا مال ميزان النهار رأيتني على حسرات لا يقاومها صبر
يقول أناس أنه السحر ضله وما هي الا نظرة دونها السحر

الاب : وللبارودي قصيدة طويلة سماها « كشف الغمة في مدح سيد الامة » وهي معارضة لقصيدة (البوصيري) المعروفة بـ (البردة) في مدح الرسول (ص ع) يقول في مطلعها ...

البارودي :

يا رائد البرق يمم دارة العلم واحد الغمام الى حي بذي سَلَمِ
وإنْ مررت على الروحاء فامر لها أحلاف سارية هتانة الدِّيمِ

ليلى : بديع ... شعر جزل

الاب : انه من سادة القافية يا ابنتي ... أذكر ان المرحوم الرافعي ، مصطفى صادق ، كتب يصف شاعريته مرة فقال فيما قال فيه :

ـ صوت:

« وأما نمط البارودي في الشعر فهو غاية ما دارت له الالسنة ، عذوبة تكاد ترشف ، وجزالة تلعب بالنفس ، وسلامة يستريح في ظلها القلب » .

الاب : رحمه الله ، لكاني به يوم أسلم روحه الى بارئها عام (١٩٠٤) كان يردد مع نفسه قوله ...

تكلمت كالماضين قبلي بما جرت به عادة الانسان أن يتكلما
فلا يعتمدني بالأساءة غافل فلا بد لابن الأيك أن يترنما

ـ الختام ـ

حافظ ابراهيم

صوت :

« من طين مصر نما ومن أنفاسها
والارض لا تنمي الشعور ذميما
كالانبياء يفيض من ايمانه
باللفظ شهدا والبيان شميما
صافي الفؤاد فليس ينبض مرة
الا صفيا للنفوس حميما

الاب ــ ليلى

ليلى : ومن ذا الذي قال هذا الشعر يا أبتي وبمن قاله ؟

الاب : هكذا وصف المرحوم الدكتور أحمد زكي أبو شادي حافظ ابراهيم

ليلى : لابد انه كان بهذا الوصف جديرا

الاب : بلا شك فلقد كان يرحمه الله من الفنانين الذين يحسون احساسا معمقا بما تقع عليه حواسهم وينفعل في نفوسهم .

ليلى : لقد شوقتني والله عنه يا أبتي ... فماذا عنه .. حدثني بالكثير.

الاب : اذا ما تتبعنا حياته منذ البدء فان ولادته كانت بمديرية اسيوط بمصر عام ١٨٧١ وقد نشأ في القاهرة وبعد أن حاز التعليم الابتدائي وطرفا من التعليم الثانوي التحق بالمدرسة الحربية وتخرج ضابطا في الجيش المصري حيث ارسل الى السودان ليمكث بضع سنوات .

ليلى : هكذا بدأ اذاً ؟

الاب : نعم ، لكنه لم يلبث طويلا في السودان فقد شارك في عام ١٨٩٩ في ثورةهناك أغضبت عليه المستعمر فطرده من السودان

ليلى : طرده ها ؟••• وماذا عمل بعد ذلك اذاً ؟

الاب : التحق بعد ذلك بالبوليس في أرياف مصر ، لكن الغضبة عليه ظلت تلاحقه فاحيل على التقاعد

ليلى : وهل ظل متقاعدا بعد ذلك

الاب : لا •• فقد عمل في دار الكتب المصرية ، رئيسا للقسم الادبي ثم وكيلا للدار حتى قبيل وفاته ببضعة أشهر •

ليلى : وماذا عن حياته عبر ذلك كله

الاب : لقد كان والد حافظ من ضباط البوليس ولما مات ترك ابنه غلاما يافعا في كفالة خاله • ولم يكن هذا بالرجل الموسر فضاق به ذرعا وأحس الشاعر بذلك فقال مرة معبرا عن آلامه :

صوت حافظ :

ثقلت عليك مؤنتي   اني أراها واهية
فافرح فاني ذاهب   متوجه في داهية

ليلى : (تضحك)

الاب : (كذلك) ••• ان نفسه الشاعرة عانت الكثير ••• ضيق العيش وعقبات الحياة ثم ما لاقاه في عمله العسكري لذلك خيل اليه انه حليف بؤس وشقاء وانه ضحية للظروف التي حرمته رعاية الاب والمال لكيما يستطيع أن يتفرغ لأدبه وشعره وما خلق له •

ليلى : وهل أثر ذلك في شعره ؟

الاب : كيف لا ••• ان تقلب (حافظ ابراهيم) في ظروف قاسية من العيش جعل انتاجه في تلك الفترة من عمره خصبا غزيرا • لكنه عندما التحق في سن الاربعين بالعمل في دار الكتب أخلد الى الراحة وأثر

العافية كما يقولون .

ليلى : هل انه ترك الشعر بعد ذلك ؟

الاب : لا . لم يتركه تماما . لكن انتاجه قل بشكل ظاهر واقتصر شعره على المناسبات .

ليلى : ألا ترى يا أبتي ان شاعرية ثره كهـــذه من المؤسف أن تركن الى الخمول .

الاب : هذا ما لا شك فيه . والواقع ان الرجل كان متشائما موغـــلا في التشاؤم حتى انه قال يوما :

صوت حافظ :

« لست أطمع أن تطول حياتي ، وودت لو لقيت الموت الآن... واني لأعجب من دلفه الي ببطء كأنما أدركته الشيخوخة على توالي الاجيال فما يستطيع أن يسرع الخطى ليشفي نفسا سئمت العيش وبرمت بالحياة » .

ليلى : هذه غاية التشاؤم .. ترى هل انعكست هذه المشاعر في شعره ؟

الاب : من الطبيعي أن تنعكس ... وهو المتشائم اليائس البرم بالحياة .. وأنت لا تجهلين مبلغ رهافة حس الشاعر . انه يقول مثلا :

صوت حافظ :

أذنت شمس حياتي بمغيب	ودنا المنهـل يا نفس فطيبي
وارقبيـــه كـــل يوم انما	نحن في قبضة علام الغيوب
اذكري الموت لدى النوم ولا	تغفلي ذكرته عنـد الهبوب
حن جنباي الى برد الثرى	حيث أنسى من عدو وحبيب
مضجع لا يشتكي صاحبـــه	شدة الدهر ولا شدالخطوب
لا ، ولا يسئمه ذاك الـــذي	يسئم الاحياء من عيش رتيب

ليلى : مؤسف هذا الايغال في التشاؤم من شاعر فذ مثل حافظ ابراهيم

الاب : لقد كان للاحداث التي عاصرها الاثر الكبير في نفسيته وتكوينهـا

الاب : بلا شك ، انه في حادثة (دنشواي) المشهورة يوم نكل المستعمرون بالأبرياء وقف يخاطبهم مستنكرا ما أصاب أهالي (دنشواي) من رصاص الاجانب الذين خرجوا لصيد الحمام وما آل اليه أمر الاهلين لانهم تصدوا للعدوان يذودون عن أرواحهم وأموالهم .

صوت حافظ :

واذا أعوزتكم ذات طـوق	بين تلك الربى فصيدوا العبادا
انما نحـن والحمام سـواء	لم تغادر أطواقنا الاجيـادا

الاب : ويقول :

صوت حافظ :

أحسنوا القتـل ان ضننتم بعفو	أقصاصـاً أردتم أم كيـادا
أحسنوا القتـل ان ضننتم بعفو	أنفوسـا أصبتم أم جمـادا

ليت شـعري أتلك محكمة التفتيش عادت أم عهـد نيرون عـادا

ليلى : هذا شعر مجالد صلب لا تلين له قناة .

الاب : وهذا ما عرف عن حافظ ابراهيم الذي وسـع فنه الدنيـا العربيـة كلها ولم يقتصر على مصـر وحدها . اسمعيه يقـول بمناسبة مأساة طرابلس :

صوت حافظ :

طمع ألقى عن الغرب اللثـاما	فاستفق يا شرق واحذر أن تناما
واحملي أيتهـا الشمس الى	كل من يسكن في الشرق السلاما
واشهدي يوم التنـادي اننـا	في سبيل الحق قد متنـا كراما
مادت الارض بنـا حين انتشت	من دم القتلى حلالا وحـراما

ليلى : شاعر معطاء

الاب : انه شاعر النيل الخالد الذي ظل شعره صوتا مدويا في الآفاق حتى توفاه الله عام ١٩٣٢ مخلداً مع الخالدين ... ليرحمه الله ...

الختـــام

أحمد شوقي

جلسة الاب وابنته ليلى

ليلى : « تقرأ في كتاب ـ مؤثرات

« ... والله ان شوقي لشاعر وانه لأشعر مني ... وما كفرت بهذه الحقيقة في شبابي وكهولتي ولا أريد أن أكفر بها في شيخوختي وأود أن يعرفها الناس بعد مماتي »

ليلى : أتدري يا أبتي من قال هذا ؟

الاب : (ضاحكا) بدأت تختبرينني يا لعينة ... أنا الذي علمتك قراءةالادب؟

ليلى : (تضحك) معذرة يا أبتي ... وهل تظن ان هذا قصدي ؟

(يضحكان)

الاب : هذا قول حافظ ابراهيم في أحمد شوقي ... ولقد أصاب الرجل الحقيقة فعلا .

ليلى : لقد بدا لي يا أبي من الكتاب الذي أقرأه الآن عنه ان الاجماع يكاد ينعقد له .

الاب : فعلا فانه كان كذلك بلا ريب ... أما قال فيه المرحوم الناقد الكبير ابراهيم عبدالقادر المازني :

صوت المازني :

« لقد كان شوقي عنوانا ورمزا في الشرق العربي كله ، وأكبر ظني ان اسمه سيظل مذكورا في تاريخ عصره مهما بلـــغ من

ليلى : مثل ماذا ؟

الاب : لقد عاصر الاحتلال عندما وطئت قدماه أرض وادي النيل وشاهد الانقلاب العثماني والحرب العظمى والثورة المصرية ... وعانى الكثير من ظروف حياته الخاصة فمن الطبيعي أن يلقى كل ذلك صدى في نفسه .

ليلى : وماذا عن شاعريته يا أبتي ؟

الاب : لعل مما يستلفت النظر في شعر (حافظ) يا ابنتي انه صور فيه ما لمسه بيده وما أحاط به عن قرب . والواقع ان ديوانه صور الناس الذين نخالطهم كل يوم ونعرف أخبارهم ونعايش آمالهم وتطلعاتهم.

ليلى : هذا بديع .

الاب : وما من شك في ان عاطفة الشاعر الجياشة وشعره الرقيق قد يسرا له اجادة كل تلكم الصور والابداع فيها .

ليلى : الشاعر المرهف الحس الصادق العاطفة السليم اللغة يتمكن بلا شك من أن يحلق في سماء الشعر .

الاب : بلا شك ، وعلى ذكر سلامة اللغة فقد كان فيها من المتضلعين .

ليلى : هكذا ؟

الاب : نعم هذا ما عرف عنه ودل عليه شعره حتى لقد قال عنه الشاعر خليل مطران مرة .

صوت مطران :

« لقد كان حافظ ابراهيم يتعب في قرض قريضه تعب النحات الماهر في استخراج تمثال جميل من حجر ، يؤثر الجزالة على الرقة وله فيها آيات » .

ليلى : يؤثر الجزالة على الرقة ؟!

الاب : ان ذلك مرده الوله باللغة والهيام بحبها لكن ذلك لا يعني ان شعر الشاعر لم يكن رقيقا فقد كان له نصيب ظاهر من الاحساس المرهف

ولعل اهتزاز نفس الشاعر من مشاهدة مجالي الطبيعة الفاتنة وانسكاب ذلك في شعره أبرز دليل على ما أقول • اسمعيه يترنم •••

صوت حافظ :

ولو شئت أذهلت النجوم عن السرى
وعطلت أفلاكا بهـن تـدور
وأشعلت جلـد الليل مني بزفرة
غراميـة منهـا الشـرار يطـير

الاب : ألا تحسين بأن النجوم والليل كأنها كائنات حية وكأن لليل جلدا يأذى ويحس كجلد الشاعر نفسه •

ليلى : يبدو ان مجالاته في وصف الطبيعة رحبة وجميلة •

الاب : ليس هذا فحسب • فان له في كل فنون الشعر جولات موفقة وهو في كل ناحية من القول يعبر عن شعور صادق واحساس عميق ولذلك اتسم شعره السياسي بالاخلاص لوطنه والصدق في مواقفه الوطنية بحماسة تفيض قوة ورجولة وايمانا • اسمعيه يخاطب الطامعين ببلاده فيقول :

صوت حافظ :

حولوا النيل واحجبوا الضـوء عنـا
واطمسوا النجـم ، واحـرمونا النسيما
واملأوا البحـر ان أردتـم سـفينا
واملأوا الجـو ان أردتم رجـوما
إننـا لن نحـول عـن عهـد مصـر
أو ترونا في التـرب عظما رميما

ليلى : هذا شعر ينبع من شعور صادق فعلا

صوت حافظ :

« امير القوافي قد اتيت مبايعا

وهذى جموع الشعر قد بايعت معي »

ليلى : هكذا ؟.. هذه مبايعة كريمة من رجل كبير كحافظ ابراهيم الذى سبق أن حدثتني عنه وعن مكانته

الاب : هذا صحيح الا ان شوقي بها جدير فلقد نال اعجاب الجميع حتى قال في شعره (اسماعيل صبري) وهو من كبار الشعراء يومذاك :

صوت اسماعيل صبري :

« مرحبا بالمقال سمحا كريما

لم يشبه هجو ولا ايذاء

ليلى : هذا تقريظ بديع

الاب : كيف لا ، وهو كذلك ـ من فرسان الحلبة

ليلى : وماذا عن جوانب شعره يا أبتاه فلقد شوقتني اليها كثيرا .

الاب : الواقع ان شوقي كان شاعرا فنانا ولم يكن صاحب مذهب فلسفي بل ان ما كان يرد في شعره من معان هي حصيلة لخبرته واطلاعاته وثقافته.

ليلى : ومستوى فنه الشعري ؟

الاب : هذا ما لا شك في أبداعه وسموه وتفوقه فقارىء شعر شوقي يجد فيه تجاوبا فكريا وعاطفيا لما يجول في نفسه وبلغة سهلة جزلة لا تنبو عن الذوق والسمع مستساغة من الخاصة والعامة لكنها صعبة المحاكاة

ليلى : الظاهر ان في الكثير من قصائده ثراء بينا في الموسيقى اللفظية .

الاب : بل لعله ثراء باذخ وليس ادل على ذلك من هذا العدد العديد من قصائده التى اخذت طريقها الى الغناء .

ليلى : ها ، ها ، لقد نبهتني يا ابتي فعلا فأنني احفظ له الكثير في هذا المجال.

الاب : أرأيت ؟ وهو في جميع شعره ينصح ويوجه وتأخذه الغيرة على ابناء

قومه ••• اما صرخ مرة ينادى طالبا الالفة هدافا الى الوئام بقصيدة رائعة قال فيها :

صوت شوقي :

الى م الخلف بينكمو اِلاما وهذي الضجة الكبرى علاما ؟
وفيم يكيد بعضكم لبعض وتبدون العداوة والخصاما ؟

ليلى : انه نداء رجل مخلص

الاب : بلا شك ••• هو في شعره الوطني رائد مخلص وفي شعره الدينى يفيض حماسة لدينه الحنيف وعطفا على ابناء قومه •• وهو يصور اثر الدين في حياة الشرق ، ومكانته العلية في نفسه فيقول :

ـ شوقي :

جاء النبيون بالآيات فانصرمت وجئتنا بجديد غير منصرم
آياته كلما طال المدى جدد يزينهن جلال العتق والقدم
يكاد في لفظة منه مشرفة يوصيك بالحق والتقوى وبالرحم
يا أحمد الخير لي جاه بتسميتي وكيف لا يتسامى بالرسول سمي

ليلى : اعتزاز كريم ••• اقول يا ابتي ؟

الاب : نعم ؟

ليلى : وماذا عن فنه التمثيلى ؟

الاب : كل المحاولات التى سبقته لم يحقق اصحابها ما حققه في هذا المضمار

ليلى : اذا لقد وفق فيها ؟

الاب : هى خير ما كتب في العربية في هذا الفن وان اراد لها بعض النقاد حظا اوفر من اسباب الفن التمثيلى الصرف

ليلى : الفن التمثيلي ؟ ••• لا الشعري اذا ؟

الأب : طبعاً فهو في شعره من المبدعين ••• وفي روائعه (مجنون ليلى) و (كليوباطره) و (قمبيز) وغيرها شعر يأخذ بمجامع القلوب • في

اختلاف الناس في أمره فقد أصاب في حياته شهرة ، عسير جدا
أن يطمسها الزمن بسرعة • وليس من الممكن أن ينال أحد
مثل هذه الشهرة بغير حق أو مزية على الاطلاق •

ليلى : هذا رأي المازني فيه ؟
الاب : نعم ، في مقال كتبه عنه
ليلى : ان المازني كما يبدو كان من الادباء النقاد الذين لا ينال المرء رضاهم بسهولة •
الاب : ذلك لانه ـ هو نفسه ـ كان من الأفذاذ
ليلى : ان له في هذا الكتاب رأيا مشابها في شعر شوقي وان غلبت عليه روح النقد الادبي •
الاب : هكذا ؟••• للمازني نفسه ؟
ليلى : نعم
الاب : ماذا يقول فيه •
ليلى : يقول :

صوت المازني :

« كان شوقي أنضج شعراء طبقته • وكان أدقهم تعبيرا • وما
زال رأيي في شعره كما كان وهو انه كان في صدر حياته
أشعر منه في اخرياتها ، ولكنه في العهد الاخير كان أبلغ عبارة
وأعلى بيانا • وانه كان ذا حيوية عجيبة من ذلك انه اقتنع في
شيخوخته بأن نظم القصائد على الطريقة القديمة التقليدية ليس
يجدي فتحول الى وضع الروايات الشعرية التمثيلية وطمح في
أن يكون في الادب العربي كشكسبير في الادب الانكليزي »

الاب : رأي طريف • وحصيف أيضا •
ليلى : أنت ـ كما يظهر ـ معجب به كثيرا يا أبتي
الاب : ومن لا يعجب ـ يا ليلى ـ بأمير الشعراء
ليلى : اذاً هلا حدثتني بالتفاصيل عنه ؟

الاب : ولماذا ما دمت تقرأين عنه .. ألا يكفيك كتابك ؟
ليلى : بل أريد المزيد ، ومنك بالذات
الاب : (ضاحكا) ومتى رددت طلبا لبنيتي العزيزة
(يضحكان)
الاب : بقدر ما يتعلق الامر بحياته فقد تحدث عنها هو نفسه فقال :
صوت شوقي :
« ولدت في اسرة تنعم برغد العيش بالقاهرة عام ١٨٦٨ . وكان جدي لابي قد اتى مصر مهاجرا يحمل توصية الى واليها (محمد علي) وعمل في معية الوالي ولقد تخرجت في المدرسة الخديوية ودخلت مدرسة الحقوق عام ١٨٨٣ ثم التحقت بقسم الترجمة وتخرجت فيه الى ان ارسلني الخديو توفيق سنة ١٨٨٧ لدراسة الاداب الفرنسية في مونبيلييه وباريس . ولقد زرت خلال هذه الفترة أقاليم فرنسا وانجلترا والجزائر. وفي عام ١٩١٥ نفيت من مصر فاخترت اسبانيا محلا لاقامتي حتى أذن لي ولاة الامور في العودة فعدت اليها في نهاية عام ١٩١٩ . »
ليلى : هكذا اذا ، لقد نفي بالرغم من انه بدأ حياته في كنف حكام البلاد ؟
الاب : نعم ، فلقد غضب عليه الحكام لمواقف منه لم ترضهم ، وعندما عفوا عنه وعاد الى بلاده ما استأنف حياته في قصر الملك ينشد الشعر في الاعياد والمناسبات بل عاد حرا يتحدث في شعره الى العروبة باجمعها وتتجاوب في حنايا نفسه آمال الشرق والامه .
ليلى : هذا بديع من شاعر مثله
الاب : ولقد ظل كذلك ونجمه يعلو ومكانته ترتفع حتى بويع في عام ١٩٢٧ بامارة الشعر في مهرجان اقيم لهذه المناسبة حضرته وفود الدول العربية وانشد فيه (حافظ ابراهيم) رائعته المشهورة :.

ابو القاسم الشابي

ـ يسمع مقطع من قصيدة (ارادة الشعب) ينشد مع الموسيقى

ـ جلسة الاب وابنته ليلى ـ

(عندما يتلاشى الانشاد تدريجيا يدخل الأب/مؤثرات)

الأب : (مداعبا) ... هكذا يا ليلى ؟ ما هذا الانصات كله ... يبدو أنك معجبة أشد العجب . (يضحك) .

ليلى : ان شعرا ـ كهذا ـ يا أبتي ، له في نفسي أطيب الأثر .

الاب : هذا أمر يفرحني ...

ليلى : حقا ؟

الاب : كيف لا ، هلا أسر وانا ارى ابنتي الحبيبة تسمع الشعر وتتذوقه ؟

ليلى : (ضاحكة) شكرا يا أبتى ... الواقع اننى وجدت في هذه القصيدة مفاهيم ناجحة للحياة .

الاب : استنتاج ذكي

ليلى : (تضحك) تداعبنى .. اليس كذلك ؟

الاب : لا والله ... بل اننى اعني ما اقول

ليلى : (تترنم) ـ مرددة

اذا الشعب يوما اراد الحياة فلا بد ان يستجيب القدر

ولا بد لليل ان ينجلي ولا بد للقيد ان ينكسر

الاب اعجبك هذا ؟

ليلى : جـــدا

الاب : ان في شعره من أمثال هذه المعاني المنطلقة الكثير

ليلى : هـذا بديـع

الاب : انه يقول ـ مثلا ـ في احدى قصائده

ـ صوت الشابي : ـ

خلقت طليقـا كطيف النسيم وحرا كنور الضحى في سـماء
تغـرد كالطـير أنى اندفعـت وتشدو بما شاء وحي الالـه
وتمشي كما شئت بـين المروج وتقطف ورد الربى في ربـاه
فما لـك ترضى بـذل القيـود وتحني لمـن كبلوك الجبـاة
وتقنـع بالعيش بـين الكهـوف فأين النشيد وأيـن الأبـاه ؟
الا انهض وسـر في سـبيل الحياة فمـن نـام لم تنتظره الحياة
الى النور ، فالنـور عـذب جميـل ، الى النـور فالنـور ظل الالة

ـ موسيقى مناسبة ـ

ليلى : ذات المعاني وعين المفاهيم التى بها ينادي ... ترى يا ابتي ، لمن كان يوجه الشاعر النداء ؟

الاب : الشابي شاعر تونسي ... وكان يخاطب ابناء بلاده ، تونس الخضراء طبعا الا ان نداءات كهذه لا تقتصر على بلاده وحدها ... فهو عربي تغنى بمجد امته واستنهض همم أبنائها في كل مكان .

ليلى : تونسي هو اذا ؟

الاب : نعم ، ففي تونس ولد وبها نشأ ... كان ابوه قاضيا من الاعـلام ولقد عني بتربيته وتأديبه ، ولقد قال عنه ابو القاسم يوما :

(مجنون ليلى) مثلا يترنم (قيس) وهو يسرى وحده في الفلاة في هدأة الليل وسكونه :

ـ صوت ـ مع موسيقى آلة منفردة :

سجا الليل حتى هاج لي الشعر والهوى
وما البيد الا الليل والشعر والحب

ملأت سماء البيد عشقا وارضها
وحملت وحدى ذلك العشق يا رب

الم على ابيات ليلى بي الهوى
وما غير أشواقي دليل ولا ركب

وباتت خيامي خطوة من خيامها
فلم يشفني منها جوار ولا قرب

اذا طاف قلبي حولها جن شوقه
كذلك يطفي الغلة المنهل العذب

يحن اذا شطت ويصبو اذا دنت
فياويح قلبي كم يحن وكم يصبو

الاب : وتقول (ليلى) لقيسها وقد التقيا في غربة :

صوت نسائي :

احق حبيب القلب انت بجانبي	احلم سرى ام نحن منتبهان
ابعد تراب المهد من أرض عامر	بارض ثقيف نحن مغتربان

الاب : فينبهها (قيس) في رفق وحنان الى ان وطن المحبين هو حيث يجتمعان:

حنانيك ليلى مالخل وخله	من الارض الا حيث يجتمعان
فكل بلاد قربت منك منزلي	وكل مكان انت فيه مكاني

ليلى : هذا بديع ... بديع

الاب : هذا نموذج واحد .. وهناك النماذج الاروع ... ولذلك يقول فيه الشاعر الكبير (أحمد رامي)

صوت رامي :

ذاك شوقي ومن كشوقي اذا غنى فغنى بشعره الحاديان
ملهم بالبيان سحرا وبالحكمة نورا يشع بالايمان
يقبس الخاطر السنى فلا يلبث حتى يصوغ فيه المعاني
ذاك فيض الالهام يوحي الى النفس التغنى بهاتف الوجدان

الاب : وهكذا بقى طيلة حياته علما خفاقا في دنيا الشعر العربي . وعندما توفاه الله في عام ١٩٣٢ دوت صيحة الفجيعة في الآفاق تنعاه بحرقة .

صوت مضخم :

« .... لئن مات شوقي الذى يحده الجسد . فليحى شوقي شعرا طليقا في الارض وروحا طليقة في السماء »

الاب : وردد الشعر صداها باسى ممض ولوعة باكية

ـ صوت اخر :

« ومضى الطائر الذى كان يشدو
في سماء المنى بعذب الاغاني »

موسيقى الختام

الاب : نعم فلقد شرع بجمعه عام ١٩٣٤ لكن المنية عاجلته فصدر بعد موته •
انه ـ في الواقع يسجل للشابي فكره وتجاربه وتجليه في ابيـــات
قصيده ••• وان أنس لا انس قصيدة قرأتها فيه يقول فيها :

الشابي :

ان هـذه الحيـاة قيثارة اللـه   واهـل الحيـاة مثـل اللحـون
نغـم يستبي المشاعر كالسـحر   وصـــوت يخـــل بالتلحـــين

ليلى : نظرة الى الحياة عذبة

الاب : وله ـ كذلك ـ نظرات مغايرة ••• فهو كأي نفس شاعرة حساسة
فرح فغنى وتألم فبكى واستاء فيئس • وهكذا النفوس الشاعرة دائما
وأبدا مرايا صقيلة تعكس مرئيات الحياة •

ليلى : ••• فعلا هكذا هم الشعراء

الاب : ارأيتِ ؟••• انـــه يرثى أباه رثـاء الجـــزع ، فينادى (الموت)
بقلب جريح ويقول :

ـ الشابي :

يا موت ماذا تبتغي مني وقد مزقت صـدري
ان كنت تطلبني فهات الكأس ، أشربها بصبر
او كنت ترقبني فهات السهم ، أرشقه بنحري
خذني اليك فقد تبخر في فضاء الهم عمري

ليلى : هذا منتهى الاسى •

الاب : فعلا ••• ولكنه يقول ، مراجعا نفسه وموقفه ، في قصيدة اخرى :

ـ الشابي:

اسكتي يا جـراح   واسكني يا شجون
مات عهـد النواح   وزمان الجنـــون

واطل الصباح — من وراء القرون
في فؤادي الرحيب — معبد للجمال
شيدته الحياة — بالرؤى والخيال
فتلوت الصلاة — في خشوع الظلال
وحرقت البخور — واضأت الشموع

ليلى (مبتهجة) ... بديع ... بديع ... انه انفتاح جميل للحياة من بعد يأس قاتم

الاب : بل ان له في شعره انطلاقات اخرى اكثر انفتاحا ... اسمعيه يناجي حبيبته بشوق الملهوف فيقول :

ـ الشابي :

عذبة انت كالطفولة كالاحلام كاللحن كالصباح الجديد
كالسماء الضحوك كالليلة القمراء ، كالورد ، كابتسام الوليد
يالها من وداعة وجمال ، وشباب منعم املود
اى شيء تراك ، هل انت (فينوس) تهادى بين الورى من جديد
انت من انت ؟ انت رسم جميل عبقري من فن هذا الوجود
فيك ما فيه من جمال وعمق وغموض مقدس معبود

ليلى : ـ تضحك ـ

الاب : ها . ؟ . ارا ك تضحكين

ليلى : أنها النفوس الشاعرة كما قلت يا ابتى

الاب : تعنين ...

ليلى : (مكملة) اعني هذه المفارقة الكبرى بين ذلك اليأس المرير وهذه الاحلام المجنحة

الاب : رحمه الله ، فقد كان غاية في الرقة والاحساس المرهف ، ولذلك تجدينه وقد أحس بنهايته المحتومة المبكرة بعد ان ثقلت عليه العلة ، يرثي نفسه رثاء من يستشعر الخاتمة ويأسى على فراق الدنيا ... انه يقول :

ـ ابو القاسم :

« انه افهمني معاني الرحمة والحنان ، وعلمني ان الحق خير ما في هذا العالم واقدس ما في هذا الوجود • »

الاب : ولقد تنقل الشابي في رحاب تونس زمنا طويلا واكسبته تجارب الحياة تدفقا في الشاعرية وازدهاراً في الفن وسعة في الافق ورحابة في الفكر •

ليلى : وماذا عن اعماله الادبية يا ابتي ؟

الاب : كانت اولى نشاطاته في الصحف في حوالى عام ١٩٢٦ وفي عام ١٩٢٧ ظهر شعره مجموعا في المجلد الاول من كتاب «الأدب التونسى» تأليف زين العابدين السنوسى • وفي السنة التالية نشر كتابه (الخيال الشعري عند العرب) •

ليلى : نشاطات ثرة منذ البداية

الاب : نعم ، الا ان المؤسف في الامر انه لم يكتب لها الاستمرار

ليلى : لماذا ؟ ••• هل ترك الشعر ؟

الاب لا • بل هو المرض اللعين •• فلقد تضخم قلبه وهو لما يزل في بواكير شبابه •

ليلى : هكذا ؟ ••• هذا مؤسف

الاب : والمؤسف اكثر منه ان مرضه كان قاسيا ••• فلقد قضى عليه في ميعة الشباب

ليلى : ••• موهبة غضة ، كان من الممكن ان ترتاد آفاقا •

الاب : هذه مشيئة الله

ليلى : اقول يا ابتي •••

الاب : نعم •

ليلى : ترى هل أقتصر شعر الشابي على الجانب الوطني ؟

الاب : بالعكس ففي شعره تناول العديد من أغراض القريض ••• اسمعيه

يتحدث عن جبال تونس ومراعيها حديث الفنان حامل الريشة الملونة ... انه يقول :

أقبل الصبح جميلا يملأ الافق بهاء
فتمطى الزهر والطير وامواج المياه
قد افاق العالم الحي وغنى للحياه
فافيقي يا خرافي واهرعي لي يا شياه

* * *

وامرحي ماشئت في الوديان او فوق التلال
واربضي في ظلها الوارف ان خفت الكلال
وامضغي الاعشاب والافكار في صمت الظلال
واسمعي الريح تغني في شماريخ الجبال

* * *

ليلى : هذا شعر رائع

الاب : انه من قصيدة اسماها (من أغاني الرعاة) وختمها بقوله :

لك في الغابات مرعاك ومسعاك الجميل
ولي الانشاد والعزف الى وقت الأصيل
فاذا طالت ظلال الكلأ الغض الضئيل
فهلمي نرجع المسعى الى الحي الجميل

* * *

ليلى : أقول الحق يا ابتي ، ان الشاعر في وصفه لا يقل - ابدا - عما هو في وطنياته مبدع في هذه وتلك

الاب : وهكذا هو في كل شعره ... وقراءة لديوانه (اغاني الحياة) تطلع القارىء على نماذج جميلة من مجالي فنه .

ليلى : (اغانى الحياة) ديوانه الاخير ؟

ها انت ذا قد اطبقت جفنيك احلام المنــون
وتطايرت زمر الملائك حول مضجعك الامين
ومضت بروحك للسماء عرائس النور الحبيب
يحملن تيجانا مذهبة من الزهر الغريــب
وتفرق الناس الذين الى المقابر شـــيعوك
ونسوك من دنياهمو ، حتى كأن لم يعرفوك

الاب : (...) لكن هناك قلبا لم ينسه ولن ينساه ، ذلك هو قلب الوالدة الحنون ، فيذكره بو القاسم ذكر الممتن المعترف بالجميل ،ويصور في أبيات رائعة تلك الامومة الخالدة :

ـ صوت الشابي :

الا فؤاداً ظل يخفق في الوجـود الى لقــاك
ويود لو بذل الحيـاة الى المنيـة وافتــداك
فاذا رأى طفلا بكاك ، وان رأى شبحا دعاك
يصغي لصوتك في الوجود ، ولا يرى الا بهاك
اعرفت هذا القلب في ظلماء هاتيك اللحود
هو قلب امك .. امك السكرى باحزان الوجود

ليلى : ... مسكين

الاب : وعندما اطبق الموت جفونه عام ١٩٣٥ وهو لم يتعد السابعة والعشرين من عمره ردد الصدى بيته المشهور الذى ادرك فيه واقعا طالما آلمه ...

ـ الشابي :

النـاس لا ينصفـون الحـي بينهـم
حتـى اذا مـا توارى عنهـم ندمـوا

الختـــام

جميل صدقي الزهاوي

ـ صوت متهدج ينشد ـ

ليس ليل مثل ليلي   ليس يوم مثل يومي
انما أهملني في ساعة (م) الحاجة قومي

ـ موسيقى ـ

انتقالة ، الى حديث الاب وابنته (ليلى)

ليلى : أسعدت مساء يا أبتي

الاب : ومساؤك اسعد يا بنيتي ... ها ماذا وراء هذه الزيارة المتأخرة (يضحك) ... لقد حسبتك أخلدت الى النوم .

ليلى : لقد انتظرتك طويلا يا أبتي وانت ما زلت منصرفاً الى كتابك في غرفتك . انسيت اننا اليوم على موعد ؟

الاب : اننا اليوم على موعد ؟

ليلى : كيف لا . يبدو انك نسيت فعلا . أما وعدتني بحديث اخر عن الخالدين الليلة ؟

الاب : ها .. ها .. حقا . لقد تذكرت . ولقد جئت يا ليلى في الوقت المناسب فعلا .

ليلى : كيف يا أبتي .

الاب : اننا اليوم يا ابنتي نمر بمناسبة تعيد ذكرى أحد اولئك الاعلام الراحلين .

ليلى : ومن هو يا أبتي •

الاب : انه الشاعر العراقي المرحوم جميل صدقي الزهاوى الذى توفاه الله في الثلث الاخير من شباط عام ١٩٣٦ ـ أي قبل ثلاثين سنة كاملة •

ليلى : ومن هو الزهاوى يا أبتي •

الاب : لا ••• هذا كثير ••• اتجهلين يا ليلى حتى من هو الزهاوى •

ليلى : ـ ضاحكة ـ معذرة يا أبتي ••• انما قصدت تفاصيل وافية عنه •

الاب : في هذه الحالة ذلك لك •

ليلى : شكرا يا أبتي ••• اني منصتة اليك •

الاب : فيما يتعلق بنشأته وحياته ، المعروف انه ولد في بغداد عام ١٨٦٣ وتلقى العلم على يد أبيه (محمد أفندي فيضي) الذى كان يتسنم منصب الافتاء في بغداد وقد اشتهر بالزهاوى نسبة الى (زهاو) من مدن بلاد فارس موطن جدته لابيه •

ولقد أجاد اللغات العربية والكردية والفارسية والتركية واشتغل في بدء حياته العملية بالتدريس ، ولكنه ما لبث أن ضاق به المقام في بلاده فرحل ، الى استانبول وفي ظنه انها افضل من العراق ، لكنه لم يلبث ان تبين الحقيقة المرة عندما وجد ان جو العاصمة العثمانية أشد نكدا من عاصمة بلاده •

ليلى : وماذا عمل اذا •

الاب : لقد ضاق ذرعا كذلك فرحل من الاستانة قاصدا اليمن لكن السلطان العثماني (عبدالحميد) أستدعاه ثانية الى العاصمة العثمانية وحرم عليه مغادرتها •

ليلى : ولماذا يا أبتي •

الاب : لقد كان السلطان يخشى التجاء الشاعر الثائر الى (مصر) حيث ينفسح المجال لقلمه في مصاولة الاستبداد •

ليلى : وهكذا ظل في الاستانة .

الاب : لقد حدث ما لم يكن في حسبان السلطان .

ليلى : كيف يا أبتي .

الاب : لقد خلع السلطان من عرشه ... وبذلك تمكن الشاعر الزهاوي من استعادة حريته في الترحال فعاود الرحيل الى مصر وغيرها من بلاد الشرق الى أن انتهى به المطاف ـ مرة أخرى ـ في بغداد .

ليلى : وما هي سمات شعره وأغراضه يا أبتي .

الاب : في شعر الزهاوي سمات مميزة لعل أهمها اهتمامه بالشرق العربي وما كان يعانيه في ذلك الوقت من محن وارزاء .

الاب : انني اعرف انه تبنى قضية المرأة .. أليس كذلك يا أبتي ؟

الاب : ـ ضاحكا ـ باعتبارك امرأة ؟!

ليلى : ـ تضحك ـ

الاب : فعلا يا ليلى . لقد تبنى المرحوم الزهاوى قضية المرأة فلقد هاله جهلها واهمال حقوقها فنادى بأعلى صوته .

ـ صوت الزهاوى ـ

يرفع الشعب فريقا ... ن أناث وذكور
وهل الطائر الا ... بجناحيه يطير

ولقد أكد دعوته من أجل ان تنال المرأة حقوقها كاملة وعانى من جراء ذلك العناء الكبير .

ليلى : وأظن أنه عانى كذلك بسبب مواقفه الوطنية ودعواته الاصلاحية ، أليس كذلك يا أبتي .

الاب : هذا واقع معروف . وفي شعره أكثر من دليل على هذا كما أن دعواته من أجل أن تنال البلاد حقوقها عالية الصوت في شعره .

ليلى : نعم ، هذا ما سبق لي أن سمعته عنه

الاب : انه يقول مثلا

ـ صوت الزهاوي ـ

ليس الحياة سوى نزاع دائم
يا للضعيف به من الجبار

الفوز للجلد الجريء فؤاده
والويل كل الويل للخوار

الاب : ويقول :

ـ صوت الزهاوي ـ

لا تسكت الحق نار   للقارعات تصوت
يموت للحق خلق   والحق ليس يموت

ليلى : وهل في شعره أغراض أخرى غير انتصاره لقضايا الوطن ودفاعه من أجل حقوق المرأة ؟

الاب : كيف لا . فلقد كان رحمه الله منتجا غزير الانتاج ، ولقد تناول الكثير من أغراض الشعر كما أنه زج الافكار العلمية والآراء الفلسفية في بعض شعره .

ليلى : هكذا ؟!

الاب : نعم ، وهو بالاضافة الى ذلك كله وكأي شاعر مرهف الحس ذواقة للجمال أحب الطبيعة ومباهجها ونظم فيها الكثير من شعره .

ليلى : مثلا يصف طبيعة بلادنا ... يقول :

ـ صوت الزهاوي ـ

انت مما تبدينه من صفاء
يا سماء العراق خير سماء

انظريني فقـــد أحبك قلبي
وأحبتــك مثــله حَـــوْبائي

انظـــريني اذا العنـــادل غنـت
ســـحرا فـــوق منكب الشجراء

أنظريني ليلا اذا الشمس غابت
بعيون النجـــوم في الظلماء

أنظريني اذا الطبيعة أصغت
في الدياجي الى خرير الماء

أنظـــريني اذا الخـــريف تراءى
اسياً مـــن أشجاره الجـــرداء

الاب : ... وهكذا يسترسل في وصفه لمجالي الجمال في طبيعتنا الساحرة .

ليلى : ثمة أشياء آخر يا أبتي

الاب : من أغراض شعره ؟... هناك الكثير يا ليلى

ليلى : ما هذا الذى قصدت يا ابتي

الاب : اذاً ماذا أبنتي

ليلى : لقد سمعت وقرأت ان الشاعر الزهاوي كان في صراع دائم من أجل الابقاء على مكانة الصدارة في الشعر يتسنمها هو وحده .

الاب : هذا صحيح يا ابنتي

ليلى : وكتب بعض النقـاد ما يفهم منه ان شـعره لم يكن بالرائع النـادر وان عليه مآخذ كثيرة .

الاب : دعيني أوضح لكِ الامر .

ليلى : تفضل يا أبتي .

الاب : الواقع ان الزهاوى كان حريصا كل الحرص على مكانته الشعريـة وانه وقف من الرصافي مواقف معروفة يوم بدأت مواهب الرصافي تنضج وأخذ شعره ينتشر .

الا أنه مع ذلك كله انسان طيب القلب مخلص لفنه حريص، على اداء رسالته الشعرية •

ليلى : وفيما يتعلق بفنه الشعري يا أبتي

الاب : الواقع يا ابنتي ان للزهاوي شعرا جيدا وله من القصائد ما يمكن ان يؤاخذه عليها النقاد • ولكن اتدرين لماذا عد جميل صدقي الزهاوي من بين الاعلام في أدبنا الحديث ؟

ليلى : لماذا يا أبي ؟

الاب : لانه يا ابنتي من طليعة الرواد الذين مهدوا لنهضة الشعر وتحرره من الجمود الذى اعتراه ـ يومذاك ـ والموضوعات التقليدية التي غدت محوره ••• ليرحمه الله جزاء ما أدى من خدمة للادب والوطن والحقيقة •

ليلى : ليرحمه الله •

ـ الختام ـ

● مصطفى صادق الرافعي

ـ جلسة الاب وابنته ليلى ـ

الاب : (وكأنه يقرأ في كتاب)

« ان الرافعي ليس من طبقة الموظفين الذين تعنيهم الوزارة بهذه القيود ... ان للرافعي حقا على الامة ان يعيش في أمن ودعة وحرية .. ان فيه قناعة ورضى وما كان هذا مكانه ولا موضعه لو لم يسكن اليه .. دعوه أن يعيش كما يشتهي أن يعيش واتركوه يعمل ويبدع لهذه الامة في ادابها ما شاء ان يبدع والا فأكفلوا له العيش الرضي في غير هذا المكان »

ليلى : من قال هذا يا أبتي ؟

الاب : الذي قاله يا ابنتي الشاعر (حفني ناصيف) الذي كان يومذاك مفتشا بوزارة (الحقانية) بمصر وقد ذهب ليحقق في شكوى عدم احترام الرافعي لمواعيد العمل حيث كان كاتبا صغيرا بمحكمة (طنطا) الاهلية بمصر يومذاك .

ليلى : هذا تثمين لطيف .

الاب : كيف لا والمفتش نفسه كان شاعرا يثمن الموهبة ويقدر اصحابها .

ليلى : اذاً فالرافعي الاديب كان موظفا صغيرا في بدء حياته .

الاب : ولقد بقي كذلك حتى النهاية .

ليلى : هكذا ؟.. وهو احد اعلام النهضة الادبية في اوائل هذا القرن .

الاب : نعم فلقد عاش معظم سني حياته قانعا بركنه الصغير في محكمة طنطا

يتقاضى مرتبا لا يكاد يُقيمُ أوده •

ليلى : مسألة لا تخلو من المفارقة •

الاب : لا استطيع ان اقول لك يا ابنتي ، لا فليس هو وحده من الخالدين الذين لم تنصفهم الايام•• بل أن تاريخهم يذهب الا أن الذين أنصفوا كانوا القلة القليلة •

ليلى : هـــذا مؤسف •

الاب : لا تنسي يا ليلى أحكام الظروف •• فان للزمن الذي عاصروه أثره الكبير في ذلك كله •

ليلى : هذا صحيح •

الاب : بلاشك •

ليلى : اقول يا ابتي •••

الاب : •• نعم •••

ليلى : اردت ان اسألك عنه تفصيلا •• ترى ماذا عن حياته الخاصة ؟

الاب : حياته حياة اي فرد من سواد الناس • ولد عام (١٨٨٠) في مديرية القليوبية بمصر ونشأ في مدينة (طنطا) حيث عاش أبواه وماتا ولم تمهله الاقدار لاتمام دراسته فقد أصيب في مراحل الدراســة الاولى بمرض خطير افقده سمعه •

ليلى : فقد سمعه ؟•• اذاً كيف بلغ المرتبة الكبيرة التي حققها في دنيـــا الادب ؟

الاب : بالدراسة الخاصة والتتبع الشخصي •• لقــد عكف في بيته يدرس ما حوت مكتبة ابيه من تراث العلوم الدينية والفقهية واللغوية • ذلك ان اسرته معروفة باهتمامها في مضامير الفقه والشرع واللغة •

ليلى : يبدو لي يا ابتي ان لمرضه الاثر الكبير في سلوكه الذي عرف عنه •

الاب : تعنين انعزاله عن الناس ؟

ليلى : نعـم •

الاب : بلا شك • كان له الاثر الكبير في هذا السلوك كما كـان له الاثر

الاكبر في انقطاعه الى الدرس والتتبع .

ليلى : لقد كانت له اهتمامات معروفة في المضمار اللغوي كما اعرف .اليس كذلك يا ابتي ؟

الاب : بالضبط . فلقد حمل راية اللغة ووضع أمر خدمتها هـدفا يسعي اليه . حتى انه قال مرة

- الرافعي -

« القبلة التي اتجه اليها في الادب انمـا هي النفس الشرقية في دينهـا وفضائلها فلا أكتب الا ما يبعثها حية ويزيد في حيـاتها وسمو غايتها ويمكن لفضائلها وخصائصها في الحياة ولذا لا أمسُّ من الاداب كلها الا نواحيها العليا ثم اني يخيل الي دائمـــا اني رسول لغوي للدفاع عن القرآن ولغته وبيانه » .

ليلى : هذا تفرغ مخلص لهدف واضح .

الاب : فعلا . ولقد عمل من اجل ذلك طول حياته .

ليلى : الظاهر اذاً ان اهتماماته الشعرية سبقت هذه المرحلة .

الاب : الواقع أنه كان - في البداية - يعد نفسه ليكون أحد فحول الشعراء.

ليلى : هكذا ؟

الاب : نعم ولقد قطع - فعلا - مرحلة طويلة في هذه الطريق حتى صقلت موهبته ونضجت .

ليلى : وهل نشر شعره ؟

الاب : طبعا لقد اخرج للناس ديوانا في ثلاثة أجزاء ثم أتبعه بديوان آخر .

ليلى : هذا بديع ، كنت أحسب انه بالنسبة للشعر من الهواة .

الاب : الواقع انه بعد هذه المرحلة عاد واحل النثر من انتاجه المكان الاول، الا ان الواضح في اسلوبه هو غلبة الشاعرية عليه ، فهو ناثر وشاعر، وكاتب يكتب بأسلوب الشعراء .

ليلى : وشعره يا ابتي . هل عُرف وانتشر على الالسن .

الاب : المعروف انه في تلك الفترة من حياة الرافعي كان الشرق ينفضُ عن نفسه غبار سبات عميق اخذ يفيق منه • وقد دبت في اوصاله روح جديدة واخذ ينبثق في ارجائه وعي جديد •

ليلى : وهل تأثر الرافعي بهذه المرحلة ؟

الاب : تأثر وأثر • ولذلك صار شعره اناشيد الشباب المتطلع لغده المزدهر •

ليلى : هذا امر جميل من شاعر مثله •

الاب : بدون ريب • ولبعد المدى الذي حققه في هذا المضمار لقب بشاعر الاناشيد •

ليلى : او تتذكر يا ابتي شيئا من هذه الاناشيد •

الاب : هي كثيرة يا ليلى ومشهورة أيضا • ولعل أشهر أناشيده الذي صار انذاك نشيدا وطنيا ثم نشيدا لكشافة مصر • ثم نشيدا قوميا • ذلك الذي يقول فيه :

ـ الرافعي ـ

اسلمي يا مصر انني الفدا ذي يدي انمدّت الدنيا يدا

ابدا لن تستكيني ابدا انني ارجو مع اليوم غدا

الاب : وعندما انبثقت ثورة الشعب عام ١٩١٩ عبر الرافعي عن شعوره اتجاهها بنشيد قال فيه :

ـ الرافعي ـ

حُماة الحمى يا حُماة الحمى هلمّوا هلمّوا لمجد الزمن

لقد صرخت في العروق الدما نموت • نموت• ويحيا الوطن

ليلى : اناشيد تفيض حياة ، اذاً هو مبدع في الشعر كما ابدع في النثر •

الاب : ان نثره يا ابنتي نسيج خاص ، فهو جزل العبارة قوي السبك بليغ

اللغـة مشرق الاسلوب مرهف الاحساس مصور بارع .. وانني ان انس َ لا انسى ما جاء في مقدمة كتابه المشهور (المساكين) والتي يقول فيها ...

– الرافعي –

(هذا كتاب حاولت ان اكسو الفقر من صفحاته مُرقعة جديدة ، فقد والله بليت اثواب هذا الفقر وانها لتنسدل على اركـــانه مزقا متهدلة يمشى بعضها في بعض وانه ليلفعها بخيوط من الدمع ويمسكها برقع من الاكباد ويشدها بالقطع المتنافرة من حسرة الى امل وامل الى خيبة وخيبة الى وهم) .

ليلى : هذا اسلوب بليغ فعلا .

الاب : كيف لا يا ابنتي والرافعي من سادة القلم .

ليلى : وهل جند يا أبتي طاقاته كلها لخدمة أهدافه تلك التي حدثتني عنها ؟ ام تناول اغراضا غيرها .

الاب : تعنين مجالات ادبه الاخرى ؟

ليلى : نعـــم .

الاب : الواقـــع يا ابنتي ان فن الرافعي تجـلى في أروع صوره عندمـــا كتب عن حبه .

ليلى : لقد احب اذاً ؟

الاب : احب حبا عذريا نادر الوجود في هذا العصر .

ليلى : ومن هي التي احب يا ابتي ؟

الاب : كانت أديبة فيلسوفة شاعرة ، ولقد نصبت في طريق هـــذا الحب عقبات كبار . لقد عرفها (صالونها) الادبي الذي كان يقصده أدبـاء وشعراء القاهرة ثم اتصلت بينهما الاسباب وما اكثر ما انقطعت وعنـد الانقطاع كان يلجأ الى القلم ليبثها نجواه في آيات من الادب الرفيع . اسمعيه يقول لها في رسالة ...

« لقد وضعك حسنك في طريقي موضع البـدر يرى ويحب ولا تناله يد ، ولا تعلق بنوره ظلمة نفس ، لكن كبرياءك نصبتك نصبة الجبل الشامخ كأنه مـا خلق ذلـك الخلق المنتثر الوعر الا لتدقّ به قلوب المصعدين فيه ، كوني من شئت أو ما شئت خلقا مما يكبر في صدرك أو مما يكبر في صدري ، كوني ثلاثا من النساء كما قلت أو ثلاثة من الملائكة ولكن لا تكوني ثلاثة آلام ، انفخي نفخ العطر الذي يلمس الروح واظهري مظهر الضوء الذي يلمس بالعين ولـكن دعيني في جوك وفي نورك ، واصعدي الى سمائك العاليـة ولكن البسيني قبل ذلك جناحين ، كوني مـا أرادت نفسك ولكن اشعري نفسك هذه اني انسان ، »

ليلى : رائع فيما صور •• لم تقل لي يا ابتي من هي التي فتنته ؟

الاب : انها يا ابنتي (مي زيادة) وهي ممن ساهم كثيرا في ازدهار رحاب الادب العربي الجديد يومذاك ،

ليلى : ولماذا لم يتزوجها مادام قد فتن بها الى هذا الحد ؟

الاب : قلت لك انه اعترضته عقبات جسام ، ومع ذلك فقد كاد الزواج ان يتم بينهما ولكن أهلها ادعوا مرضـها ونقلوها الى مصحة خـارج البــلاد ،

ليلى :شيء مؤلم ••

الاب : وهو كذلك ، لقد ظل الرافعي مخلصا لعهده راضيا بحبه العذري الى ان مات ،

ليلى : وهل مات مبكرا يا ابتي ؟

الاب : انتقل الى جوار ربه عـــام ١٩٣٧ وهـذا يعني انه كان في حدود السابعة والخمسين ،

ليلى : عمر قصير ،

الاب : ولكنه حافل فقد خلف ثروة أدبية وشعرية ضخمة بالاضافة الى بحوثه وأسفاره .

ليلى : مثل ماذا ؟

الاب : مثل تاريخ آداب العرب واعجاز القرآن واوراق الورد والسحاب الاحمر وغيرها كثير .

ليلى : هذا انتاج غزير ..

الاب : ذلك لان منتجه يا ابنتي كان غزيرا ... رحمه الله .

— الختـــام —

فهمي المدرس

جلسة الاب وابنته ليلى

يسمع صوت فتح وغلق باب :

(تتقدم خطواته داخلا) ••• ما شاء الله ••• ما شاء الله ••• ما هذا الاستغراق والانصراف (يضحك) يبدو ان هواية القراءة والتتبع بدأت تسيطر عليك وتستنفد فراغك •

ليلى : (تضحك) هكذا علمتني يا ابتي ••• أليس كذلك •

الاب : وهذا ما يثلج صدري ويبعث السرور في قلبي ••• لمن تقرأين اليوم ؟

ليلى : من تظن ؟••• لا أظنك ستحدس لمن اقرأ • فهو كاتب عراقي ما سمعت باسمه قبل اليوم الا عرضا •

الاب : كاتب عراقي ؟!

الاب : في أية فترة عاش ، وأي الميادين تناول قلمه ؟

ليلى : هذا هو بالضبط ما كنت أريد ان اسألك عنه لكي أعرف ما اجهله عن الكاتب الجزل فهمي المدرس •

الاب : فهمي المدرس !!••• ليرحمه الله ، فلقد كان احد اعلام عصره المبرزين •

ليلى : خلاصة الموضوع يا أبتي أن هذا الكتاب وعنوانه (مقالات) وقع بيدي صدفة عن طريق زميلة لي في المدرسة ••• ولقد أعجبتني المقالات من النظرة الاولى فاسترسلت في قراءتها •

الاب : ذلك حق فاسلوبه اخاذ ممتع

ليلى : نعم ••• وهذا ما دفعني الى التساؤل عن كاتبها الكبير ••• استمع اليه يا أبتي كيف يعرض فكرته في مقالة له بعنوان (الانتداب والاخلاق)!

ـ فهمي المدرس ـ

« ••• الاخلاق هي التي تقلب الشعوب ذات اليمين وذات الشمال وهي التي تهيمن وتسيطر ، وترفع وتخفض ، تفقر وتغني ، تعز وتذل ، وتبدى وتعيد • وهي التي تدبر أساليب الوئام ، والوفاق وتثبت أواصر الحب والأخاء حتى بين الخصوم والاعداء ، وتبعث بين الملايين من البشر نفسا عظيمة تسطر آيات الشرف الباذخ والحب الرفيع على نواحي الانسال والاجيال ، وهذه هي الحكمة البالغة ، في قوله « تخلقوا بأخلاق الله » •

الاب : بديع ••• بديع فعلا ••• وليس بمستغرب هذا على المدرس ، فهو سيد من سادات القلم •

ليلى : هكذا يبدو

الاب : بدون ادنى شك

ليلى : وما شككت أنا قط ، انما أردت أن اتمم لك سماع هذه الفقرة الجزلة الاسلوب الدقيقة المعنى من نتاج الرجل •

الاب : •••• تفضلي •••• تفضلي

ليلى : انه ـ يا أبتي ـ يتم فكرته بقوله :

ـ فهمي المدرس ـ

« ••• وما من آمة اجترمت الجرائم ، واتسمت بالمعايب ، والتصق بها العار ، وذاقت وبال الذل والخنوع الا وفساد الاخلاق قائدها ، وهو الباعث لتفسخها وانحلالها ولذلك بنيت الاديان على مبدأين عظيمين : معرفة الخالق وتهذيب الاخلاق ومشت مع الانسان في تطوراته حتى بلغ أقصى مراتب الكمال في أمري المعاشي والمعاد وذلك هو سر البعثة

النبوية المنوه عنه في قوله (انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) •

ليلى : أسمعت يا أبتي ؟

الاب : نعم يا ليلى ••• وهذه الجزالة والفكرة الواضحة والاسلوب المميز ليست غريبة على قلم فهمي المدرس •

ليلى : أقول يا أبتي •••

الاب : نعم ؟

ليلى : •• أردت أن أسأل ، كما أخبرتك ، عن جوانب حياة الكاتب الخاصة ومجالات نشاطاته •

الاب : « لعل أصدق ما يوصف به (فهمي المدرس) هو انه كان يعكس في شخصه المثال الصادق للمثقف العراقي في مطلع هذا القرن وأواخر القرن السابق عندما كانت الثقافة العراقية في ذلك مزيجا مختلطا من ثقافات مختلفة •

ليلى : وماذا عن حياته يا أبتي ؟

الاب : كان والده عبدالرحمن المدرس (أحد كبار القضاة) وعلى يده درس مقدمات العلوم ثم أكملها في المدارس العلمية على أكبر علماء العصر يومذاك •

ليلى : كانت دراسته اذاً دينية

الاب : في البدء كانت كذلك ، ثم أخذ الفنون عن الاختصاصيين وأتقن غير لغته العربية اللغتين التركية والفارسية وبرع في آدابهما كما تعلم اللغة الفرنسية •

ليلى : مقدرة مرموقة بدون شك

الاب : بدون شك ، ولذلك أختير للمناصب البارزة وهو لم يزل في الحادية والعشرين من عمره فعين مديرا لمطبعة الولاية في بغداد ومحررا لجريدة الزوراء ثم عهدت اليه مهام تدريس اللغات في المدارس المتقدمة

وانتخب عضوا في مجلس معارف بغداد ، وهكذا راح يتحمل اعباء المسؤوليات وهو في سنه المبكرة .

ليلى : هذا كان في العهد العثماني طبعا

الاب : طبعا ، وهو بعد اعلان الدستور العثماني تقلب في كراسي الاستاذيه في الكليات المختلفة مثل كلية الآداب والألسنة والالهيات وقد عرفته جامعة الاستانة استاذا لتاريخ الآداب العربية مدة طويلة .

ليلى : نشاطات علمية بارزة

الاب : نعم ، فلقد كان الرجل في عداد علماء عصره البارزين وقد ساهم مساهمات بارزة في خدمة المعارف في العهد العثماني .

ليلى : وبعد هذا العهد يا أبتي ؟

الاب : على أثر تأسيس الحكومة العراقية في (٢١ اب ١٩٢١) عاد الى العراق وتسنم منصب رئاسة الأمناء في البلاط .

ليلى : في البلاط ؟!

الاب : نعم ، لكن المعروف عنه انه انتقل بشجاعة من بلاط الملك الى صفوف المعارضة الوطنية ، وجرّد قلمه البليغ ليحارب سياسة الانتداب البريطاني بمقالات سياسية ، عرضته الى صور شتى من الارهاب وألوان مختلفة من الاضطهاد .

ليلى : هذا موقف سليم

الاب : كيف لا . فللرجل مواقفه الوطنية الواضحة ... انه مثلا ـ يعارض معاهدة ١٩٣٠ فيوجه كلمة الى اعضاء البرلمان الذى اجتمع ـ يومذاك ـ للبت في المعاهدة يقول لهم فيها :

ـ فهمي المدرس ـ ـ

« ... لقد كثرت الأقاويل في انتخابكم واجتماعكم . وحقيق بالامة وهي في يوم محنتها ان ترتعد فرائصها لمصيرها المعلق على كلمة هى الآن بين شفتيكم فاما فناء ولا معاد وأما بقاء وخلود . فأجرحوا الاقوال بالاعمال ولا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور .

ان المعاهدة التي ستعرض بين عشية وضحاها ليست كالصكوك البسيطة وانما هي قيود رق وعبودية وسلاسل يئن تحتها الشعب العراقي الى ابد الآبدين ... فضعوا ايديكم على ضمائركم واجعلوا التاريخ نصب أعينكم واعملوا على خيركم وخير أبنائكم وأحفادكم « ومن عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها » .

ليلى : جرأة جريئة

الاب : وهذه هي سمته في كتاباته .

ليلى : الاحظ يا أبتي ان الكاتب موفق كل التوفيق في ايراد الاستشهادات من آيات القرآن الكريم ومن الحديث الشريف ومأثور القول .

الاب : وهذه أيضا من صفات أسلوبه المميزة التي عرف بها قلمه ... انه يقول في مقال له وجهه الى (ابناء الرافدين) بعنوان (الدعاية والدهاء):

ـ فهمي المدرس ـ

..... من دهاء المستعمرين ومن براعتهم في أساليب الدعاية ان يسخروا لترويج سياستهم أقطابا من بني جلدتكم (شم الانوف من الطراز الاول) !

ليلى : (تضحك) ... بديع . بديع ، سخرية هادفة واستشهاد موفق .

الاب : أرأيت كيف أتى بالاستشهاد ؟

ليلى : برشاقة البليغ المتمكن يا أبتي ...

الاب : أنها سرعة خاطره وحضور بديهته الى جانب سعة اطلاعه وقوة ذاكرته ... وبالمناسبة ... فقد روى عن سرعة بديهته ان المرحوم جميل صدقي الزهاوي خرج من مكتبه في البلاط عندما كان كبير الأمناء غاضبا لأمر ما وهو يردد :

ـ صوت ـ

« أنا لو كنت بليدا فاز في الاسهم سهمي
أنما أخرني عن الأقران فهمي »

الاب : فلما بلغ سمع المدرس ، غير بعض ألفاظ قول الزهاوي تغييرا يقلب معناه ، فقال :

ـ فهمي المدرس ـ

أنا لو كنت بليدا طاش في الاسهم سهمي

انمـــا قدمني عـــن الأقـــران فهمي

ليلى : (تضحك) هذا لطيف

الاب : أرأيت ؟

ليلى : وماذا عنه بعد يا أبتي ؟

الاب : تاريخ الرجل يا ليلى تاريخ حافل ... فهو بعد ان ترك رئاسة الأمناء عمل في جامعة آل البيت ولكن ما لبثت الجامعة أن ألغيت بحجة ضيق الميزانية ...

ليلى : ضيق الميزانية ؟!

الاب : نعم ، هكذا قالوا يومها ... ولقد أتحف الرجل الفكر العربي بالعدد الكبير من مقالاته التي جمعت فيما بعد بمجلدين كبيرين وهي المقالات التي كتبها بتوقيعه الصريح او بتواقيعه المستعارة مثل (أبو الحارث) و (الكاتب العراقي الكبير) .

ليلى : وهل ترك من نتاجه غير مجموعة المقالات ؟

الاب : نعم ، فقد ألف بالتركية كتاب (حكمة التشريع الاسلامي ، وكتاب تاريخ الاداب العربية) وهذا الاخير طبع في الاستانة وهو يربو على الالف صفحة .

ليلى : جهد كبير

الاب : وهذا ما يناسب مكانة باذله الكبيرة ... رحمه الله ... فلقد ثقلت عليه المتاعب وساءت صحته بعد ما لاقى من الخصومات أعنفها فانزوى في بيته مدة طويلة ولم يسمع له صوت الا في مناسبات قليلة .

ليلى : ومتى توفي يا أبتي ؟

الاب : لقد لقي وجه ربه في آب عام ١٩٤٤ بعد ان بلغ الثانية والسبعين

من العمر وصوته الجهور يتردد في اسماع العراقيين الذين وجه اليهم النداء بمناسبة قيام حركة مايس ١٩٤١ بعد صمت طويل •

ـ فهمي المدرس ـ

« أيها الشباب المتحفز الى المجد الباذخ ويا أشبال الغزاة الفاتحين ويا أباة الضيم ••• العدو يجوس خلال الديار ويطأ بأقدامه القذرة تربة آبائكم الطاهرة ••• وان أرواح أجدادكم العظام تحف بكم حاملة صحائف تاريخكم المجيد ترتل آيات ذلك الماضي المحفوف بالسؤدد والشرف الرفيع وان أجنحة الملائكة المقربين ترفرف فوق رؤوسكم صارخة (وبشر المؤمنين يا محمد) ••• فذبوا عن أوطانكم ، وأعراضكم ، ومقدساتكم •• »

ليلى : رحمه الله •••

ـ موسيقى الختام ـ

ابراهيم صالح شكر

- جلسة الاب وابنته ليلى -

ليلى : معذرة يا ابتي (وهي داخلة) ... اسعدت مساء ... جئت اريد ان أطلعك على هذه الفقرة .. اخشى ان اكون قد قطعت عليك سلسلة افكارك في خلوتك الهادئة هذه .

الاب : (ضاحكا) اهلا بك يا ليلى ، بالعكس ، فأنا ايضا كنت اطالع كما تطالعين ، ما الذي جلب انتباهك ؟

ليلى : انه يا أبتي وصف قيل في كاتب عراقي ، أنا في الحقيقة، لا أعرف عنه الشيء الكثير .

الاب : كاتب عراقي ؟

ليلى : نعم ، الكاتب المرحوم ابراهيم صالح شكر ..

الاب : رحمه الله ، فلقد كان حقا من اعلام الادب العراقي ، ومن هو واصفه يا ليلى ؟

ليلى : الكاتب اللبناني والشاعر المعروف امين نخلة .

الاب : ها ، ها ... وماذا قال فيه ؟ فأنه من اصدقائه المقربين ...

ليلى : قال ...

- صوت - :

« ... تلقى ابراهيم يومئذ فترى رجلا ربعة الى الطول ، قد هدف الاربعين ، يجتمع عليك منه ضخامة تقطيع وشدة اوصال وعظمة

تجاليد ! ثم يسكن اول ذلك فما تشعر الا بعينين سوداوين واسعتين قد تقاسمتا لطف الشعاع فوقهما حاجبان دقيقان بينهما خلل ظاهر وبجبهة رحبة وناصية سوداء مجتمعة في كثافة وجعودة وبأنف وسط وفم ولحية من قصر الشعر وقلته تدور هناك كالظل الرقيق ...

الاب : بديع بديع

ليلى : استمع يا ابتي الى بقية المقطع الجميل ... يقول الكاتب ...

ـ الصوت :

« ... فأنظر ، هذا هو كاتب العراق ، غريد الحرية ، ومغني دقائق الفصاحة في ظل النخيل على دجلة ... قطرة من قلمه ترجع بلجيج الحبر وصيحة من صيحاته هي اشد هولاً على جنباتها من جلجلة الرعـد ...

هذا الذي اقام جيلاً واقعد جيلاً وتقاسم هو والغيث من ملك (هارون) فخر الربيع الجديد !... هذا هو ابراهيم صالح شكر ..

ليلى : الاحظت يا ابتي ؟

الاب : انه في الواقع تقدير في محله

ليلى : اردت ان اقول ...

الاب : نعم

ليلى : انني في الواقع ـ وكما اخبرتك ـ لا اعرف عن الرجل الشيء الكثير فقد سمعت بأسمه وبعض ما ذكر عنه ، ولذلك كم أود لو حدثتني عنه يا ابتي بما يعرفني به وبجوانب ادبه وفنه .

الاب : ابراهيم صالح شكر يا ليلى كاتب مبرز نستطيع ان نعده من المعاصرين

ليلى : من المعاصرين ؟

الاب : نعم ، فقد توفي عام ١٩٤٤ وبذلك يكون العدد الكبير من كتاب العراق وشعرائه ممن عاشوا في الثلاثينات والاربعينات من معاصريه .

ليلى : ها ، ها ...

الآب : اما عن نشأته فالمعروف انه نشأ في باب الشيخ من بغـــداد نشأة صالحة عامرة بالايمان وتتلمذ على الحلقات التي ينتظم عقـدها في المساجـد ...

ليلى : كان في البدء اذاً طالبا من طلاب علوم الدين ..

الاب : نعم ، وقد قرن تعليمه ذاك بالاطلاع على تيارات الادب الحـديث – يومذاك – وانكب يدرس ما تنتجه مطابع الشام وبيروت والقاهرة .

ليلى : وبعدها اتجه الى الكتابة ولمع اسمه ؟!

الاب : الواقع انه بعد ان اعلن الدستور العثمـــاني واقبل العراقيون على اصدار الصحف والمجلات كان ابراهيم صالح شكر احـــد الذين جندوا اقلامهم لهذه الخدمة

ليلى : اصدر جريدة ؟!

الاب : في البداية ســاهم في الكتابــة بجريدتين هما (النوادر) و (ما بين النهرين) ...

ليلى : ماذا كتب ، أعني ما هو لون مساهماته الصحفية ؟

الاب : كان في هـــذا الوقت يكتب في الادب ... ولقـد أمـد الجريدتين المذكورتين بشذرات ادبية ..

ليلى : وهل استمر على هذه الحالة ؟

الاب : لا طبعـا ..

ليلى : اذاً ماذا فعل يا ابتي

الاب : لقد استقل في جريدة اسمها (شمس المعارف) وقال انها تختلف عن صحف العراق بما فيها من ذوق أدبي مميز .

ليلى : وهل كانت كذلك فعلا ؟

الاب : انها في الواقع لم تعش طويلا ، فما اصدر منها غير بضعة اعداد ، الامر الذي لا يمكن معه الحكم عليها .

ليلى : ها ... ها ...

الاب : ثم شارك في اصدار مجلة شهرية بأسم الرياحين صدرت عام ١٩١٤ وما لبثت اوضار الحرب الكبرى الاولى ان طوحت بها ... وبعد ان انجابت الحرب حنّ ابراهيم صالح شكر مجددا الى الصحافة فأصدر مجلة شهرية باسم (الناشئة) ...

ليلى : ادبية ؟

الاب : نعم وقد حفلت بجانب البحوث الأدبية بالنقد الاجتماعي

ليلى : وهل عمرت طويلا ؟

الاب : عاشت أشهرا بين عامي ١٩٢١ و ١٩٢٢ ، ثم استأنف عمله بجريدة اسبوعية سماها (الناشئة الجديدة)

ليلى : لابد أنها تمثل مرحلة تطورية حسبما يدل عليها اسمها ... (الناشئة الجديدة)

الاب : فعلا ، فلقد كانت حدثا بارزا في الصحافة العراقية وقد تفنن في أبوابها ومقالاتها وشذراتها وشارك معه عدد من الكتاب الشباب يومذاك .

ليلى : اذاً لابد أنه كان للناشئة الجديدة دورها البارز

الاب : وقد كان لصاحبها الدور الأبرز ، حتى لقد شبه أحد الادباء دور ابراهيم صالح شكر في الناشئة الجديدة بدور العقاد والمازني في الديوان .

ليلى : الديوان ؟!

الاب : نعم ، هذا هو عنوان كتاب أصدره الاستاذان عباس محمود العقاد وابراهيم عبدالقادر المازني ـ رحمهما الله ـ وقد نقدا فيه شوقيا وحافظا وعبدالرحمن شكري في مطلع حياتهما الادبية ، وقد أثار الكتاب في وقته ضجة كبيرة

ليلى : هذا يعني أن المرحوم ابراهيم صالح شكر كان له اسلوبه المميز

الاب : وكانت له اضافة الى هذا شخصيته المميزة أيضا

ليلى : هكذا ؟

الاب : نعم ، وهذا مما يستطيع المتتبع أن يلمسه في كل نشاطاته وأعماله ، ولعل في بعض ما نشرته (الناشئة الجديدة) أدلة واضحة على ما أقول •

ليلى : كيف يا أبتي ؟

الاب : الواقع أن هذه الجريدة (الناشئة الجديدة) استطاعت أن تخلق ذوقا أدبيا بما استحدثته من صور أدبية وأن تبدد الجمود السائد في الاوساط الادبية يومذاك •

ليلى : مهمة كبيرة كما يبدو

الاب : كيف لا ، فقد شن حملاته على بعض كبار رجال القلم في ذلك الحين الأمر الذي أحدث مجالا واسعا للمناقشة والردود

ليلى : مثل من من رجال القلم الذين هاجمهم

الاب : مثل الكرملي والعبيدي والزهاوي والرصافي

ليلى : الزهاوي والرصافي ؟!

الاب : نعم ، فلقد شن هجوما قاسيا على الرصافي كما انه لاحق الزهاوي بوخزاته ومداعباته التي كان ينشرها تباعا في جريدته (يضحك) •••

ليلى : تضحك يا أبتي

الاب : ذكرني الحديث بواحدة من هذه المفارقات طريفة للغاية

ليلى : ما هي يا أبتي

الاب : لقد اتفق أن ضمت احدى الوزارات ـ يومذاك ـ شاعرين هما (أحمد الفخري) و (محمد أبو المحاسن) فما كان منه الا أن علق على استيزار الشاعرين بتقديم العزاء الى الزهاوي

ليلى : (تضحك)

الاب : رحمه الله فلقد كان صريحا وجريئا الى أبعد مدى •

ليلى : هكذا يا أبتي ؟

الاب : نعم •• أذكر له من مواقفه استقالته من وظيفته الادارية ـ عندما عمل حينا في الادارة ـ وقد غمزته احدى الصحف بسبب قيامه بعمل من

أعماله الرسمية ، لقد كان فيها صريحا وواثقا من نفسه الى درجة كبيرة .

ليلى : ها .. ها ...

الاب : بل انه عندما أصدر جريدته السياسية (الزمان) قال في مقدمتها التي عنونها (مني والي) ...

ـ ابراهيم صالح شكر :

« انني من (حملة المعاول) وسوف أجعل من هذه الجريدة معولا أهدم به واحطم ، لا لأن الهدم والتحطيم مما تحتاجه البلاد أو الامة وانما لاني ولوع بالهدم شغف بالتحطيم »

ليلى : هكذا ؟!

الاب : هكذا كان ، وهو يقول عن نفسه في هذه الافتتاحية ذاتها ...

ـ ابراهيم صالح شكر :

« لست الا رجلا صريحا أخاطب الناس بما تجيش به نفسي ، فأحمل بوق الحق لاطرب روحي بسماعه وان اصطكت منه الاسماع وذعرت منه النفوس »

الاب : ثم يختم كلامه بقوله ...

ـ ابراهيم صالح شكر :

« واذاً فاني معذور اذا لم أنشر في هذه الجريدة ما اعتاد الناس مطالعته في الصحف (المرتزقة) واذن فهذه الجريدة (مني والي) .

ليلى : رجل صريح ـ يا أبتي ـ كما قلت

الاب : وجريء أيضا ... ولذلك لقي ـ رحمه الله عنتا كثيرا وواجه مصاعب جمة

ليلى : هذا أمر مؤسف

الأب : انه اضافة الى ما لاقاه من تعطيل صحفه كاد مرة في حزيران عام ١٩٢٣ أن يقتل بالرصاص ... كما هجاه بعض الشعراء وهاجمه بعض الشقاة بتحريض من خصومه ، ولذلك ، وبعد أن ضاقت بوجهه الدنيا غادر العراق ليتنقل بين بعض العواصم العربية . ولقد اشتدت به العلة في دمشق وسقط مريضا

ليلى : مسكين ...

الأب : ويذكر أنه ارسل في هذا الوقت الى بعض الطلاب العراقيين الذين يدرسون بدمشق يقول لهم ....

ـ ابراهيم صالح شكر :

« بصوت معبر »

«أحملوا الي حفنة من تراب العراق أشرب عليها كأس حمامي»

ليلى : (بأسف شديد) وهكذا انتهى ؟!

الأب : لا بل قد عاد الى العراق ... وعاش فترة مليئة بالاحداث الكبيرة بالنسبة لحسه المرهف ومشاعره الرقيقة ... رحمه الله ، لكأنه شعر بدنو أجله فكتب الى صديقه (أمين نخلة) ـ الاديب الذي أعجبك وصفه له ـ رسالة ينعى بها نفسه ويطلب اليه أن يستعد لرثائه ، فيقول ...

ـ ابراهيم صالح شكر :

« ... وصل كتابك الاخير ، والشمعة تذوب والذبالة ترتجف ، وما أدري ! أهذه الكلمات هي آخر ما أمليه على ولدي (رياض) أم اني قادر على أن أستقبل مشرق الشمس ومشهد الغروب في مستقبلي المكتظ بالمحن والاكدار ... وما أدري أتهز الفاجعة أخي الحبيب أمين نخلة فينشد مرثية الفجر في مأتم الشفق » .

ليلى : (تتنهد) تنبؤ محزن

الاب : فعلا ... ولقد ساءت صحته بعد ذلك وتردت حتى مايس عام ١٩٤٤
حيث أسلم روحه الى بارئها بعد أن أضناه المرض وهو يردد على
فراش الموت :

« سأموت في هذا المكان ، لا شهيدا ولا بطلا »

موسيقى الختام

معروف الرصافي

صوت ينشد :

يا موطنا لست منـــه في موادعة	عش بعد موتي عيش الوادع الهاني
فكل من فيـــك تغنيني سعادتهم	وكل أبنـــائك الاعداء اخـــواني
ان ســرك الدهر يوما سرني واذا	آذاك بالمزعجات الـــدهر آذاني

ـ انتقالة الى جلسة الاب وابنته ليلى وكأنهما كانا يتمان حديثا ـ

ليلى : وهل سمي بالرصافي نسبة الى الرصافة في بغداد

الاب : نعم يا ابنتي فهو معروف بن عبدالغني وقيل ان الذي أطلق عليـه هذا اللقب هو استاذه المرحوم محمود شكري الالوسى الذي أحبه وتوسم فيه الذكاء وقدر ان معروفا سيخلد اسم الرصافة كما خلـد معروف الكرخي اسم الكرخ •

ليلى : وهل كانت والدته في بغداد يا أبتي ؟

الاب : نعم يا ليلى وكان ذلك في حوالي عام ١٨٧٥ للميلاد لاسرة متوسطة الحال وكان أبوه من من عشيرة كردية تقطن كركوك تسمى الجباره وتنسب الى العلويين أما امه فمن عشيرة القرهغول وهي بطن من شمر القاطنين في سهول العراق •

ليلى : وماذا بعد عن عائلته يا أبتي ؟

الاب : ان الرصافي يا ابنتي قليل الكلام في هذا الشأن وهو لا يذكره الا عرضا وباقتضاب • هذا ما أجمع عليه مؤرخوه • انه قال عن أبيه

مرة (كان والدي متديناً يصلي كثيرا ويقرأ القرآن كثيرا • حديد المزاج اذا غضب أخاف واذا ضرب أوجع) •

الاب : وأجاب يرد على تساؤل المتسائلين عن نسبه :

قالوا ابن من أنت يا هـــذا ؟؟ فقلت لهم
أبي امرؤ جـــده الأعـــلى أبو البشـــر

قالوا فهـــل نال مجـــدا ؟ قلت وا عجبي
أتسألوني بمجـــد ليس من ثمـــري

ليلى : هذا جواب ذكي •

الاب : كيف لا انه يقول في نفسه ، وعندي انه صدق فيما قال وما غالى ولا بالغ • يقول على لسان متحدث يكلمه :

عهدتك شاعر العرب المجيدا — فما لك لا تطارحنا النشيدا ؟
فنحن اليك بالاسماع نصغي — فهل لك أن تفيـد فتستفيدا
بشـعر لا تزال تنوط منـــه — بجيد بدائع الدنيا عقـــودا
اذا أنشـــدته الحسناء تاهت — كأن قلـــدتها درا فريـــدا
وأنت اذا قرعت به عبيـــدا — رددت الى الحرار به العبيدا
ولو تستنهض الجبنـــاء يوما — به لتقحموا الدنيـــا اسودا
ولو كررته للقـــوم ألفـــا — لاقسم سامعوه بأن تعيـــدا

ليلى : هذا شعر بديع

الاب : وهو مفخرته ، انه لا يدعي نسبا ولا ينتحل صلة • فمجده في شعره وفي أفكاره وألمعيته •

ليلى : وهل التحق الرصافي بالمدارس الرسمية أم انه تلقى العلم عن طريق الانتساب الى المساجد ودرسه على يد الشيوخ ؟

الاب : الواقـــع انه تلقى علومه بالطريقتين كلتيهما المـــدارس الرسمية والدراسات الدينيـــة والفقهية في المساجد الا انه لم يتـــم دراسته الرسمية • لكن دراساته الخاصة على أيادي أساتذة أفذاذ هي التي

مكنته من أن يلج رحاب المعرفة من أوسع أبوابها .

ليلى : ومن من أساتذته يا أبتي ؟

الاب : منهم محمود شكري الالوسي والشيخ عباس القصاب والشيخ قاسم القيسى . ومن وفاء الرصافي لشيخه القيسى قصيدة معروفة مطلعها :

اذا قاسم القيسى مر بخاطري
تذكرت عهدا للصبا مر كالحلم

الاب : ويقول فيها :

هو العالم الحبر الذي من يلذ به
يكن فائزا بالعلم والادب الجم

بما شاء في التوضيح من واقد الذكا
وما شاء في التقرير من صادق الحكم

بقية أعلام مضوا وكفى به
من العلم طودا فوق أطواده الشم

الاب : ما بك يا ليلى أراك ساهمة منشغلة

ليلى : لقد فتحت لي يا أبتي بحديثك آفاقا من حياة الشاعر الكبير . فلولا خشيتي من أن أثقل عليك لسألتك المزيد في الحديث عنه .

الاب : ان الحديث معك يا وحيدتي يبهجني

ليلى : شكرا لك يا أبتي .

الاب : سبق أن أخبرتك عن حياته ودراسته وهو نفسه يتحدث عن دراسته فيقول :

ـ الرصافي :

حبب الي في بدء دراستي العربية التبسط في فهم الشواهد وشرحها وتذوق ما فيها من بلاغة فكنت أحفظ الشاهد وما

يسبقه وما يلحقه من أبيات فاجتمع في حقيبتي وفي حافظتي منها شيء كثير وعندها كنت أحـاول أن أنظم الشعر محاكيا ومحاذيا فقرضت الشعر وسني السادسة عشرة فاجتمع عندي منه طائفة صالحة . وقد كان القريض يأخذ من وقتي الشيء الكثير .

ليلى : هكذا ؟.. يبدو ان الرجل ولد والشاعرية في اهابه

الاب : انها الموهبة الكامنة يا ابنتي تتفتح أزهارها عبر الايام .

ليلى : وهل عالجت موهبته يا أبتي كل أغراض الشعر ؟

الاب : لقد خلف ديوانا ضخما عالج فيه الكثير من أغراض الشعر وفنونه. وديوانه المطبوع هذا ، وما خلفه من شعر لم يضمه الديوان ، هو حصيلة فنه وشاعريته ، هذا بالاضافة الى كتب عديدة في البحث والرأي والاستقصاء ... لقد كان عريض الامال واسعها وهو يقول عن نفسه :

وكيف يصبح من دنيـاه في دعـة

من بات في نفسـه الآمال تزدحم ؟

ليلى : وهل حقق شيئا من آماله وتطلعاته .

الاب : لا أظن ان الذي حققه يرضيه فقد أمتهن التدريس حتى اعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨ ثم سافر الى الاستانة ليمتهن الصحافة وقد عمل فعلا في جريدة سبيل الرشاد بالاضافة الى تدريسهالعربية في المعاهد التركية وقد بقي كذلك حتى عـام ١٩١٢ حيث أنتخب مندوبا عن المنتفك في المجلس النيابي العثماني .

ليلى : كان ذلك قبل أن تضع الحرب العظمى الاولى اوزارهـا . اليس كذلك ؟

الاب : نعم فهو قد غادر الاستانة بعد الحرب الى الشام فترة ثم الى القدس

حيث عاد الى التدريس هناك ولما قامت الحكومة المؤقتة في العراق سنة ١٩٢١ دعي الرصافي الى بلاده .

ليلى : وهل نال مبتغاه بعد العودة ؟

الاب : لقد تولى التدريس والتفتيش في المعاهد المختلفة ومنها دار المعلمين العالية ببغداد وبعد اعتزاله التدريس أصدر جريدة يومية سماها الامل لم تدم طويلا . وفي عام ١٩٣٠ انتخب نائبا في المجلس النيابي وقد أعيد انتخابه ثانية وثالثة وتنقل بين بغداد والفلوجة والاعظمية وفي هذه الفترة كتب كتابه المشهور الشخصية المحمدية كما ألف رسائل التعليقات وغيرها من كتبه المعروفة ... ماذا ؟ أطراقة أخرى يا ليلى .؟

ليلى : (ضاحكة) لا يا ابتي ، معذرة ، فقد كنت أفكر في شعر الرجل الذي حدثتني عنه . ترى كيف يتسنى لي الاطلاع عليه ودراسته .

الاب : ان بذلت الجهد فالديوان يغنيك ، ان فيه كل نماذج شعر الرصافي كما أرى .

ليلى : مثل ماذا من نماذج شعره يا أبتي ؟

الاب : (مرددا) مثل ماذا ؟.. نعم سأورد لك بعض نماذجه على سبيل المثال ليس الا .

ليلى : شكرا لك يا أبتي .

الاب : يقول الرصافي :

لا تشك للناس يوما عسرة الحال	وان ادامتك في هم وبلبال
وجانب اليأس واسلك للرجا طرقا	فالدهر ما بين أدبار واقبال
واركب على صهوات المجد مقتربا	فيما تحاول ذا حل وترحال
لم يبق غير الذي غلت انامله	أما بأغلال شح أو بأقلال

ويقول :

من ليس يبكيه من أبناء جلدته بكاؤهم فهو من جنس التماسيح

الاب : ويقول :

أحب صراحتي قولا وفعلا وأكره أن أميل الى الرياء
فما خادعت من أحد بأمر ولا أضمرت حسوا في ارتغاء
ولست من الذين يرون خيرا بابقاء الحقيقة في الخفاء

الاب : وقال ..

أبى الحق الا أن أقوم لأجله على الدهر في كل المواطن ثائرا
وأن أتمادى في جدال خصومه وأفرع منهم بالبيان المكابرا

ليلى : بديع

الاب : انه يا ابنتي من أبرز شعراء عصره .. وشعره ان أردت الاطلاع عليه كثير ... رحمه الله فقد ظل يقول الشعر ولسان حاله يردد :

وأجود الشعر ما يكسوه قائله بوشي ذا العصر لا الخالي من العصر
لا يحسن الشعر الا وهو مبتكر وأي حسن لشعر غير مبتكر

حتى ثقلت عليه الاسقام فأسلم الروح عشية السادس عشر من آذار عام ١٩٤٥ ورجع الصدى يردد قوله :

رواية رؤيا قد جرت في ديارنا
فجائعها حتى انتهت في المقابر

ـ الختام

إبراهيم ناجي

– في جلسة الاب مع أبنته ليلى –

ليلى : تترنم :

يا حبيبا زرت يوما ايكه	طائر الشوق اغنى المي
لك ابطاء المدل المنعم	وتجنى القادر المحتكم
وحنيني لك يكوى اضلعي	والتواني جمرات في دمي

* * *

اعطني حريتي اطلق يديا	انني اعطيت ما استبقيت شيا
آه من قيدك ادمى معصمى	لم أبقيه وما ابقى عليا
ما احتفاظي بعهود لم تصنها	والام الاسر والدنيا لديا

الاب : هكذا يا ليلى ؟ يبدو عليك الاعجاب الشديد

ليلى : كيف لا يا أبتي .

الاب : اخشى أن يكون الغناء هو الذى أثار أعجابك الشديد هذا .

ليلى : انني لا شك معجبة بالغناء منذ سمعت القصيدة تغنى ولكنني بذات الوقت معجبة بالشعر ايضا .

الاب : ومن لا يعجب يا أبنتي بالدكتور ابراهيم ناجي شاعر الوجد والتباريح والالم الصامت .

ليلى : أهكذا كان ؟

الاب : طيلة حياته •

ليلى : هذا رائع •

الاب : لقد عاش الرجل الفنان حياته للناس فكل ما وصلت اليه يده كان مشاعا للناس قد ترك لغيره الشقاء في سبيل المادة وقنـع لنفسـه بالشقاء في سبيل الناس •

ليلى : تلك هي صفة الفنان الاصيل •

الاب : وهو كان فعلا وان عد بين الاطباء شاعرا وبين الشعراء طبيبا •

ليلى : وماذا عن حياته الخاصة يا أبي •

الاب : المعروف عنه انه ولد فى عام **١٨٩٨**م في أسره متوسطة الحال بمصر ودرس في المدارس الرسمية ثم سافر الى لندن حيث عكف عـلى دراسة الطب عدة سنوات كما درس الادب ايضا •

ليلى : هكذا ؟ جمع العلم والادب •

الاب : نعم وعندما عاد الى مصر عمل طبيبا في مصلحة السكة الحديد ثم في مستشفيات وزارة الاوقاف الى ان وصل الى وظيفة مراقب القسم الطبي فيها •

ليلى : اذا بقي طيلة حياته يمتهن الطب •

الاب : نعم فأنه استقال من وظيفته منصرفا الى عيادته قبل وفاته ببضعة ايام•

ليلى : ترى كيف اتجه الى الادب وقرن به الطب •

الاب : المعروف يا ابنتي ان والد ابراهيم كان رجلا مثقفا وكانت له مكتبة كبيرة في بيته وكان الرجل يريد لابنه ثقافة واسعة • وفي هـذا المجال يحدثنا الشاعر عن نفسه فيقول :

.. صوت ابراهيم ناجي ـ

•• لقد أراد أبي يرحمه الله شيئا : وأراد ديكنز شيئا وأراد (كوبر فيلد) شيئا وأراد القدر غير هذه • ما أظلم القدر فقد شاء أن أكون

طبيا وليس بالطب من حرج وانما الحرج أن يكون الشعر مركبا في طبيعة انسان فاذا بالقدر يضعه فوق أسنة المادة ويزجه في الدائرة التي لا شعر فيها ولا خيال . انما الحرج أن تكون طبيعته انبنصت الى أنات الروح فيأخذه القدر الى حيث ينصت الى أنات الجسد وشتان بين هذه وتلك . انما الحرج ان تجذبه طبيعته لناحية ومهنته لاخرى حتى يتمزق بين شد هذه وجذب تلك .

ليلى : يبدو ان الرجل كان في حيرة من أمره .

الاب : نعم فلقد أشفق على نفسه من مهنة الطب وخشي ان يأتيه اليوم الذى ينسى فيه الشعر والفن وتجرفه مهنته فلا يذكر شيئا من عالم الروح .

ليلى : هذا حق ولكن متى انتصر الانسان على أقداره ؟

الاب : فعلا ولذلك يقول هو نفسه في رائعته الاطلال يناجي حبيبته :

ـ صوت ناجي ـ

يا حبيبي كل شيء بقضاء ...

ليلى : « تكمل مع أبيها عجز البيت »

ما بأيدينا خلقنا تعساء

تناول بديع للمعنى .

الاب : كيف لا انه ناجي الفنان الملهم .

ليلى : وبعد يا ابتي ... ماذا عنه ؟

الاب : المعروف ان الرجل يا ابنتي قد تأثر بوالده كثيرا وكان لهذا الوالد أعمق الاثر في توجيه مواهب ابنه الادبية والشعرية لكثرة ما قرأ له من الادب العربي والانكليزي حتى شغف بالمطالعة .

ليلى : مطالعة مثمرة .

الاب : ان الموهبة اذا ما اقترنت بالمطالعة تفتحت ازاهيرها وشذت .

ليلى : وماذا عن صراعه مع ذاته بين الشخصيتين الطبيب والشاعر .

الاب : لقد ظل ناجي يحس في أعماقه بشخصيتين متناقضتين وظلت هاتان الشخصيتان تتجاذبانه حتى مزقتا نفسه ولقد ظل حائرا حيرة أورثته ألمًا ممضا لا يجد له منه مهربا •

ـ صوت ناجي ـ

ليت شعري اين منه مهربي　　　اين يمضي هارب من دمه

ليلى : مسكين ، صراع نفسي مؤلم •

الاب : وقضيته بطبيعة الحال لم تكن مقتصرة على تناقض مهنتيه •

ليلى : اذاً

الاب : انه بعد ان تمكن من فن الشعر وانظم الى جماعة ابولو الشعرية التي أسسها المرحوم الشاعر احمد زكي أبو شادى اتجه الى دراسة الفلسفة وتعمق فيها •

ليلى : الفلسفة هذه المرة •

الاب : نعم ولقد كشفت له كما سبق ان كشف له الطب عن حقائق كثيرة من الحياة والظاهر انه وهو الشاعر المرهف ارتاع من هذه الحقائق واساء الظن بالمعرفة وتمنى الجهل وصرخ يقول •

ـ صوت ناجي ـ

كل شيء صار مرا في فمي　　　بعد ان أصبحت بالدهر عليما
آه من يأخذ عمرى كلــه　　　ويعيد الطفل والجهل القديما

ليلى : شاعر بديع بالرغم من سمة التشاؤم الطاغية عليه •

الاب : هكذا الشعراء المرهفون يا ابنتي • انه يقول مثلا في قصيدته خواطر الغروب

ـ صوت ناجي ـ

قلت للبحر اذ وقفت مســاء　　　كم أطلت الوقوف والاصــغاء
وجعلت النسيم زادا لروحــي　　　وشـربت الظـلال والاضــواء

انمـا يفهم الشـبيه شـبيها	ايهـا البحر نحن لسنا سـواء
انت باق ونحن حرب الليالى	مزقتنـا وصـيرتنـا هبـاء
انت عات ونحن كالزبد الذاهب	يعلو حينـا ويمضي جفـاء

ليلى : يالله لكأنه يقتطع الصور من نفسه ويلونها بوجدانه .

الاب : هكذا هو دائما في كل ما كتب .. وما خلفه أصدق دليل على ما نقول

ليلى : لابد أنه كان اذا في وجدانياته محلقا ما دام على كل هذه الحساسية المرهفة والقابلية الفنانة .

الاب : بلا شك ونماذج شعره في هذا المجال كثيرة جدا اذكر له فيما اذكر قصيدة يخاطب بها حبا جديدا سماها باقة الورد

ـ صوت ناجي ـ

انت يا من جعلت روض حياتي	مهـد ورد اليـك وردك ردا
آية الورد انـه نفحـة منـك	ومن عطـرك الشـذى استمدا
هذه باقة من الـورد تجتـو	ملك في الرياض اصبح عبـدا
ياجمال الجمال من خلد الحسن	جميعا في نظرة منك تفـدى

ليلى : هذا بديع .

الاب : ولقد ظل مبدعا يا ابنتي حتى توفاه الله .

ليلى : وهل مات في سن مبكرة .

الاب : في منتصف عقده السادس تقريبا. كان ذلك عام **١٩٥٣** وهو يزاول عمله في عيادته .

ليلى : مات فجأة وخلال عمله ؟

الاب : نعم في عيادته كان يكتب الدواء لمريض فحصه فاذا بالقلم يسقط من يده ويفارق الحياة .

ليلى : هذا مؤسف .

الاب : رحمه الله لكأنه كان يستجلي الغيب عندما كتب في أواخر ايامه يقول

ـ صوت ناجي ـ

«سنظل ندور كالنحلة الى أن نموت ونحترق كالشمعة الى أن تذوب»

ـ الختام ـ

أحمد زكي أبو شادي

(صوت مضخم :)

الشاعر الغـزل الذى سـحر الهـوى

وسـبا الجمـال ورقص الانغامـا

ـ موسـيقى ـ

ـ جلسة الاب وابنتـه ليـلى ـ

ليلى : قد تستغرب يا ابتي ما سأوجهه لك من اسئلة •

الاب : وعلى م هذا الاستغراب ؟!

ليلى : لانني وانا ادرس حياة الشاعر الدكتور أحمد زكي أبو شـادي وجدت جملة مفارقات •

الاب : مثل ماذا ؟

ليلى : كونه شاعرا وطبيبا ومؤسسا لرابطة مملكة النحل وجمعية (ابولو) وكلية الطب بجامعة الاسكندرية و••

الاب : وماذا في هذا ؟

ليلى : الذى أراه أنه لا يفتقد المفارقة

الاب : هكذا ؟

ليلى : كيف لا ؟!

الاب : اما سمعت أو قرأت قبل اليوم عن طبيب شاعر أو شاعر طبيب ؟

ليلى : (تضحك) ولم لا •• في جلساتنا هذه حدثني انت نفسك عن أطباء

شعراء ، ابراهيم ناجي مثلا واحد منهم •

الاب : اذا ما هو وجه المفارقة في ان يكون أحمد زكي أبو شادي شاعرا وطبيبا •

ليلى : ما هذا الذى قصدته •

الاب : اذا ما تقصدين به

ليلى : اقول أن الرجل أضاف الى كونه شاعرا وطبيبا اهتمامات ونشاطات أخرى •

الاب : هذا صحيح •

ليلى : (مسترسلة) يعمل على تأسيس رابطة مملكة النحل التي ادخلت طرق النحالة العصرية الى مصر مستهدفا زيادة الثروة القومية ، كما يعمل على فتح كلية الطب بجامعة الاسكندرية من أجل التوسع في مكافحة الامراض ، هذا في الوقت الذي يؤسس (جمعية ابولو) الشعرية ويصدر مجلة تختص بالشعر والشعراء وتحتضن فحولهم وناشئتهم •

الاب : الواقع ان الرجل كان يجاهد في أكثر من ميدان • وهذه كما أرى ميزة وموهبة

ليلى : هذا ما لا شك فيه ، ولكن تعدد الميادين واختلاف أوجه النشاطات فيها هو الذي لفت نظري

الاب : هذا صحيح •• ولكن الرجل كان ينهض بكل هذه الاعباء نهضة القادر المتمكن •

ليلى : قابليات تستحق التقدير •

الاب : بدون شك • فاهتماماته وسعت أغلب مجالي الحياة ••• رحمه الله ، فقد كان يقول عن نفسه :

ــ ابو شادي ــ

واني الذي يبكي على جرح غيره   ومالي على جرحي الدفين نحيب

ليلى : هكذا ؟... يبدو اذا انه كان يعاني أيضا من جرح دفين .

الاب : انه شاعر حساس يا ابنتي ، ولقد نهض كما قلت بأكثر من مهمة ، فكيف لا يعاني وكيف لا يصور معاناته !

ليلى : هذا صحيح ... أقول يا ابتي ...

الاب : نعم !

ليلى : ما دام الحديث تناول الدكتور أحمد زكي أبو شادي فهلا حدثتني عنه وعن مجالات فنه الشعري ببعض الاسهاب .

الاب : ولماذا ما دمت تقرأين عنه الان ، الا يكفيك ما تقرأين ؟

ليلى : (ضاحكة) لا يا أبتي ، أرجوك فكم يلذ لي أن أسمع منك حديث الشعر والادب في مجالس سهرنا العائلي

الاب : كما تشائين يا (ليلاى)

ليلى : (ضاحكة) شكرا يا ابتي

الاب : الدكتور أحمد زكي أبو شادي يا ابنتي من مواليد القاهرة عام (١٨٩٢) وقد ولد في بيت علم وأدب فقد كان أبوه محمد أبو شادي من كبار المحامين الى جانب كونه خطيبا بليغا وشاعرا واديبا

ليلى : اذا لابد ان لنشأته في هذا البيت أثرا في حياته الادبية .

الاب : بدون شك ، فلقد تركت في نفسه أثرها العميق وهو وان تخرج في كلية الطب بجامعة لندن وكان ذلك عام ١٩١٥ فقد كان اختياره للطب من باب اقران العلم بالادب أولا ثم لمواجهة ظروف الحياة التي ما كانت يومذاك تقيم اود الاديب المتفرغ .

ليلى : اذا فهو قد ارضى متطلبات الحياة وخضع لسلطان الفن .

الاب : بالضبط ، والا فهو يرى في الفن ...

ـ ابو شادي ـ

هو الفن سلطان على كل دولة ... يبدل من ضعف النفوس قواها
ويكسبها من بعد فقر لها غنى ... وأى غنى لـولاه بزغناهـا

ليلى : هذا جميل

الاب : الواقع أن جل شعره الجمالي يتسربل بالرومانسية فقد وضحت عليه المسحة الحزينة والخيال المحلق • اسمعيه مثلا يهمس كالحالم في قصيدة له بعنوان (تشاؤمي) يقول فيها :

ـ أبو شادي ـ

ولكنني وجهت بحثي وخاطري ... الى خلف ما تبدى الحياة لوسنان
فأبصرت روحا للجمال مجددة ... وادركت انا للجمال كقربان
تعزى فؤادى ان اكون ضحية ... وان يهب التجميل للكون حرماني
وماخفت موتي كالغريب الذى قضى ... وحيدا فعمرى والمنية سيان

ليلى : هكذا اذا ؟•• مهما يكن من أمر يا أبتي فهذه رومانسية عذبة على أية حال •

الاب : هذا صحيح • والواقع انه وجد في الطبيعة ومجاليها الملجأ والملاذ • وفي رحابها وجد العزاء كما وجد الحب • انه يقول :

ـ ابو شادى ـ

زرتها اشكو اليها لوعتي ... من جحود نالني من زمني
فأكفهرت في اكتئاب سحبها ... ثم صاحت صيحة المتهن
وكأني مذنب في عرفها ... فهي أمي وهي من تلهمني
موئلي في ظلها أو نورها ... وهي في عطف لها تنعشنى
كيف اشجى وهي حولى دائما ... ملجىء بل معبدى بل وطنى
ثم لم تلبث على سخط فقد ... صفحت عن زلتي أو حزني
والنسيم الحر يحكي ما رأى ... من غرام ومعاني الفتن
فأغتدى طبعي حنيني دائما ... لمجاليها التي تفرحني

فأناجيها بحب معلن وتناجيني ببر معلن
منشدا شعري وحسبي سمعها فهو منها ولديها يغتني

الاب : اسمعت يا ليلى ؟

ليلى : انه فعلا يا ابتي من شعراء الطبيعة المبدعين •• ترى هل اقتصر فنه على الطبيعة ومناجاتها •

الاب : لا ابدا فديوان شعره يضم العديد من القصائد في مختلف أغراض الشعر ولئن كان حظ الطبيعة من شعره وافرا فلقد كان كذلك حظ الوطن ، الاخلاص لاهدافه وغاياته والحنين اليه والعمل من أجل قضيته •• اسمعيه يوجه النداء الى ابناء وطنه طالبا منهم التكاتف والتعاون والعمل •••

ـ ابو شادي ـ

فتعاضدوا وتذرعوا بثباتكم واخائكم ان الاخاء يعافي
لكم الحياة مع التألق كلما كنتم رجال توحد وتلاف
ودعوا خرافات الخصوم ولغوهم فكثيرها يحكي ثغاء خراف
خلوا الامانة ديدنا لتعاون تجدوا التعاون أصدق الاسعاف
وتأملوا الضوء العزيز بوحدة فاذا تفرق ضاع في الاطياف

ليلى : هذه رسالة سامية ونداء كريم •

الاب : بلا شك ، لانها صدرت عن صدق واخلاص مدرك •

ليلى : معذرة يا ابتي ، فلقد تشعب بنا الحديث في فن أبي شادي ، لقد بدأت تحدثني عن حياته واخبرتني انه درس الطب وتخصص فيه •••

الاب : نعم •

ليلى : وماذا بعد هذا •

الاب : بعد الحياة الحافلة بالنشاطات والاعمال التي حدثتك عنها استقر به المقام في كرسي الطب بجامعة الاسكندرية الا أن النزاع على المناصب

العلمية يومذاك ازهده في البقاء في الكلية التي اسسها هو نفسه فترك العمل وهاجر الى امريكا •

ليلى : اذا هل يصح لنا ـ على هذا الاعتبار ـ ان نعده من بين أدباء المهجر وشعرائه

الاب : لا أظن •

ليلى : لماذا ؟

الاب : الذى أراه ان السبعة اعوام التي قضاها في امريكا وقلبه مشدود الى وطنه وروحه هائمة فوق بلاده لا تسلكه في عداد شعراء المهجر لانه لم يهاجر من بلده مختارا بل تركه مستاء لما رآه في جامعة الاسكندرية يومذاك من تجاف لروح العلم وكرامة العلماء فترك كرسي الطب ليعمل استاذا في جامعة نيويورك •

ليلى : لهذا السبب وحده ؟

الاب : له واضافة اليه ان ابا شادي لم يهاجر في شبابه بل ترك بلاده في أواخر أيامه وبعد أن نضج تفكيره واكتملت مقومات شخصيته ، وهذا أمر لا يدع مجالا لتأثره بالبيئة الجديدة التي انتقل اليها ، بل بقى كما هو الشاعر الذي نشأ في الشرق ونما فيه وترنم من وحيه •

ليلى : هذا صحيح وتعليل للامر مقنع •• شكرا يا ابتي •

الاب : رحم الله ابا شادي فلقد أفل نجمة وخبا صوته عام ١٩٥٥ في واشنطن بأمريكا مغتربا عن بلاده التي خدمها خدمات جلى حتى فارقها مكرها عام ١٩٤٨ ••• فلقد مات وفي نفسه حسرة وفي قلبه غصة من مواقف بعض خصومه منه •• اسلم الروح ولسان حاله يردد قوله :

رجاؤك أن تصيب وفاء قوم	بررت بهم رجاء للمحال
فتغنم غاية التسفيه ممن	بذلت له الرشاد وكل غال
ويغدو كل حسن فيك قبحا	وكل كرامة شبه الضلال

ـ موسيقى الختام ـ

إبراهيم عبد القادر المازني

موسيقى تفضى الى مناقشة ادبية بين صوتين ..

الصوت الاول : ... (وكأنه يناقش فكرة سابقة) المسألة عندي على غير الشكل الذي تقدر

الصوت الثاني : كيف اذا تراها ؟

الاول : ليست مواهب الكاتب مهما بلغت ولا مشاهداته مهما تنوعت كافية لان تمكنه من العطاء الفكري الجيد

الثاني : لماذا ؟

الاول : لان وسائل انتاج الكاتب بالاضافة الى المواهب والمشاهدات الدراسات الجدية المضيئة وتتبع ما يزدهر في حقول الفكر العالمي .. انه لن يستطيع أن يستغني عن الاستزادة الثقافية المتواصلة .

الثاني : هذا صحيح ، ولكن ليس الى هذا الحد

الاول : بل وأكثر ... أتظن ان اية قراءة عابرة تكفيه

الثاني : قد يكون الامر كذلك ما دام قد بلغ الكاتب المستوى الذى أهله للكتابة

الاول : ذلك خطأ محض .. تحضرني بهذه المناسبة كلمة لـ (فانس تومبسون) يقول فيها :

« منذ عدة سنين حتى الان حفظني الرب العزيز من خطيئة القراءة العابثة »

الثاني : على أي حال انني ارى أن الامر لا يخلو من بعض المبالغة .
الاول : بالعكس ... انه الحقيقة بعينها ... رحم الله ابراهيم عبدالقادر المازني الذى قال ..

ـ المازني :

« ... ما أظن الا أن الله جلت قدرته قد خلقني على طراز عربات الرش التي تتخذها مصلحة التنظيم ... خزان ضخم يمتلىء ليفرغ ويفرغ ليمتلىء ، احس الفراغ في رأسي وما أكثر ما أحس فأسرع الى الكتب التهم ما فيها وأحشو بها دماغي حتى اذا شعرت الكظة وضايقني الامتلاء ، رفعت يدي عن ألوان هذا الغذاء ، وقمت متثاقلا ، ومشفقا من التخمة فلا ينجيني منها الا ان افتح الثقوب .. »

الثاني : هكذا ؟!

الاول : طبعا فكما ان سيارة الرش الفارغة لا تخرج غير الهواء الجاف لا يخرج الكاتب المحدود الحصيلة غير النتاج الجاف ... وهل في ذلك ادنى شك ؟!

ـ موسيقى انتقال ـ

ـ ٢ ـ

ليلى ـ سناء ـ الاب ـ في منزل الاخير ـ

سناء : اسمعت ؟... هكذا سار النقاش اليوم في قاعة المحاضرات في الكلية
ليلى : نقاش طريف
سناء : ولذلك كنت اتمنى حضورك

ليلى : مع الاسف الشديد ... لقد كنت أريد فعلا الحضور ، لولا اضطراري للتأخر بشكل لم استطع التغلب عليه .. بالمناسبة ، فكرة طريفة تلك التي وردت في النقاش
سناء : أية فكرة تعنين .. (ضاحكة) سيارة الرش ؟!
ليلى (ضاحكة أيضا) نعم .. لقد كان قائلها موفقا غاية التوفيق في ايرادها

سناء : انه ابراهيم عبدالقادر المازني

ليلى : لا اعرف عنه الكثير

سناء : ولا أنا •• وان كنت قد سمعت باسمه كثيرا ••

تسمع خطوات قدوم •• يدخل الاب/مؤثرات

الاب : مساء الخير •• اهلا سناء

ليلى : مساء الخير

سناء : كيف انت يا ابا ليلى

الاب : بخير ••• أهلا بك في منزلنا

سناء : شكرا يا عماه ••• الواقع انني أتيت للاطمئنان على ليلى ، فلقد اتفقنا ان نلتقي في قاعة المحاضرات في الكلية لكنها تأخرت الامر الذى أثار قلقي عليها •

الاب : ها •• ها •• وهل كانت محاضرة طريفة

سناء : جدا ••• ولقد دار موضوعها حول وسائل الكاتب التي تمكنه من الانتاج ولقد استشهدوا بقول للمازني جد طريف •• أنه يشبه حصيلة الكاتب بخزان سيارة الرش ، فما لم يكن حوض السيارة مملوءا بالماء فلن يخرج منها غير الهواء الجاف ؟

المازني : رحم الله المازني ، فهذا رأي من ارائه المعروفة الذائعة

ليلى : وبالمناسبة يا ابتي ؟

الاب : نعم

ليلى : اننا ـ في الواقع ـ لا نعرف عن المازني الكثير

الاب : غريب ؟

ليلى : لماذا ؟

الاب : لانه اشهر من ان يعرف •• فلقد أمد المكتبة العربية بالروائع منذ عام ١٩٢٤ حتى وفاته عام ١٩٤٩

ليلى : هكذا ؟

الاب : نعم ، فهو صاحب المؤلفات المشهورة (حصاد الهشيم ، قبض الريح ، صندوق الدنيا ، خيوط العنكبوت ، ابراهيم الكاتب ، ابراهيم الثاني ، اقاصيص ، ع الماشي ، من النافذة ••• بالاضافة الى اشتراكه مع المرحوم العقاد في كتاب الديوان ودراسات أخرى في الشعر ومجموعة من المسرحيات والقصص والبحوث والمقالات كثيرة

سناء : هكذا ؟••• نتاج ضخم

الاب : طبعا ••• فهو واحد من اعلام الادب العربي الحديث

ليلى : واسلوبه يا ابتي ••• هل تميز بسمة خاصة •• أم أنه ••

الاب : (مقاطعا) سؤال جد طريف وبالنسبة للمازني بالذات ••

سناء : لماذا ؟

الاب : لانه صاحب مدرسة خاصة مميزة ••• استمعا اليه في هذا المقطع من حواره اللذيذ في قصة (عود على بده) ••• انه حديث بينه وبين امرأته وهما في طريقهما بالسيارة الى (طنطا) •••

/انتقالـة/

ـ المازني/زوجته ـ

المرأة : ••• بعد زيارة السيد البدوي مل بنا الى بيت الشيخة (صباح) لنسلم عليها •••

المازني : لا صباح ولا مساء ، الوقت ضيق

المرأة : أرجو لاجل خاطري

المازني : يا امرأة الا تتقين في هذا العبد الصالح الذي سخره الله لخدمتك وخدمة بيتك ؟

المرأة : (بتهكم) أنت عبد صالح !

المازني : من حسن الحظ أنه لن تنصب امرأة لنا الميزان يوم الحساب ، على كل حال نحن الان بعد العصر وما زال علينا ـ علي أنا ـ

/ليلى وسناء تضحكان/

ان نقطع مائـــة كيلومتر وزيادة قبل أن نبـــلغ القاهرة ، وأختشى أن يحل بي التعب اذا أدركنا الليل قبل أن نفرغ من الطريق ...
أم ترين تعبي راحة لك ؟
ثم انك قد سلمت عليها منذ أربعة أيام ليس الا ، فمـــا حاجتك الى سلام جديد ؟ أهو زاد تتزودينه للطريق ؟

الاب : وهكذا يمضي المازني يشوقنا الى طلعـــة الشيخة (صباح) بهـذا الاسلوب المشوق العذب المتسلسل

سناء : انه فعلا كذلك

ليلى : بدون شـك

الاب : ولم يتردد ان يستخدم العبارة الدارجة ما دامت لا تخرج عـــن نطاق العربية الفصحى مثل (لاجل خاطري) و(تعبي راحة لك)وما الى ذلك .

ليلى : لاشك انه بهذا الاسلوب يستطيع أن يبعث اللهفة في نفوس قارئيـــه لمتابعة القصة حتى النهاية .

الاب : نعم ... وهذه من سمات أسلوبه المميزة .

ليلى : حديثه حديث طريف ... وماذا بعد عنه يا ابتي ؟

الاب : عن حياته الخاصة أم عن فنه وادبه ؟

سناء : (ضاحكة) عن كليهما .

ليلى : نعم ، عن كليهما .

الاب : بقدر ما يخص الامر سيرته الشخصية فان تاريخ ولادته يسجلها في عام ١٨٨٩ وكان والده على نصيب من الجاه والثراء . ويفخـر المازني في كتابه (صندوق الدنيا) بنفر عظيم من أجـداده اشتهروا وذاع صيتهم في أنحاء الجزيرة العربية في العصور الاسلامية المختلفة وقد ذكر منهم (مالك بن الريب بن حوط المازني ، وهـلال بن الاسمر المازني) وغيرهما .

ليلى : ها •• ها •• وماذا عن تحصيله يا أبتي ؟

الاب : بعد ان اتم دراساته الاولية التحق بكلية الطب ، وما ان دخل قاعة التشريح حتى يسقط مغشيا عليه ••

سناء : مغشيا عليه !! (تضحك) •

الاب : نعم ••• هكذا ذكر عن نفسه فاتجه الى الحقوق ولكن لغلاء نفقاتها اضطر الى تركها ملتحقا بمدرسة المعلمين ••• ويتحدث المازني عن هذه الفترة من حياته فيقول •••

ـ المازني :

« ومضت الايام ، أعني الاعوام ، وصرت معلما وتسلمت من الوزارة الشهادة لي بذلك ولكني لم افرح بها لان ذلك كان بكرهي ، كما صار من لا اذكر اسمه في رواية (موليير) طبيبا على الرغم من انفه • فعينتني الوزارة مدرسا للترجمة بالمدرسة السعيدية الثانوية وكنت صغير السن ولم تكن لي لحية ولا شارب فكنت أحلق وجهي بالموس ثلاث مرات في اليوم لعل ذلك يعجل بانبات الشعر • فقد اشتهيت ان يكون لي شارب مفتول ، وخدان كأنما سقيا عصير البرسيم ولكن الموسى لم تجد فيَّ فتيلا » •

سناء : اذا لقد بدء حياته العملية مدرسا للترجمة ؟

الاب : نعم ••• ولقد برع الرجل في الترجمة براعة نادرة ••• وتثمينا لبراعته في هذا المضمار يقول المرحوم عباس محمود العقاد :

ـ العقاد :

« لست اغلو اذا قلت اني لا اعرف فيما عرفت من ترجمات للنظم والنثر اديبا واحدا يفوق المازني في الترجمة من لغة الى لغة ، ويملك هذه القدرة شعرا ويملكها نثرا ، ويجيد فيها اللفظ كما يجيد المعنى والنسق والطلاوة » •

سناء : ترجم الشعر أيضا ؟

الاب : هو نفسه كان شاعرا مجيدا ، وله ديوان مطبوع بجزئين • وللعقاد أيضا رأى في شعره يقول فيه :

ـ العقاد :

" ••• ان قلمه يتحرى الفخامة في اللفظ ، والروعة في حوك الشعر كما تتحرى نفسه ـ على لطافتها ـ الفخامة في المشاهد ، والروعة في مظاهر الكون والطبيعة » •

ليلى : بديع •

الاب : وهو نفسه كان يعتقد ان الشعر مجاله العواطف لاالعقل والاحساس ولا الفكر •

سناء : اذا كيف يعنى بالفكر في شعره ؟

الاب : على قدر ارتباطه بالاحساس ••• فمن المعروف ان لا غنى للشعر عن الفكر ، بل لا بد ان يتدفق الجيد الرصين منه بفيض الافكار •

ليلى : تعني ان سبيله ••••

الاب : (مقاطعا) نعم ••• اعني ان سبيل الشاعر لا يعنى بالفكر لذاته أو لرزانته ، بل من أجل الاحساس الذي نبهه أو العاطفة التي اثارته •

ليلى : هكذا ؟!

الاب : هذا ماكان يراه في الشعر •

سناء : هل لنا بنموذج من شعره يا عماه ؟•

الاب : بكل سرور ••• يقول المازني ••• على سبيل المثال •••

ـ المازني

« ودعته والليل يحفزنا والبدر يرمقني ويرمقه
والماء يجرى في تدفقه ويكاد ماء العين يسبقه
والدل ينهاه تدفقه والحب يأمره ترفقه

لما رأيت الليـــل زايلنـــا   واذاع سـر الصبح مشـرقـه
طـأطأت لا أرنـــو لبهجتـــه   فالحسن يطغي الصب رونقـه »

ليلى : شعر رائق •

سناء : وانسيابة في السليقة الادبية لذيذة •

الاب : رحمه الله ، فلقد ظل حتى عام **١٩٤٩** حيث وافاه اجلـه يخصـب دنيا الثقافة العربية بأسلوبه الساحر وثقافته الواسعة وتهكمه اللاذع ، وسخريته التى نجمت عما ألم به من شدائد وطاف به من احداث•• الامر الذي خلق منه كاتبا ممتازا رجحت به كفة الميزان •••

ليلى : ••• رحمه الله •••

ـ النهايـــة ـ

سناء : (تنشد) :

... واذا أعوزتكم ذات طوق

بين تلك الربى فصيدوا العبادا

انما نحن والحمام سواء

لم تغادر أطواقنا الاجيادا

ـ موسيقى ـ

أحسِنوا القتل ان ضننتم بعفو

أقصاصا أردتم أم كيادا

أحسِنوا القتل ان ضننتم بعفو

أنفوسا أصبتم أم جمادا

ليت شعري أتلك محكمة التفتيش عادت أم عهد نيرون عادا ؟

ليلى ـ وصديقتها سناء ـ في مسكن ليلى

ليلى : قصيدة رائعة

سناء : ولذلك حفظتها و ررت انشادها منذ سمعتها من المدرسهِ امس

تسمع خطوات ـ مؤثرات لفتح باب ـ يدخل الاب

الاب : طاب مساؤكما

ليلى : ومساؤك أطيب يا أبتي ...

سناء : أهلا وسهلا

ليلى : لقد اسمعتني سناء قصيدة رائعة يا أبتي

الاب : سمعتها وأنا في مكتبتي

ليلى : هكذا ؟!

الاب : نعم ، واستغربت كيف انك نسيتها

ليلى : أنني نسيتها ؟!

الاب : نعم ، أتذكرين حديثي معك في واحدة من جلساتنا عن الشاعر حافظ ابراهيم

ليلى : نعم

الاب : وهذه القصيدة بالذات من النماذج التي أسمتعك اياها له

الاب : نعم ... نعم ... تذكرت

الاب : ولقد قلت لكِ يومها أنه كتبها بمناسبة حادثة (دنشواي) عام ١٩٠٦ يوم بطش المحتلون بعدد من الفلاحين الابرياء في مصر . وقد حمل ـ يومها ـ الزعيم الشاب مصطفى كامل لواء التنديد بالانكليز فأستقطب مشاعر الشعب ضدهم . وكان هذا الحادث مدعاة لتحول العدد الكبير من المفكرين والكتاب نحو مصطفى كامل وحزبه ومنهم أحمد أمين .

ليلى : أحمد أمين ؟!

سناء : نعم ... أنسيت يا ليلى ... عندما حدثتنا المُدرسة عنه قبل مدة وقالت أنه في رأس كتاب المقالة في أدبنا الحديث وانه يقول عن نفسه :

ـ أحمد أمين :

« ... انني أفضل الاسلوب السهل ولو لم يكن جزلا »

الاب : (ضاحكا) أسمعت ؟ ... يبدو انك فعلا بدأت تنسين يا ليلى

ليلى : (تضحك) معذرة يا أبتي ولي الان عندك رجاء

الاب : تفضلي

ليلى : بمناسبة زيارة سناء ولهوايتنا المشتركة في التعرف على أعلام الفكر والادب ، هلا حدثتنا عنه ... عن أحمد أمين .. تفصيلا

الاب : بكل سرور

سناء : شكرا لك يا أبا ليلى

(ضاحكا) العفو ... (كمن يهيء صوته للكلام) ... لكي أرسم صورة لشخصية أحمد أمين المفكر - قبل أن أتحدث عن سيرته الشخصية أفضل أن أنقل حديثا كتبه عنه الاستاذ الكبير محمود تيمور في كتابه (ملامح وغضون) ... مما جاء فيه :

- محمود تيمور :

« ... أنه في شتى مناقشاته ومناقلاته لا يفارق سمته ، فهو هادىء القسمات ، رفيق الاشارة ، اريحي الروح ، يتميز بذلك الصوت المختلج الحي ولكنك تستبين من وراء ذلك كله ايمانا منه بفكرته ، وثباتا في تعزيزها ، ولباقة في الدعوة اليها »

سناء : تصوير بديع

ليلى : جدا

الاب : كيف لا والمصور نفسه من فرسان الحلبة - كما يقولون - وهو يضيف الى صورته تلك قوله ...

- محمود تيمور :

« ... واذا جاز لنا أن نوجز وصف أحمد أمين في كلمة قلنا انه بنّاء . وخير ما يمتاز به هذا (البناء) في نزعته أنه اجتماعي عصري ، وانه واقعي علمي ، واذا أعلنت له فكرة رسمها في ذهنه أدق رسم ، وجعل لها خطة محكمة ، وقدر لها كل ما عساه يكون من أقدار ، ولا يكاد يمد يده ليضع الحجر الاساس لهذه

الفكرة حتى يكون قد استوثق الامر غاية الاستيثاق واحاطه بما يكفل له الرسوخ والشموخ ، فاذا البنيان تعلو دعائمه واذا هو حصن للقرائح والعقول »

سناء : بديع ... بديع جدا

الاب : ثم يصل الاستاذ تيمور الى غايته فيقول ...

ـ محمود تيمور :

« وهذا (البناء) العظيم يرمي دائما من وراء سعيه الى هدف مقصود . ذلك أن له رسالة اصلاحية واضحة ، يبتغي بها تجديد العقلية العربية ، وامدادها بما يعينها على ملاحقة الزمان في سيره الحثيث »

ليلى : لقد أحسن الرجل الوصف وأجاد التصوير ... أقول يا أبتي...

الاب : نعم ؟

ليلى : وما عن حياة أحمد أمين ؟

سناء : نعم ، ماذا عن سيرته الشخصية ؟

الاب : ينحدر أحمد أمين من أسرة فلاحة صميمة كانت تعيش على الزراعة في محافظة (البحيرة) . ولد بالقاهرة عام ١٨٨٦ ودخل في بداية عهده بالكتاتيب ثم التحق بالمدارس الابتدائية التي كانت تنافس الكتاتيب يومذاك . وقد ألحقه والده بعد اتمامه مراحل تعلمه الاولى بالازهر .

ليلى : صار أزهريا اذاً ؟

الاب : نعم : ثم اختار العمل في ميدان التعليم ، ولم يلبث أن التحق بمعهد القضاء ، ونظرا لما أبداه من تفوق في معهده أسندت اليه بعد تخرجه مهمة التدريس فيه .

ليلى : قابلية متوقدة

الاب : بدون شك ... وثمة أمر كان يقض مضجع أحمد أمين وينغص عيشه

سناء : أمر يقض مضجعه ؟

ليلى : وينغص عيشه ؟!

الاب : نعم ، فقد كان يسمع من أساتذته ثم من زملائه بأن من اقتصر على معرفة اللغة العربية يرى الدنيا بعين واحدة ، فاذا عرف لغة أخرى رأى الدنيا بعينين •

ليلى : وهل تعلَّم لذلك لغة أخرى ؟

الاب : نعم ، فلقد ثابر الرجل على دروس خاصة يتلقاها بالانكليزية ويدأب في ذلك دأبا عجيبا حتى استطاع أن يفقه أسرارها •

سناء : لطيف •••

الاب : وسارت حياته بعد ذلك ، عمل في سلك القضاء الشرعي واختير عام **١٩٢٦** للتدريس في كلية الاداب بجامعة القاهرة • وحين خلا مركز عميد كلية الاداب عام **١٩٣٩** بعد أن شغله طه حسين ومنصور فهمي وشفيق غربال أسند اليه هذا المنصب العلمي الكبير ، واختير في أثناء ذلك عضوا في المجمع اللغوي •

ليلى : تقدير كبير لمكانته العلمية •••

الاب : بدون شك • ثم بعد ذلك أحيل الى التقاعد بعد بلوغه الستين فاختير مديرا للادارة الثقافية في الامانة العامة لجامعة الدول العربية •

سناء : بعد التقاعد ؟!

الاب : نعم ، ولقد قام الرجل بمهمته الثقافية هذه خير قيام • وفي عام **١٩٤٨** قرر مجلس كلية الاداب ومجلس جامعة القاهرة منحه درجة الدكتوراه الفخرية ومنحته الدولة جائزة تقديرية في حفل أقيم لتكريمه في جامعة القاهرة •

ليلى : لطيف ••• أقول يا أبتي ، ما دام أحمد أمين من كبار كتاب المقالة فلا شك أنه ترك آراء كان ينادي بها ويعمل من أجل اشاعتها عبر

كتاباته ••• أليس كذلك ؟

الاب : بدون شك ، فقد كان الرجل في طليعة الكتاب الذين عالجوا أحوال مجتمعهم وصور ملامحه وقد حرص في مقالاته على توجيه جيله لما فيه صلاح أمره وخير وطنه • ولذلك كان يريد ـ وهو الكاتب ـ أن يكون للعرب أدب قوة لا أدب ضعف •••

سناء : يعني •••

الاب : كان يقول رحمه الله أن العود الذي يوقع عليه الاديب الشرقي ناقص الافكار تنقصه الاوتار القوية ، والاوتار التي تبعث الحياة •

ـ أحمد أمين ـ صوته يدخل فجأة ـ

« عود الاديب الشرقي ، على نحو عود المغني الشرقي ، أشجى أغانيه أحزنها ، وخير نغماته أبكاها ••• »

الاب : لقد كتب في كتابه (حياتي) مسجلا انطباعاته عن جولة في بعض ارجاء البلاد العربية •• كتب يقول ••

ـ أحمد امين :

« •• ونخترق صحراء سيناء بالقطار ، ونمر على غزة ثم على بعض المستعمرات الصهيونية ونستمع الى بعض الاحاديث عن منشآتهم فنستشعر الخوف من المستقبل •• وانتهز فرصة فأجتمع برؤساء بعض الاحزاب في فلسطين فأستمع الى احاديثهم واعرف كيف يتنازعون على المصالح الشخصية فارثي لحالهم واتوقع من ذلك الشر لبلادهم »

الاب : ويعود الرجل الى هذا الموضوع الذي ظل يثير في نفسه القلق والتشاؤم •• يعود بعد بضع سنين فيكتب قائلا ••

ـ أحمد أمين :

« ••• ها أنذا في هذه الايام مرتاع لما أصاب البلاد العربية من احداث فلسطين • يقلقني جد الصهيونيين وهزل العرب • واجتماع كلمة الاولين • وتفرق الاخرين ، ••• ماذا سيكون المصير لو

استمر الصهيونيون في جدهم واستعدادهم وتكاتفهم ، واستمر العرب في هزلهم وتخاذلهم ؟... كثيرا ما احاول الكتابة في موضوع علمي او ادبي ثم اصرف عنه بهذا الحزن وهذا الجزع ».

سناء : ومتى كتب هذا يا أبا ليلى ؟

الاب : تلك مقاطع كتبها في وقت مبكر .. عام ١٩٣٠ .. تصوروا .. كيف كان يشير الى خطوط المأساة ويقرع ناقوس الخطر منذ ذلك الحين..

– موسيقى منفردة – للتأمل ...

ليلى : وماذا عن مؤلفاته يا ابتي ؟

الاب : لقد قدم قلم أحمد امين للفكر العربي حصيلة وافرة ، فهو صاحب مجلة (الثقافة) التي اسهمت اسهامات كبيرة في الدنيا الثقافية وهو مؤلف السفر الضخم في تاريخ الاسلام .. فجر الاسلام وضحى الاسلام بأجزائه الثلاثة وظهر الاسلام ، ثم انه مؤسس (لجنة التأليف والترجمة والنشر) والتي ضمت خيرة الاساتذة واخرجت اكثر من (٢٠٠) كتاب .

سناء : جهد كبير

الاب : وبالاضافة اليه فقد الف الرجل الجهبذ فيما كتب والف من الكتب والمصنفات (زعماء الاصلاح في العصر الحديث ، وقصة الفلسفة اليونانية ، وقصة الفلسفة الحديثة ، وقصة الادب في العالم ، ... ونشر كتاب الامتاع والمؤانسة لابي حيان التوحيدي ، حققه وقدم له .. ثم ألف كتابه (حياتي) الذي عرض فيه خلاصة حياته بصدق وتواضع .. وبعد هذا وذاك نشر كتابه القيم (فيض الخاطر) في عشرة اجزاء وقد ضمنه حصيلة مقالاته التى كتبها خلال حياته الادبية والثقافية ... والذى قال عنه في مقدمته ...

ـ أحمد أمين :

« .. بعض هذه المقالات وليد مطالعات هادئة ، وبعضها نتيجة عاطفة مائجة ، وكلها تعبيرات صادقة »

الاب : رحمه الله .. فلقد أغنى شجرة المعرفة العربية بثمرات ناضجة عبقة الاريج

ليلى : (بصوت هامس) .. ليرحمه الله .

ـ موسيقى الختام ـ

صوت ـ

(كمن يلقي مقطعا من حديث مذاع)

« ••• وفي الحديث عن المقومات الشخصية نقول ، انه لو كانت المقومات الشخصية هبة طبيعية فحسب ، لكنا ضحايا الظروف وما كان للتربية أي أثر في تكوين العظماء من رجال العلم والادب والفن ، ولكن أثرها لا ينكر في تكوين الشخصية والعظمة في نفوس العظماء »

ـ يصمت الالقاء ـ يدخل الاب ـ مؤثرات ـ

ـ الاب وابنته ليلى ـ

الاب : ما شاء الله ••• ما شاء الله •• الى هذا الحد شغلك الاستماع الى الحديث

ليلى : معذرة يا أبتي ، فلقد لفتت نظري بعض الآراء التي وردت في حديث المحدث ••

الاب : مثل ••

ليلى : ـ مكملة ـ مثل حديثه عن المقومات الشخصية ••

الاب : ها •• ها •• الواقع انني سمعت هذه الفقرة من الحديث وانصت لها ، وعندي ان المحدث مصيب فيما ذهب اليه

ليلى : هكذا ؟

الاب : اتدرين لماذا ؟

ليلى : ها ... ها ..

الاب : في حياة أي علم من الاعلام ، لا نستطيع بحال من الاحوال أن نفصل بين المقومات الفطرية والمكتسبة

ليلى : تعني ...

الاب : اعني ان هناك روابط قوية تشد ما بين ملكات الشخص الخاصة ومكتسباته .. وعلى قدر تفاعلها تتكون شخصية المرء وتتوضح امكانياته. هاك هذا الكتاب واقرأي كيف تمكن رجل موهوب من ان ينمي مواهبه ويزيد مكتسباته فيصل الى دنيا الصدارة في دنيا الفكر العربي .. هاك (مؤثرات لتسلمها كتابا وتصفحها له)

ليلى : عباس محمود القعاد ؟!

الاب : نعم ، المرحوم القعاد ، احد رواد الفكر العربي المعاصر

ليلى : الواقع يا أبتي انني متشوقة لمعرفة الكثير عن الرجل ، فلطالما قرأت له او عنه

الاب : ان اهمية العقاد ومكانته السامقة في ادبنا العربي الحديث مردها - كما ارى - الى كونه انفرد دون اقرانه بأن له فلسفة في النقد الادبي متكاملة وافية الابعاد .

ليلى : هل استطيع ان اطلب (تضحك) ايضاحا ابسط لما تقول يا أبتي ؟..

الاب : الذى اقصده ان فلسفة العقاد النقدية تتسم بسمة خاصة هي كونها تربط الادب بذات الكاتب ، كما تربط الادب بنزعة انسانية عميقة وبفلسفة فنية اعمق

ليلى : هذه بدون شك مميزات جد هامة

الاب : بل انها سمات خطيرة الشأن يعوزها تاريخ نقدنا العربي القديم كله . ويبدأ بها تاريخ نقدنا الحديث

ليلى : اذا هو رائد في فنه ؟

الاب : مهما يكن من شيء فانه حاول بأخلاص ان يستبعد الصنعة في الفن الادبي وان يصل الى لباب التجربة والنظرة الى الاشياء نظرة كلية شاملة

ليلى : هذا دور ـ في الادب العربي ـ كبير

الاب : بلا شك

ليلى : هل لي يا ابتي ان أسألك عن نشأة العقاد على ضوء الفكرة التي وردت في بداية الحديث ؟

الاب : حديث المقومات الشخصية ؟

ليلى : نعم

الاب : كما سبق أن اخبرتك ان الرجل أبرز مثال على تلك الفكرة ،فلقد استطاع ان ينمي ملكاته بوفرة مكتسباته حتى كون من نفسه ذلكم العلم الخفاق في دنيا الفكر والادب والمعرفة .

ليلى : كيف يا أبتي ؟

الاب : كانت ولادة العقاد بمديرية (اسوان) عام ١٨٨٩ . ولقد نشأ في كنف ابيه الموظف في المديرية في ظروف اجتماعية استطيع ان اقول عنها انها كانت يوم ذاك تستلزم همة عالية في المرء لكيما يستطيع ان يشق طريقه نحو تحقيق اماله

ليلى : ولاسيما امال رجل كالعقاد ..

الاب : بالضبط .. حياة (اسوان) الضيقة ، وفي ظل مفاهيم واعتبارات القرن الماضي ومواهب متوقدة يحملها هذا الاسواني الصغير وتطلعات جمة نحو الذرى ..

ليلى : اذاً كيف استطاع ان يحقق غاياته يا أبتي

الاب : في البدء شغفه التأمل والانصراف الى اللذات واستجلاء جمـــال الطبيعة .. كان يناجي احلامه فتنطلق من مكمنها في نفسه وتقبل عليه بنات الاماني ، وهو يصفها في كتابه (الفصول) فيقول :

ـ العقـاد :

« •• انها تقبل عليه من كل صوب ، مع همس النسيم ومناسمة الشجر ورقرقة النهر وشذى الرياحين ووسوسة النجم ، ويحدثنه بكـل لسان ويناجينه بكل بيان ، لا يخطىء لغة من اللغات مما ينطق بـه الطير ، او يومىء به النبات »

الاب : وفي وصف مواقف التجلي تلك ـ ايضا ـ يقول المرحوم العقـاد متحدثا عن ليلة مقمرة :

ـ العقاد :

« •• فأذا كانت الليلة مقمرة ، اخذ القمر يرفع عنها سدفة بعـد سدفة ، ويزحزح منها رواقا بعد رواق ، كمشاهد الحلم البعيد العهد بالذاكرة تستعيده فيتألف في ذهنك شتاته وتبرز لك غوامضه »

« فأذا نظرت في تلك الساعة الى القمر ثم نظرت الى تلك الاماكن ، آنست بينهما الفة وسرارا وعرفت لها حرمة وجوارا ورأيت من عزلة الاماكن وانفرادها ، وبعد الجالس فيها عن استشعار الصلة بغيرها ، ما يوهمك ان القمر لا يطلع في تلك الساعة على غير تلك البقعة من الدنيا »

ليلى : خيال خصب ووصف بديع

الاب : كيف لا يا أبنتي فأنه كان من فرسان الادب المجلين •• وبالمناسبة اذكر له شعرا سجل فيه تأملاته وانطباعاته يقول فيه :

في الليلة القمراء ما احلى النظر   لكل شيء لاح في ضوء القمـر
حتى الثـرى ، حتى الحصى ، حتى الحجر

ليست من الآجر هاتيـك البنى   لا بل خيال من ظـلام وسنى
كخيلة الاشكال في السحب لنا

اكـاد عند رؤيتي طـلاءها   أرسـل عيني لمـا وراءهـا
كما تخوض نظرة فضاءها

قد شف بالصخرة مصباح الدجى　　فكيف بالنفس وكيف بالحجى
عاش على مر الليالى مسرجا

ليلى : احاسيس مرهفة سجلتها شاعرية متمكنة

الاب : ويواصل الرجل السير في دروب آماله وتطلعاته ، وبعد فترة من المحاولات الكتابية والصحفية ينخرط في سلك العمل الوظيفي ويعمل به فترة لينتقل الى العمل في جريدة من ابرز صحف ذلك الوقت هي جريدة الدستور مع الاستاذ (فريد وجدى) الذى كان يلتقى معه فكريا في منهج العمل ومناقشة القضايا بروح علمية .

ليلى : يبدو ان هذا النهج هو ما كان يريد العقاد

الاب : بل انه شرط من شروط موافقته على العمل

ليلى : كان يكتب المقالة الصحفية ؟ ام انه تولى في الجريدة اركانها الاخرى؟

الاب : كانت المقالة الصحفية في وقته واضحة المعالم محددة الاطار ولقد سبقه فيها فرسان في ميدانها من ابرزهم المرحوم محمد السباعي ، ولذلك فقد اضاف العقاد الى الصحافة جديدا بولوجه باب الاحاديث الصحفية مع كبار المسؤولين وهو سبق صحفي يسجل له

ليلى : هذا لطيف ... وهام ايضا

الاب : ومما يزيده اهمية كون محاولة العقاد الاولى في هذا الباب كانت مع (سعد زغلول) وزير المعارف يومذاك والزعيم الوطني الكبير

ليلى : ها .. ها ... متى كان ذلك يا ابتي

الاب : في عام ١٩٠٨ .

ليلى : مبادرة مبكرة ... اقول يا أبي ، ونشاطه الادبي بعد البدايات التي حدثتني عنها ، هل استمر وتطور بعد امتهانه الصحافة .

الاب : الواقع ان عمله بالصحافة اتاح له فرص لقاءات كثيرة مع اعلام الادب والفكر - من الاقطار العربية كافة ... التقى بالدكتور يعقوب صروف وبجميل صدقى الزهاوي وابراهيم الورداني وحافظ ابراهيم

وامام العبد وجرجي زيدان ثم كانت معرفته وصداقته الطويلة بالمرحوم ابراهيم عبدالقادر المازني الذي قال العقاد عنه فيما بعد :

ـ العقاد :

« لقد قيل ان الصديق نفس ثانية في جسم آخر ، وما هي بكلمة صادقة ان لم تصدق على صداقة سبع وثلاثين سنة او تزيد ... تعاقبت فيها الحوادث بفتنها واهوالها ففرقت بين الوالد وولده وبين الاخ وأخيه وبين الزميل وزميله ، ووقفت دون تلك الأصرة السماوية لا تبلغ اليها بضربة من ضرباتها ، لا تسعى اليها بنفثة من نفثاتها ،ولا تمسها الا لتزيدها قوة على قوة ومناعة على مناعة ، ثم تتركها نفسا واحدة تفترق بالرأى فتلتقى بالشعور ، وتفترق بالشعور فتلتقى في صلة من صلات الروح ، تجمع البديهة على البديهة والخيال على الخيال والمعنى على المعنى ، شاخصة ماثلة مذكورة حيثما تقلبت صفحة من كتاب او ترددت عبارة من مقال »

ليلى : هذا تقدير لصديقه كبير

الاب : لانه به جدير .. وقد أنتجت تلك الصحبة الكريمة مدرسة الديوان

ليلى : مدرسة الديوان ؟!..

الاب : نعم ، المدرسة الفكرية التى رفعت لواء النقد الادبي البناء والتى نهض بها العقاد والمازني وعبدالرحمن شكري ولقد نشروا العديد من المقالات والبحوث التى تهدف الى ارساء قواعد مدرستهم النقدية بنقد الاخرين او تقديم اعمال بعضهم ومقارنتها بغيرها الى غير ذلك من النشاطات التى كانت تنشر في صحيفة (عكاظ) وغيرها من الصحف الاسبوعية .

ليلى : جهود خدمت الثقافة الحديثة خدمات كبيرة ولا شك

الاب : بالطبع ، فهى جهود ثقافية رائدة

ليلى : وماذا عنه يا ابتي ••• ان حديثه والله لممتع ملذ

الاب : انه يا ابنتي ـ كما قلت لك ـ بحر زاخر من المعارف والفكر لن استطيع بحال ان اوجزها لك مهما حاولت •• فلقد وسعت جهوده كل الميادين وخلف اثار خطاه واضحة المعالم بينة جلية •

ليلى : وحياته في هذه الفترة ؟

الاب : حياته كلها مليئة بالعمل الجاد والنشاط الدؤوب ••• تسنم الوظائف، ومثل الامة في مجلس النواب وساهم في التوجيه الثقافي على المستويين الرسمي والشعبي مساهمات واضحة ••• وكتب ونظم ونثر وحاضر وعمل من اجل الثقافة كثيرا •

ليلى : ومؤلفاته يا ابتي

الاب : اكثر من ان تحصى •

ليلى : هكذا ؟!

الاب : بالطبع ••• اذكر لك منها على سبيل المثال (ابن الرومي حياته من شعره ، ابو نؤاس ، اشتات مجتمعات ، أفيون الشعوب ، بعد الاعاصير ، بنيامين فرانكلن ، بين الكتب والناس ، جميل بثينة ، خلاصة يومية ، ديوان العقاد ، الديوان في الادب والنقد ، رجال عرفتهم ، ساعات بين الكتب ، سعد زغلول : سيرة وتحية ، شاعر الغزل ، شعراء مصر وبيئاتهم ، عابر سبيل •••

ليلى : كل هذا ؟!••• هذه جهود كبيرة يا أبتي •

الاب : وغيرها بعد كثير مثل (عبدالرحمن الكواكبي والعبقريات وعلى الاثير وفرانسيس بيكون والفصول والقرن العشرين ما كان وما سيكون ومجمع الاحياء ومحمد عبده ومراجعات في الاداب والفنون ومطالعات في الكتب الحياة ومطلع النور وهدية الكروان وهذه الشجرة ويسألونك ويوميات العقاد •••

ليلى : يا لله ••• كل هذا ؟

الاب : هذا الى جانب المئات من المقالات الصحفية والكتابات اليومية والاحاديث الاذاعية والخواطر والافكار العامة .

ليلى : فكر متوقد لعالم جهبذ .

الاب : هذا ما يجمع عليه الجميع ... ومطالعة نتاجاته تغني الفكر بثقافات واسعة وتمده بمعارف جمة .

ليلى : مدرسة ثقافية وارفة الظلال .

الاب : فعلا ، ولقد بقي - يرحمه الله - حتى آخر لحظة من حياته يمد الثقافات بمعينه الثر ويرفدها بنبعه الغزير ... ولكأني به يوم أسلم روحه الى بارئها كان يردد مع نفسه قوله :

- العقاد :

كم آية في الكون أخفى من خفيات الضمير
من لا يرى الا العيان فلا يرى الا يسير

الأخطل الصغير

الاب ـ ليلى

الاب : يدخل ـ مؤثرات

... اسعدت مساء يا ليلى ... ها !.. عن ماذا تفتشين في المكتبة؟

ليلى : ومساؤك اسعد يا ابتي .. الواقع انني أحاول ايجاد كتاب عن بشارة الخوري أو ديوان له .

الاب : الاخطل الصغير ؟

ليلى : وهل هذا لقبه ؟

الاب : هذه تسمية عرف بها

ليلى : ولماذا الصغير ... هل هناك اذن « الاخطل الكبير » ؟

الاب : نعم ، غياث بن السلط بن طارقة الشاعر المعروف .

ليلى : يا ابتي ...

الاب : ها ... ماذا ؟ ... تبدو عليك المفاجأة ؟

ليلى : لا ... ولكن ...

الاب : ولكن ماذا ؟

ليلى : على الاقل انها امور لم اعرف عنها قبلا الا القليل .

الاب : وما هو هذا القليل الذي عرفته ؟

ليلى : لقد استشهدت اليوم مدرستنا خلال الدرس ببيتين من الشعر اعجباني فسألتها عن قائلهما فذكرت اسم الشاعر « بشارة الخوري » ولم تزد على قولها الا انه من لبنان وقد اشتهر بالشعر الغنائي .

الاب : هذا صحيح •

ليلى : ولكنه قليل

الاب : ـ يضحك ـ وهذا صحيح ايضا •

ليلى : (تضحك) اذن زدني عنه شيئا

الاب : أود ان استمع الى البيتين اللذين اثارا اهتمامك

ليلى : نعم ••• ذكرت المدرسة ، في مجال حديثها عن عظمة الخالق جل وعلا قوله •••

رب ، أن الكون مهما عظما هو في عينك لا يحسب شيء

قدرة ذلت لـــديهـــا العظمـــا

كلهـــم فـــان وسبحـــانك حي

الاب : بديع ••• هذا فعلا من شعره الرائع •

ليلى : اردت ان اعرف يا ابتي اولا لماذا سمي الخوري بالاخطل الصغير ؟

الاب : انه هو الذي اختار هذه التسمية لنفسه •

ليلى : ولماذا ؟

الاب : كان في بداية عهده يكتب القصائد الوطنية لاثارة الهمم واشعال الحماسة في النفوس في فترة التطلع الى حيـــاة متحررة بعيدة عن النفوذ الدخيل وقد اختار لنفسه هذا الاسم المستعار يوقع به قصائده وما كتب من مقالات في هذا الصدد •

ليلى : متى كان ذلك ؟

الاب : على وجه التحديد في عام ١٩١٨ وما بعده

ليلى : لا بد ان يكون لهذا الاختيار سبب •

الاب : هو يقول •••

ـ الخوري :

« ••• يعجبني من الاخطل خفة روحه وابداعه في اصطياد المعاني يقودها ذليلة الى فسيح معانيه »

الاب : ثم ان اسم (غياث بن السلط بن طارقة ـ الاخطل الكبير) مستعار كذلك

ليلى : هكذا اذاً ؟

الاب : نعم ..

ليلى : قلت لي يا ابتي ـ او على الاصح ـ قالت لي المدرسة وانت ايدت ما قالت ان شهرة بشارة الخوري في كونه من شعراء الغناء ، اليس كذلك ؟

الاب : فعلا ... فعلا ... فهو من ابرز الشعراء الغنائيين ، ولكن هذا لا يعني وقوفه عند هذا اللون من الشعر

ليلى : وهل عالج موضوعات اخرى ؟

الاب : طبعا ، الم اقل لك انه اختار اسمه المستعار من اجل نشر قصائده الوطنية وما كتب من مقالات يومذاك ..

ليلى : (ضاحكة) معذرة يا ابتي فلقد فاتني الامر ... لا بد اذاً ان له الكثير من القصائد الوطنية ...

الاب : بالفعل .. فلقد قال الروائع في العديد من قضايا امتنا العربية .. قال مثلا في عيد الجهاد ...

ـ الخوري :

قم نقبل ثغر الجهاد وجيده ... أشرق الكون يوم جدد عيده
نحن والموت صاحبان على الدهر (م) حشدنا أرواحنا وبنوده
هكذا تحتفي البطولة بالعيد (م) وتسقي أبناءها عنقوده
قل لمن حدد القيود رويدا ... يعرف الحق ان يفك قيوده
لن نراها ـ ان لم نمت في هواها ـ ... أمة حرة ودنيا جديدة !

ليلى : بديع ...

الاب : وقال ـ على سبيل المثال ايضا ـ في ثورة فلسطين عام ١٩٣٥ حين هب العرب يساعدون الثوار الاحرار في ثورتهم ويمدونهم بالسلاح والاموال ...

ـ الخوري :

يا جهـــادا صفق المجد لـه	لبس الغار عليـه الارجوانـــا
شرف باهـت فلسطين بــه	وبنـــاء للمعـــالي لا يدانى
ان جرحـا سال من جبهتهـا	لثمتـــه بخشـــوع شفتانا
وأنينـــا باحت النجـوى بـه	عربيـــا رشفتـــه مقلتانـــا

ليلى : شعر هو في الصميم من قضيتنا الكبرى

الاب : هذا صحيح ... الواقع ان مجالات الابداع عند الرجل كثيرة ، وقد اتسمت بها اكثر اغراض شعره ..

ليلى : شيء جميل

الاب : انه في بداية عهده كشاعر حرص على التراث القـديم وعب من تراث الاقدمين الامر الذي اثار عليه بعض النقاد يومذاك ..

ليلى : لماذا ؟

الاب : لقد طالبوه بالجديد ... ولقـد اثبت الرجل انه ـ في قديمـه وجديده ـ من اعلام الشعر ..

ليلى : وماذا عن ترجمة حياته الخاصة يا ابتي

الاب : رأى النور في لبنان عام ١٨٨٣ وفي رياضه الجميلـة نشأ وتفتح للحياة ... وكانت بلاده في تلك الفترة تتطلع الى نهوضها المنشود.. لقد شرع اللبنانيون ـ يومـذاك ـ يؤسسون المـدارس والمطابع وينشرون العلم ويوفدون البعوث ... وعكف بشارة الخوري على التزود بالثقافتين العربية والاوربية

ليلى : ها .. ها ..

الاب : تتلمذ على الشيخ الضليع ابراهيم اليازجي ودرس ادب المدرسة الرومانتيكية ونتاج اعلامها ... فكتور هوغو ... لامارتين ... الفريد دي موسيه ... وغيرهم

ليلى : اعداد موفق لنفسه .

الاب : بدون شك ولقد انتج هذا الاعداد ثمراته الخصبة فيما ترجم من شعر أوربى الى اللغة العربية وفيما انشأ من قصيد ... وقد جمع هذا الشعر الرقيق ديوانه (الهوى والشباب)

ليلى : دراسته للادب الرومانتيكي اذاً اثرت ـ بدون شك ـ في شعره الغنائي

الاب : لنقل شعره العاطفي بوجه عام ... يقول في (الصبا والجمال)..

ـ الخوري :

الصبا والجمال ملك يديك	أي تاج اعز من تاجيك
نصب الحسن عرشه فسألنا	من تراها له ، فدل عليك
رفعوا منك للجمال مثالا	وانحنوا خشعا على قدميك

ليلى : معذرة يا ابتي .. هذا من الشعر المغنى اليس كذلك ..

الاب : نعم ... ويقول في قصيدته (الهوى والشباب) ...

ـ الخوري :

الهوى والشباب والامل المنشود (م)

توحي فتبعث الشعر حيا

والهوى والشباب والامل المنشود (م)

ضاعت جميعها من يديا

يشرب الكأس ذو الحجا ويبقي

لغد في قرارة الكأس شيا

لم يكن لي غد فافرغت كأسي

ثم حطمتها على شفتيا

ايها الخافق المعذب يا قلـ (م)

ـبي نزحت الدموع من مقلتيا

أفحتم على أرسال دمعي

كلما لاح بارق في محيا

يا حبيبي لأجل عينيك مــا ألـ (م)

ـقى وما أول الوشــاة عليــا

أأنا العاشــق الوحيد لتلقــى

تبعــات الهــوى على كتفيــا

اسقني من لماك اشهى من الخمـر (م)

ونــم ســاعة على راحتيــا

أنا ماض غــدا مع الفجر فاسكب

نغمــات الحنــان في أذنيــا

الاب : الى آخر قصيدته الجميلة هـذه ••• ولقد لون الاخطل الصغير في شعره كما لون في معانيه

ليلى : كيف ؟

الاب : في قصيــدة له يصف فيها معاناته في الليل وسهره فيه واحلامه وامانيه يخلص بعد ذلك كله الى القول •••

ـ الخوري :

يا لاحــلامي العــذاب ذابــلات مــع الشباب

فكــأن المنى ضبــاب يتلاشــى بنفحتــين

اثنتين

لم يعد في السراج زيــت وكمــا ينطفي انطفيــت

فــأنا الان مثل ميــت مــاله غير ساعتــين

لو ترين

ليلى : شكل جميل من أشكال الشعر

الاب : فعلا ••• فهو يعنى بجمال المعنى والمبنى في قريضه •• اذكر له في هذا المجال قصيدة يبدع فيها في تنويع الاوزان والقوافي وفي تخـير الالفاظ العذبة التي تثير (الخيال الصوتي) على حد تعبير شعراء الغرب

ليلى : الخيال الصوتي ؟!

الاب : نعم ••• يقول (ت•س•اليوت) انه هو الذي يبعث الايحاء الموسيقى في النفس

ليلى : ها •• ها •• وما القصيدة يا ابتي ؟

الاب : منها قوله •••

ـ الخوري :

أنا طيف من خيالات الليالى

من صدى الوادي ومن همس الدوالي

كم على الصحراء من وشي خيالي

وعلى البحر يتيماتي الغوالي

منهما صغت حلاك ومنى النفس رضاك

انا والشعر فداك ، يا سليمى

كذب الواشي وخاب من رأى الشاعر تاب

عمره فجر من الحب وليل من شراب !

ليلى : (تضحك) هكذا !

الاب : (ضاحكا) ••• نعم ، اطال الله في عمره فهو شاعر الوجدان الرقيق المقيم على وجده ، أليس هو القائل •••

ـ الخوري :

كفاني يا قلب ما احمل أفي كل يوم هوى أول ؟

عذرتك يا قلب من للهوى انتركه بعدنا يذبل ؟

سكتنا فما غرد العندليب وتبنا فما صفق الجدول !

••• يتلاشى الصوت •••

الختام

أحمد حسن الزيات

ـ الاب وابنته ليـلى ـ

ليلى : معذرة يا ابتي ••• اسعدت مساء ••• يبدو عليك الانشغال

الاب : ومساؤك اسعد ••• تفضلي •••

ليلى : (ضاحكة) جئتك ـ على العادة ـ ببعض الاسئلة ••• ولكنك مشغول كمـا أرى

الاب : بالعكس ••• فليس الذ الى نفسي من اجابـة اسـئلة (ضاحكا) ابنتي العزيزة

ليلى : شكرا يا ابتي

الاب : انها مجرد قراءات عابرة في هذا الكتاب الذي له في نفسي أجمل الاثر

ليلى : ما هو يا ابتي ••• دعني اراه ••• وحى الرسالة ؟!

الاب : نعم للكاتب الكبير الاستاذ أحمد حسن الزيات

ليلى : مصادفة غريبة

الاب : لمـاذا ؟

ليلى : لانني جئت اسألك عن (رسالة) الزيات ، فقد كلفتنى المدرسة بكتابـة موضوع عنه وعنها

الاب : نعم الاختيار

ليلى : اذا لقد (وجدتها) ـ تضحك ـ

الاب : بالفعـل

ليلى : ها ••• انني منصتة

الاب . بهذه السرعة

ليلى : طبعا ، فالمفروض أن انتهى من واجبي الليلة

الاب : سؤالك هذا يعيد الى ذهني ما كتبه الاستاذ الزيات في العدد الالف من مجلة الرسالة متحدثا عن العوامل التي دفعته الى اصدارها ... قـال :

في ذات عشية من عشايا نوفمبر سنة ١٩٣٢ زرت أخي الدكتور طه حسين في داره بالزمالك ، وكنت منذ أربعة أشهر قد رجعت من العراق بعدما اغلقت دار المعلمين العالية ببغداد ، وكان قد أنزل عـن كرسيه في كلية الاداب من جامعة فؤاد ، فقلت له بعد حديث شهي من أحاديث الذكرى والامل ...

/انتقالة الى حوار بين الزيات وطه حسين

الزيات : ما رأيك في أن نصدر معا مجلة اسبوعية للادب الرفيع

طه حسين : (ضاحكا) وهل تظنك واجدا لها قراء في مجتمع ثقافته خاصة اوربية ، وعقليته عامـة أميـة ، والمذبذبون بين ذلك لا يقرءون ـ اذا قرءوا ـ الا المقالة الخفيفة والقصة الخليعـة ، والنكتة المضحكة

الزيات : لعل من بين هؤلاء وهؤلاء طبقة وسطى تتطلب الجد فـلا تجده ، وتشتهي النافع فلا تناله

طه حسين : حتى هذه الطبقة ، ان كانت ستقبل على الجد النافع أول الأمر لانه تغيير وتنويع ، فاذا ما ألح عليها لا تلبث أن تسأمه وتزهد فيه .. واذا كنت مصرا على ذلك فشأني هو المقـال الذي اكتبه ، والرأى الذي أراه .

ـ انتقالـة ـ

الاب : ويضيف الاستاذ الزيات على ما سبق قوله :

ـ الزيات :

« ... وكان يظاهرني في تفاؤلي أصدقائي الأدنون من لجنة التأليف

والترجمة والنشر فكانوا بهذه المظاهرة نقطة الارتكاز ومبعث المدد •
واخيرا تغلب العزم المصمم على التردد الخوار ••• فصدرت الرسالة ، صدرت قوية بالروح ، غنية بالمادة ، فتية بالامل ، فكانت ـ ولله الحمد ـ حدث العام ، وحديث الناس ، صادفت خلاء فشغلته ، وخللا فسدته ••

ـ موسيقى ـ

ليلى : وبالمناسبة يا ابتي ، ترى هل كانت مجلة الرسالة ذات هدف خاص تعمل من أجله أم أنها مجرد مجلة ثقافية عامة ؟

الاب : لقد لخص الاستاذ الزيات رسالة الرسالة في عددها الاول ، ••• ومما جاء في هذا التلخيص قوله •••

ـ الزيات :

« ••• ان مبدأ الرسالة هو ربط القديم بالحديث ••• ووصل الشرق بالغرب ، فبربطها القديم بالحديث تضع الاساس لمن هار بناؤه على الامل ، وبوصلها الشرق بالغرب تساعد على وجدان الحلقة المفقودة ••• »

ليلى : بديع ••• هذا هدف نبيل

الاب : وغاية سامية بدون شك

ليلى : وهل له يا ابتي نشاطات أخرى غير مجلة الرسالة •

الاب : طبعا ••• فهو أحد أعلام الادب العربي الذين ساهموا في مجالاته مساهمات كبيرة •

ليلى : مثل ماذا من نشاطاته يا ابتي ؟

الاب : من أعماله الكبيرة ترجمته لرائعة الاديب الالماني الكبير (جوته) ••• اعني (الام فرتر) • ولقد كتب يشرح اسباب ترجمته لها ومما قاله •

ـ الزيات :

« ••• لما قرأت (الام فرتر) كنت أقرأ ولا أرى في الحادث سواي ، وأشعر فلا أشعر الا بهواي ، واندب ولا أندب الا بلواي »

الاب : ولقد صور (جوتيه) في هذه القصة العالية عواطف الشباب في وقت نزوعه الى الحب ، وولوعه بالجمال ، واتحاده مع الطبيعة • وقد قال عنها لاحد أصدقائه :

ـ صـوت :

« كل امرىء يأتي عليه حين من الدهر يظن فيه أن آلام فرتر انما كتبت له خاصة »

ليلى : هكذا ؟!

الاب : فعلا يا ابنتي ، فهي واحدة من روائع القصص العالمي ••• ولقد نقل الزيات هذه الرائعة الى العربية نقلا يتفق مع أصلها في قوة الاسلوب ودقته واناقته وجماله •• انها في الواقع مثال الترجمة الامينة التي تنقل الصورة والفكرة وما يقوم بينهما من الروح والخيال والعاطفة •

ليلى : هذا بديع ••• وهل له ترجمات اخرى يا ابتي ؟

الاب : نعم ، فلقد نقل الاستاذ الزيات الى العربية ـ أيضا ـ قصة «روفائيل» احدى روائع شاعر فرنسا الكبير (الفونس لامارتين) • ولقد قص فيها باسلوبه الشعرى تاريخ فترة من شبابه تدفق فيها حسه بالجمال وفاض بها شعوره بالحب • وهي كالام فرتر في دقة الترجمة وقوة الاسلوب •

ليلى : قابليته في الترجمة فذة ـ كما يبدو ـ •

الاب : بدون شك •• فهو ان ترجم أو كتب اجاد السبك وأحسن التصوير وبرع في اداء المعنى •

ليلى : وهل ألف غير ما ترجم ؟

الاب : نعـم

ليلى : هكذا ؟•• نشاط جم

الاب : بطبيعة الحال •••

ليلى : مثل ماذا من مؤلفاته يا ابتي ؟

الاب : مثل كتابه (في أصول الادب) الذي يعد مصدرا من مصادر الدراسة الادبيـــة

ليلى : وماذا تناول في هذه الاصول ؟

الاب : من موضوعات هذا الكتاب القيم التي مازلت أذكرها : الادب وحظ العرب من تاريخه والعوامل المؤثرة في الادب ، والنقد عند العرب واسباب ضعفهم فيه وتاريخ حياة ألف ليلة وليلة ، وأثر الثقافة العربية في العلم والعالم ، والرواية المسرحية والملحمة وتاريخها وقواعدها واقسامها •••

ليلى : (مقاطعة) بديع ••• بديع

الاب : وغير هذا وذاك الكثير ، وكله جاء متميزا بالبحث العميق والتحليل الدقيق والرأي المبتكر •

ليلى : جهد أدبي كبير

الاب : هذا بالاضافة الى جهود اخرى كثيرة مماثلة

ليلى : هكذا ؟!

الاب : طبعا ••• مثل كتبه (تاريخ الادب العربي ، ومن الادب الفرنسى، قصائد وأقاصيص ، ودفاع عن البلاغة ••• ثم مجموعة المقـالات الضخمة هذه التي نشرها في رسالته وأسماها (وحي الرسالة) والتي تضمها عدة أجزاء •

ليلى : شيء كثير ، كثير جدا

الاب : ليس على أمثال علم كالاستاذ الزيات

ليلى : أقول يا أبتي

الاب : نعم

ليلى : بودي أن أعرف شيئا عن حياة الاستاذ الزيات

الاب : تاريخ حياته يسجل ميلاده في عام ١٨٨٥ في مدينة المنصورة وقد التحق في بدء حياته الدراسية بالازهر الشريف ، ولقد حمـل هو والدكتور طه حسين لواء التجـديد ودعا الى الاطـلاع على روائع

الادب الغربي والتمسك بأهداب المدنية الحديثة في حياتنا العلمية والاجتماعية دون اهدار لتراثنا العظيم •

ليلى : فكرة صائبة ورأي سليم

الاب : وقد بدأ الاستاذ الزيات حياته العلمية مدرسا عام ١٩١٧ وكان قبل ذلك يساهم في تحرير كثير من المجلات والصحف الادبية الكبرى مثل (الجريدة) التي كان يصدرها استاذ الجيل أحمد لطفي السيد ومجلة السياسة الاسبوعية وغيرهما •

ليلى : ها •• ها ••

الاب : وفي عام ١٩٣٢ أصدر الرسالة كما حدثتك

ليلى : شكرا يا أبتي ••• أردت أن أقول •••

الاب : نعم ؟

ليلى : كانت الرسالة مجلة مقالة ، أليس كذلك ؟

الاب : طبعا ، طبعا ••• سبق أن قلت لك ذلك

ليلى : نعم ، هذا صحيح ، ولكنني أردت أن أسأل عن لون مقالات الاستاذ الزيات فيها

الاب : الواقع انه تناول أغلب ألوان المقالة ، الوصفية ، والاجتماعية ، والقومية ، والذاتية ، وغير ذلك من ألوان الفكر •••

ليلى : بديع

الاب : ان الرجل في الواقع حقق في مجاله الكثير ••• ويكفي ان كبار الاعلام العرب ثمنوا جهوده وأكبروه •••

أذكر ان المرحوم العقاد قال فيه •••

ـ صوت :

« فأنت اسلوبك ، واسلوبك أنت ، اتقان ، واستحياء ، وسلاسة • اتقان صيغة في غير ظهور ولا ادعاء ••• واستحياء يخفي مزاياه ، وسلاسة تطوع العصي ، وتملك الزمام في اوعر والسهل على السواء •

ليلى : بديع ! !

الاب : ويقول فيه الاستاذ توفيق الحكيم

ـ صوت :

« ... ليست هـذه هي المـرة الاولى التـي أتعـرف فيهـا الى سمو أسلوبك وبلاغة تعبيرك واتساع خيالك ، فهو في الواقـع مجموعة دراسات عميقة ، ناضـجة للمجتمع ، وتصـوير بارع للتطورات الخلقية والنفسية ، واشارات دقيقة وجولات موفقـة في الادب والحياة .

الاب : والذين أشادوا به وبفنه من كبار الاساتذة والمفكرين لا يحصرهم العد ... منهم على ما أذكر الدكتور زكي مبارك والاستاذ محمود محمد شاكر والاستاذ بشر فارس والاستاذ اسماعيل أدهم والاستاذ أنور الجندي ، وغيرهم ... وغيرهم كثير

ليلى : هذا دليل واضح على علو مكانته بدون شك

الاب : بدون شك ... أمد الله في عمره ... فهو واحد من رواد الادب الحديث في شرقنا العربي ... واحد اعلام دنيا القلم الخفاقة ..

الدكتور طه حسين

ـ جلسة الاب وابنته ليلى

ليلى : ـ وكأنها تتم حديثا ـ

••• حقا يا أبتي ، ان من البيان لسحرا

الاب : وهل في هذا أدنى ريب •••

ليلى : بطبيعة الحال ، لا ••• انما الذي أردت أن أقوله هو الاشارة الى الاعجاب الكبير الذي تملكني وأنا أقرأ هذا الكتاب الفذ الرائع •

الاب : أيام طه حسين ؟

ليلى : نعم يا أبتي ••• حقا ان عميد الادب العربي فيه من الكتاب الافذاذ الذين قلما يجود بمثلهم الزمان مرات كثيرة •

الاب : هذا جد صحيح

ليلى : استمع يا أبتي الى هذا الوصف الدقيق والاسلوب المشرق والفكر اليقظ والتقدير السليم في هذا المقطع من (الايام) ••• يقول العميد ـ طه حسين :

« ••• لا يذكر من هذا اليوم وقتا بعينه ، وانما يقرب ذلك تقريبا • وأكبر ظنه أن هذا الوقت كان يقع من ذلك اليوم في فجره أو عشائه • يرجح ذلك ، لانه يذكر أن وجهه تلقى في ذلك الوقت هواء فيه شيء من البرد الخفيف الذي لم تذهب به حرارة

الشمس • ويرجح ذلك لانه ـ على جهله حقيقة النور والظلمة ـ يكاد يذكر انه تلقى حين خـــرج من البيت نورا هادئا لطيفا كأن الظلمة تغشى بعض حواشيه • ثم يرجح ذلك ، لانه يكاد يذكر انه حين تلقى هذا الهواء وهذا الضياء لم يأنس من حوله حركـة يقظة قوية ، وانما آنس حركة مستيقظة من نوم أو مقبلة عليه » •

ليلى : أتأملت يا أبتي هذا الابداع كله

الاب : ان (الأيام) يا ليلى من روائع الادب العربي الحديث التي أتحف بها عميـــد الادب المكتبة العربية ••• ولذلك قال عنـــه الاستاذ عبدالرحمن صدقي :

ـ صوت :

« هذا كتاب (الأيام) الذي قرأناه منذ طويل السنين ، ولا نزال نقرؤه كل حين ، كما لا يزال يقرؤه أبناؤنا من بعدنا ، ومن بعدهم أبناء أبنائنا وأحفاد أحفادنا الى يوم الدين ، وهو فوق ذلك قد ترجم الى كل لسان ، وعكف على قراءته الملايين في معظم أقطار الارض • والحق أنه يستحق كل هذا وأكثر من كل هذا ••• فهو عندنا معجزة في كل شيء : في لغته التي لا يعدل بلاغتها غير بساطتها ، وفي صدقه المطلق فيما يرويه عن قريته وأهل قريتــه والمدينة المجاورة لقريته ، بل فيما يتصل بذويه حتى أمه وأبيه ، ومن فوق هؤلاء أجمعين فيما يعلق بذات نفسه • وأخـيرا وليس آخرا ، ذلك الاحكام في البناء الهندسي للقصة ، والقالب الفني الذي اتسقت فيه الفصول ، وانصب فيه سياق الكلام حتى ابلغ الكتاب بذلك كله حد الكمال والتمام »

ليلى : انه فعلا لكذلك يا أبتي ••• فهذا هو ما استنتجته من قراءتي له

الاب : بدون شك

ليلى : غريب والله أمر هذه الموهبة الخلاقة ••• وهذه المقدرة النادرة

الاب : ان (الأيام) يا ليلى واحد من كتب العميد العديدة ، وهو ـ على

اهميته وعظمة فنه ـ لا يمثل الا أحد جوانب شخصيته المبدعة ...
فللرجل من النتاج الفذ الغزير مايضعه في مقدمة حملة الرسالة الادبية
في عالمنا العربي .

ليلى : أقول يا أبتي ...

الاب : نعم ؟

ليلى : انني أعرف عميد الادب العربي ولقد قرأت له وعنه الكثير ،ولكنني
أريد في جلستنا هذه أن أستوضح منك عن بعض جوانب فنه
ومجالي فكره

الاب : على الرحب والسعة يا ليلاي ...

ليلى : ... شكرا يا أبتي . أردت أن أعرف رأيك في أدب طه حسين ،
ترى هل نستطيع أن نعتبر نتاجه من وحي حياته الاجتماعية أم انه
كتب ما كتب من أجل الادب ولذاته ؟

الاب : الذي أراه أنه من الخطأ البين تناول أدب طه حسين مجردا عن
البعد الاجتماعي . فهو في أدبه كله يدير الاحداث والشخصيات
والافكار مرتبطة كلها بأبعادها الاجتماعية أشد الارتباط .

ليلى : ها .. ها ..

الاب : أتدرين لماذا ؟

ليلى : لماذا يا أبتي ؟

الاب : لأن أعماله تستمد وجودها الحي ، وتطورها ، وتقلبها ، وخطرها
من تلكالابعاد الاجتماعية قبل كل شيء

ليلى : وفق هذا الرأي لابد اذاً من أخذ هذه الناحية بنظر الاعتبار عند
دراسته .

الاب : بدون شك ، ذلك أن لا سبيل الى فهم شيء من هذا كله الا
عن هذا الطريق .

ليلى : ودراساته الادبية الصرفة يا أبتي ؟... ما الرأي فيها

الاب : كان ظهور طه حسين حدثا مهماً في الدراسات الادبية ، فقد أخرجها

من طور قديم الى طور حديث تغيرت فيه هذه الدراسات تغيرا تاما

ليلى : كيف يا أبتي ؟

الاب : بالاختصار أقول لك انها أصبحت على يديه لا تقل خصبا ولا امتاعا عن مثيلاتها في الاداب الغربية

ليلى : وكيف كانت صور هذه الدراسات قبله اذاً ؟

الاب : المعروف أنه لم يكن عندنا قبله سوى صورتين لهـذه الدراسات اولاها التي تحاكي صنيع القدماء في دراساتهم للنصوص دراسـة يعنى فيها بالبلاغة والنقد واللفظ الغريب ...

ليلى : وثانيتها ؟

الاب : صورة مقابلة تذكر فيها تراجم مبتسرة لا تكاد تغني أي غناء في درس أدبي منظم

ليلى : وما هي تجربة العميد التي حقق فيها ما حققه للادب العربي ؟

الاب : في بدء نشأته درس نصوص الادب دراسة فقه وتحليل من شأنها أن تنشىء الذوق المرهف والملكة النقـدية الدقيقة في الازهر ، وفي ذات الوقت درس في الجامعة الادب درسا تاريخيا يتناول العصـر ومؤثراته السياسية والاجتماعية والعقلية في نفوس منشئيه

ليلى : وأية طريقة انتهج اذاً

الاب : لقد تجسدت الطريقتان في نفسه ، ولذلك كتب في عام ١٩١٤ على أضوائهما رسالته النفيسة (ذكرى أبي العلاء) وتقـدم بها لنيـل درجة الدكتوراه في الجامعة القديمة

ليلى : وهل نالها عليها ؟

الاب : نالها مع الاطراء والثناء على جهده العلمي الخصب

ليلى : لابد أنه حقق فيها جديدا ... معذرة فأنا لم أقرأ هذه الرسـالة يا أبتي .

الاب : ها ... ها ... نعم ، بالطبـع ، لقد حقق الرجـل الجديد الرائع ، اذ درس أبا العلاء وآثاره وبيئته وعصـره والمؤثرات التي

أثرت في أدبه وفلسفته دراسة دقيقة .

ليلى : هذا جهد كبير .

الاب : نعم ، فلقد اتضحت في دراسته الحاسة التاريخية البصيرة ، ووضحت فيها سلامة الاحكام الادبية ، كما أظهرت اتقانه لفهم النصوص وتحليلها اتقانا رائعا ، ولذلك قررت الجامعة القديمة ارساله في بعثة الى فرنسا .

ليلى : نتيجة كان يتمناها ولا شك

الاب : وهو أهل لها وبها جدير ، ولذلك عكف هناك على الآداب الفرنسية واليونانية واللاتينية ، وعني بالمشاكل الفلسفية والاجتماعية واتخذ من فلسفة (ابن خلدون) الاجتماعية موضوعا لرسالته للدكتوراه .

ليلى : ونالها أيضا !

الاب : نعم ، ومع اعجاب ممتحنيه من الاساتذة الفرنسيين .

ليلى : أقول يا أبتي ....

الاب : نعم ؟

ليلى : من بعض قراآتي عن عميد الادب العربي أذكر أنه لقي خصومة عنيفة لآرائه وافكاره التي نشرها في مطلع حياته الادبية .

الاب : لقي خصومات كثيرة ، وهذا أمر طبيعي .

ليلى : كيف ؟

الاب : ان الصراع بين القديم والجديد قديم قدم الحياة نفسها ... ولعل أعنف الخصومات التي لقيها الدكتور طه حسين تلك التي أثيرت بعد اصداره كتابه (في الشعر الجاهلي) عام ١٩٢٦ .

ليلى : لماذا يا أبتي ؟

الاب : لقد اخضع منهجه في بحث هذا الشعر لمنهج (ديكارت) الفلسفي الذي يفتح أبواب الشك على مصاريعها في بحث أي شيء حتى يصل الى اليقين .

ليلى : وخوصم في هذا الرأي ؟

الاب : خصومة عنيفة ... ومن الذين الفوا الكتب في الرد عليه الاستاذ محمد لطفي جمعة في كتابه (الشهاب الراصد) ومحمد الخضر حسين في كتابه (نقض كتاب في الشعر الجاهلي) واصدر الاستاذ محمد فريد وجدي كتابا حول الموضوع بعنوان (نقد كتاب في الشعر الجاهلي) كما الف الشيخ محمد الحضري (محاضرات في بيان الاخطاء العلمية التاريخية التي يشتمل عليها كتاب في الشعر الجاهلي) ...

ليلى : هكذا ؟... وبكل هذه الوفرة من الردود .

الاب : ما ذكرته لك بعض ماكتب ضده في هذا الموضوع .

ليلى : وماذا فعل العميد ؟

الاب : أنصت ـ كعادته ـ الى آراء مخاصميه ، وأعاد طبع كتابه بعنوان جديد هو (في الادب الجاهلي) .

ليلى : وعلى ماذا استقر الرأي بعد ذلك .

الاب : لقد انجلت المعركة ـ بعد ذلك ـ عن تأصيل قويم في دراسة الشعر القديم ، فهذا الشعر ينبغي ألا يقبل جميعه وان يعرض على امتحان علمي دقيق قبل قبوله .

ليلى : نتيجة علمية مقبولة ، كما يبدو .

الاب : بلا شك ، والواقع أن الجهود الادبية العلمية التي تحققت على يد الجيل الذي تتلمذ على آرائه انما هي نتيجة طبيعية لاصول البحث الادبي التي وضعها بمحاضراته ومصنفاته ومقالاته التي نشرها لجمهور المثقفين وعشاق المعرفة .

ليلى : بالمناسبة يا أبتي ، هل عالج الدكتور طه الشعر الى جانب بحوثه الكثيرة وتناجاته الضخمة .

الاب : نعم ، ان له بعض الشعر ، منه في المناسبات الخاصة ، ومنه في بعض الموضوعات العامة ... أذكر منه قصيدة يهاجم فيها مشروع

مد امتياز قناة السويس ـ يومذاك ـ فيقول :

ـ طه حسين :

تيمموا غير وادي النيـل وانتجعوا

فليس في مصـر للاطماع متسـع

الاب : وله من قصيدة بعنوان (حديث مع النيل) قوله :

ـ طه حسين :

وقفة في الصباح أو في الاصـيل

يتجـلى فيهـا جمـال النيـل

الاب : وله من قصيدة اخرى بذات الموضوع قوله :

طه حسين :

عم مساء فقد أتاك السمير لايروعنـك الظـلام المغير

لايروعنك الفراق فللأفـ (م) ـلاك يا نيل دورة ستدور

ليلى : بديع ..

الاب : الواقع يا ابنتي انني لاشعر بالعجز عن ايفاء هذه العبقرية الخلاقة حقها في حديث عابر كهذا الحديث ، فلقد اجتمعت في شخصيته صورة عصره واخص ما في هذا العصر من العناء والجهاد ولم يجتمع لاديب أو كاتب في عصرنا الحاضر ما اجتمع لهذا المفكر الرائد .

ليلى : **فعلا ... فهذا ما عرف عنه ... معذرة يا أبي ، فلقد كنت أريد أن أسألك ترجمة سريعة لحياته .**

الاب : كانت ولادته باحدى قرى المينا بمصر عام ١٨٨٦ وقد تلقى ـ كما سبق أن أخبرتك ـ دراسته بالازهر الشريف ثم بالجامعة المصرية الاهلية ثم في جامعة السوربون بباريس .

ليلى : وماذا عن مهامه الرسمية ؟

الاب : لقد عين استاذا للادب العربي بالجامعة المصرية عند افتتاحها عـام ١٩٢٥ وانتخب عميـدا لكلية الاداب عام ١٩٣٢ ، وفي عـام ١٩٥٠

استوزر للمعارف ونادى برأيه المشهور القائل ...

ـ طه حسين :

« ان التعليم ضروري لحياة الامة كالماء والهواء » .

ليلى : وماذا عن مؤلفاته يا ابتي ؟

الاب : لقد كتب طه حسين نحو سبعين مجلدا في مختلف فنون الادب من نقد وأبحاث وقصص وتاريخ ... والذاكرة لا تعي عناوين كل ما اختطه يراع العميد ... الايام وحديث الاربعاء وشجرة البؤس ومن هناك وخصام ونقد ودعاء الكروان وجنة الشوك ... وغيرها ... كثير ، كجنة الحيوان وعلى هامش السيرة وأوديب وأحلام شهرزاد والوعد الحق ومرآة الاسلام والفتنة الكبرى ومع أبي العلاء في سجنه والمعذبون في الارض ...

ليلى : جهود كبيرة

الاب : وفذة ورائعة ، ولذلك احتل مكانته السامقة بين مفكري هذا الجيل وادباء عصره ، امد الله في عمره .

ليلى : انه في الواقع عميد الادب العربي واستاذ أساتذته .

الاب : كيف لا .... ما أصدق الشاعر الذي كرمه يوم منح قلادة النيل عندما قال :

ـ صوت :

جمع العلم والحجى والعباده
ذلك الصدر فهو زين القلاده
قد تعالت بقدرها ، وتعالت
بك اذ كنت اهلها وزياده
ان يرصع جيلنا باللآلى
فهو بعض من بعض ما قد افاده

ـ موسيقى الختام ـ

توفيق الحكيم

ـ جلسة الاب وابنته ليلى

الاب : (مؤثرات لدخـــوله) ... ما شاء الله ... ما شـاء الله ...
(يضحك) كلما وجدتك هكذا منصرفة الى المطالعة ازددت بـــك
اعجابا وفخرا يا ابنتي العزيزة .

ليلى : (تضحك) شكرا يا أبتي

الاب : ماذا تقرأين الليلة ؟

ليلى : لقد سمعت رأيك في جلستنا القادمة عندما كنا ندرس ســوية الادب
القديم أن من الضروري تطعيم قراءاتي بالآداب الحديثة .

الاب : حسنا فعلت

ليلى : لكن لي ملاحظة على ما اقرأ يا ابتي

الاب : ما هي : ؟ ... بل قبلها اريد ان أعرف ، ماذا تقرأين .

ليلى : مسرحية (محمد) لتوفيق الحكيم .

الاب : نعم الاختيار .

ليلى : ولكن يا أبي انني أقرأ مجرد حوار خال من كل مقومات الدراما
الفنية ، فالكتاب وان قسم الى فصول وضم كل فصل عددا من المناظر
ثم خاتمة مقسمة الى مناظر هي الاخرى ايضا ، الا ان كل هــذه
الفصول لا تربط بعضهما البعض اية رابطة سببية انها مجرد استعراض
لحياة النبي (ص ع) في صورة مناظر طويلة أو قصيرة .

الاب : ان لذلك يا ابنتي اسباب يثبتها الحكيم نفسه (ضاحكا) يبدو أنك أغفلت قراءة المقدمة •

ليلى : فعلا لم أقرأها يا أبتى ؟

الاب : انا الحكيم يقول فيها :

ـ توفيق الحكيم :

« المألوف في كتب السيرة ان يكتبها الكاتب ساردا باسطا محللا معقبا مدافعا مفندا • غير اني يوم فكرت في وضع هذا الكتاب القيت على نفسي هذا السؤال :

« الى أي مدى تستطيع تلك الطريقة المألوفة ان تظهر لنا صورة بعيدة عن تدخل الكاتب ، صورة ما حدث بالفعل وما قيل بالفعل دون زيادة أو اضافة توحي الينا بما يقصده الكاتب أو بما يرمي اليه ، عندئذ خطر لي أن أضع السيرة على هذا النحو الغريب •

الاب : أرأيت ؟ ان له في الموضوع رايا ، وفكرة وهدفا •

ليلى : هذا الذي يعنيه اذا ؟ اقول يا ابتي ، مادام حديثنا عن كتاب الحكيم قد جرنا الى الحديث عنه ، ترى ، هل استطيع ان اتعرف على دوره في دنيا الادب الحديث ؟

الاب : الواقع يا ليلى ان الرجل يعتبر من رواد القصة والمسرحية العربية المعاصرة ، وما اختطه قلمه في (عودة الروح) و (يوميات نائب في الارياف) و (أهل الفن) ، ثم في مجموعاته المسرحية الضخمة مثل (مسرح المجتمع) و (المسرح المنوع) ، ثم ونتاجاته الاخرى المعروفة مثل (بجماليون) و (شهرزاد) و (أهل الكهف) و (الصفقة) وغيرها يكون ثروة ادبية ضخمة وقيمة •

ليلى : وهل نوع في أساليب انتاجه ؟

الاب : طبعا فهو يلتجيء الى الحوار في بعض كتبه ليتخذه وسيلة يصور بواسطتها اخلاق وعادات وامزجة طوائف معينة من الناس ، ثم انه يكتب بعض المسرحيات لتقرأ أولا وقبل كل شيء

ليلى : يكتب بعض المسرحيات لتقرأ اولا وقبل كل شيء •• تعني يا أبي (المسرح الذهني) ؟

الاب : نعم ، ولنقل (مسرح الافكار) ولذلك يؤكد على أنه اذا لم يكن بد من تمثيل هذه الاعمال على المسرح فلابد لها من اخراج خاص وعلى مسرح خاص •

ليلى : كيف يا أبتي ؟

الاب : كأن يلتجأ الى وسائل اخرى في اخراجها من موسيقى وتصوير واضواء وظلال وحركة وسكون وايماء ، وكل ما يمكن أن يهيىء الجو الذي تهمس به المعاني المطلقة •

ليلى : أليس ذلك أمر صعب يا أبتي ؟

الاب : الصعوبة في مثل اعمال الحكيم هذه هي في ابقاء الشعر أو الفلسفة يشيعان في جو المسرح كما شاعا في جو الكتاب •

ليلى : ولماذا يحرص الكاتب على ابقاء هذا الجو •

الاب : لانه لايريد ان يستخدم الحوار كوسيلة مسرحية درامية فقط ، بل يريد استخدامه أيضا كوسيلة مطلقة للتعبير ، غير مقيد بفنية المسرح •

ليلى : وهو في هذا مبتكر يا أبتي !؟

الاب : الواقع أنه منذ القديم استخدم الحوار كوسيلة لتمحيص الحقائق وعرض وجهات النظر المختلفة في الموضوع الواحد على نحو ما دونه « افلاطون » عن محاورات استاذه سقراط المعروفة •

ليلى : هذا يعني ان ليس ثمة جدل في الموضوع •

الاب : منشأ الجدل كما أرى في دعوة الحكيم الى كتابة مسرحيات للقراءة فحسب ،فهذه قضية لما تزل موضع نقاش لدى النقاد والباحثين •

ليلى : ترى ، هل لنشأة الحكيم أثر في انتاجه ؟

الاب : بصورة عامة ما من كاتب لم تؤثر فيه نشأته بشكل من الاشكال ونشأة الحكيم بالذات ، لعبت دورا بارزا في تكوينه الادبي •

ليلى : كيف يا أبتي !

الاب : المعروف ان الحكيم ولد بالاسكندرية عام (١٩٠٢) لاب مصري وام تركية ، وكان أبوه من كبار رجال القضاء ولقد درس القانون غير راغب فيه وانما استجابة لرغبة ابويه اللذين كانا يعترضان على هواياته الادبية أشد الاعتراض ولقد كان له في فترة تلمذته الجامعية نشاط ظاهر .

ليلى : ها ... ها ... مثل ماذا يا أبتي هذا النشاط ؟

الاب : انه لما قصد الى القاهرة من الاسكندرية لدراسة الحقوق اشترك مع زملائه الطلبة في الحركة الوطنية التي شبت هناك عام (١٩١٩) مطالبة بالغاء الحماية البريطانية على مصر واعلان استقلالها .

ليلى : وهل تركت التجربة آثارها في أدبه ؟

الاب : ان هذا هو الذي أريد ان اذكره لك بالضبط . فقد صور الحكيم هذه المرحلة من حياته وحياة جيله في قصته الكبيرة (عودةالروح) .

ليلى : وكيف كانت بدايات انتاجه يا بتي ؟

الاب : الواقع ان الاتجاه الادبي في ذلك الوقت كان يدعو الى ربط الادب بالحياة ومشاكلها وقد كانت بدايات توفيق الحكيم في هذا الاطار . مسرحياته الاولى مثل الضيف الثقيل ...

ليلى : (مقاطعة) وماذا يعني (بالضيف الثقيل) .

الاب : هو هو يرمز بذلك الى الاستعمار الذي سخر منه في محاولتههذه.. وقد مد توفيق الحكيم بعد ذلك رسالة المسرح الى القضايا الاجتماعية عندما كتب مسرحيته الثانية (المرأة الجديدة) ثم مسرحياته الاخرى مثل (جنسنا اللطيف ، والخروج من الجنة ، وحديث صحفي)... وهكذا توالى انتاجه .

ليلى : •••• وسار في دروب الانتاج الادبي على هذا النحـو ••• أليس كذلك ؟

الاب : الواقع ان ابويه ما كانا يرتضيان له هذه الوجهة لذلك أرسلاه الى باريس للحصول على دكتوراه القانون ، ولكنه خيب ظنهما وبدلا من أن يدرس القانون انصـرف الى الادب والمسرح وخـالط الاوساط الادبية والفنية هناك وسجل ذكريات هذه الفترة من حياته وانطباعاته عنها في كتبه فيما بعد •

ليلى : يبدو يا أبتي اذن ان للحكيم العدد الكبير من المؤلفات •

الاب : فعلا فانتاجه غزير جـدا ، اذكر منه غير ما سبق ان ذكرتـه لك كتبـه (عصفور من الشـرق ، أرني الله الرباط المقـدس ، السلطان الحائر ، تأملات في السياسة ، حماري قال لي ، براكسا أو مشكلة الحكم ، رصاصة في القلب ، سر المنتحرة ، سليمان الحكيم ، الملك أوديب ، رحلة الى الغد ، ايزيس ، اشواك السلام ، أهـل الكهف ، تحت شمس الفكر ، من البرج العاجي ، تحت المصباح الاخضر ، لعبة الموت) وغيرها ••• وغيرها كثير مما لا يحضرني ذكره الآن •

ليلى : انتاج ضخم

الاب : فعلا وقد مد مؤخرا مسرح اللا معقول بانتاجه فكانت مسرحيـة (يا طالع الشجرة) ومسرحية (الطعام لكل فم) وقد تابع مؤخرا نشر فصول آخر مسرحياته التي سماها (مصرف القلق) •

ليلى : وماذا عنه الآن يا أبتي ؟

الاب : هو الآن عضو المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب في الجمهورية

العربية المتحدة(*) . ولقد سبق له أن تقلد مناصب في القضاء والمعارف والشؤون الاجتماعية ثم تفرغ عام ١٩٤٣ الى الصحافة . وفي عام ١٩٥١ عاد الى الوظيفة مديرا لدار الكتب ثم مندوبا مقيما لبلاده لدى اليونسكو في باريس وأخيرا استقربه المقام في المجلس الاعلى .

ليلى : قلم خصب ونشاط جم .

الاب : وعن وعي وتخطيط مدروس مبرمج في كل ما انتجه ... أذكر له نموذجا من تخطيطه لاعماله الفنية ذكره في مقدمة مسرحيته (الصفقة) التي كتبها بلغة هي بين العامية والفصحى ... قال :

ـ الحكيم :

« .. ان استعمال الفصحى يجعل المسرحية مقبولة في القراءة ولكنها عند التمثيل تستلزم الترجمة الى اللغة التي ينطق بها الاشخاص ، والعامية ليست بلغة نهائية في كل مكان أو زمان ، فكان لابد لي من تجربة ثالثة لايجاد لغة صحيحة لا تجافي قواعد الفصحى وهي في نفس الوقت مما يمكن أن ينطق به الاشخاص ولا ينافي طبيعتهم ولا جو حياتهم » .

الاب : ويقول في مقدمة مجموعته « المسرح المنوع » .

ـ الحكيم :

« ... انها رحلة في جهات مختلفة خلال اكثر من ثلاثين سنة ، وان القاريء أو الناقد ليعجب ولاشك لهذه الرحلة في كل جهة على مدى ثلاثين سنة .

... لكنها رحلة مسافر يبحث عن شيء ، أهي رحلة انسان

(*) اذيعت هذه الحلقة في ايلول عام ١٩٦٦ .

يبحث عن نفسه ؟ أهي رحلة فنان يبحث عن فنه ؟••• قد يكون كل هذا وقد يكون شيئا آخر من هذا • »

ليلى : اراك تنظر في ساعتك يا أبي

الاب : معذرة يا ليلى فانا الليلة جد متعب ، ولكن ، لعل من الطريف أن أسمعك في نهاية جلستنا هذه نهاية (بجماليون) احدى روائع الحكيم •

ليلى : ومن هو بجماليون يا أبتي ؟

الاب : بجماليون النحات بطل اسطورة قديمة مؤداها أنه صنع تمثال (جالاتيا) ثم احبه وقد رجا الآلهة ان تبعث فيه الحياة • الا ان جالاتيا خانته فهربت مع حارسها (نرسيس) • لكنها ما لبثت ان عادت اليه مستغفرة • وذات يوم رآها وفي يدها مكنسة ، الامر الذي حطم في ذهنه الصورة الرومانسية الشعرية عنها ••• فما كان منه الا ان يتناول المكنسة من يدها وينهال بها على رأس التمثال بعد ان استجابت الآلهة الى دعائه فحولت (جالاتيا) تمثالا عاجيا كما كانت في أول الامر ••• استمعي الى موقف بجماليون العصيب عندما حطم تمثاله •••

(المشهد التمثيلي)

موسيقى •••

– بجماليون ونرسيس –

بجماليون : « صائحا هائجا •• وهو يضرب رأس التمثال » :

لا• لا• لا• لم تعد مثالا لما ينبغي أن أصنع ••• لم تعد مثالا لما ينبغي ان يكون •

نرسيس : (وهو يدخل فاتحا الباب) :

– صائحا – ماذا فعلت أيها الشقي ؟ ماذا فعلت أيها التعس ؟

بجماليون : (منهارا) أديت واجبي •

نرسيس : لاريب انك فقدت الصواب •

بجماليون : سوف أصنع خيرا منه •

نرسيس : أنت ؟! متى ؟ أتحسبك الآن قديرا على شيء ؟

بجماليون : سوف أصنع خيرا منه ، في صدري أشياء سوف تخرج ، أشياء عظيمة في جوفي يجب أن تخرج •

نرسيس : (في غيظ) ليس هنالك الساعة شيء سيخرج غير روحك •

بجماليون : ماذا تقول يا نرسيس •

نرسيس : لقد انتهيت يا بجماليون •

بجماليون : أسكت أيها الاحمق • لن أموت قبل أن أصنع تمثالا هو آية الفن الحق • اني حتى الآن لم اكن قد وضعت يدي على السر••• سر الكمال في الخلق • لقد اضعت حياتي في الصراع ••• صراع مع الفن لاستلاب مفتاحه وامتلاك الاسلوب ••• وصراع مع ملكاتي وغرائزي أو القوة الداخلية التي هي نفسي ••• وصراع مع المصائر والاقدار أو القوة الخارجية التي هي الآلهة ••• صراع طويل صمدت له ••• ومع هذا كله ، اترى هذا الصراع كان ضربا من العبث ؟ اني الآن أرى وابصر واعرف واقدر ••• لكن ••• لكن •

نرسيس : (في قلق) لكن ماذا يابجماليون

بجماليون (في صوت خافت) نرسيس ••• اظن ان •••• انك •••

نرسيس : ماذا يابجماليون ؟

بجماليون : انك انت على حق •

نرسيس : اني كنت أمزح ••• انك بخير يا بجماليون ••• بجماليون ••• أبي ••• صديقي •••

بجماليون : (في شبه حشرجة) أحس البرد .

نرسيس : أأغلق النافذة .

بجماليون : (في حشرجة) نعم ، لقد ان الاوان ...

النهاية

المراجــع

راجعت بالاضافة الى مؤلفات ودواوين الاعلام الذين تناولتهم في فصول هذا الكتاب ...

١ ـ الاغاني ـ لابي الفرج الاصفهاني ـ طبعة دار الكتب .

٢ ـ العقد الفريد ـ لابن عبد ربه الاندلسي ـ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

٣ ـ الاعلام ـ لخيرالدين الزركلي ـ الطبعة الثانية . مطبعة كوستانسوماس وشركاه ـ القاهرة .

٤ ـ تاريخ الادب العربي ـ تاليف كارل بروكلمان ـ ترجمة : د. عبدالحليم النجار ج٢ ـ دار المعارف بمصر .

٥ ـ في موكب الخالدين ـ تاليف : عبدالسميع المصري ـ الشركة العربية للطباعة والنشر ـ القاهرة .

٦ ـ من اعلام لادب المعاصر ـ تاليف د . جمال‌الدين الرمادي ـ القاهرة

٧ ـ مسرح توفيق الحكيم ـ محاضرات للدكتور محمد مندور ـ منشورات معهد الدراسات العربية العليا بجامعة الدول العربية .

٨ ـ عباس العقاد ناقدا ـ تاليف عبدالحق دياب ـ الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة .

٩ ـ المقتبس من وحي الرسالة ـ لـ (خليل الهنداوي وعمر الدقاق) ـ نشر وتوزيع مكتبة الشرق بحلب .

١٠ـ المقتبس من فيض الخاطر ـ لـ (خليل الهنداوي وعمر الدقاق) ـ نشر وتوزيع مكتبة الشرق بحلب

١١ـ الرجل الاعصار ، جمال‌الدين الافغاني ـ تاليف ثابت المدلجي ـ دار المعجم العربي ـ بيروت .

١٢ـ الموازنة بين الشعراء ـ تاليف د. زكي مبارك ـ الطبعة الثانية ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

١٣ـ قصة الادب في الاندلس ـ القسم الثاني ـ تاليف محمد عبدالمنعم خفاجة ـ منشورات مكتبة المعارف في بيروت ٠

١٤ ـ مقالات فهمي المدرس ـ الجزء الاول ـ اصدرتها (لجنة خاصة) عنيت بجمعها وتدوينها ٠ مطبعة الشعب ـ بغداد ـ ١٩٣١ ٠

١٥ـ الفنون الادبية عند العرب ـ فن المديح ـ تاليف : أحمد بو حاقة منشورات دار الشرق الجديد ـ بيروت ٠

١٦ـ الفنون الادبية عند العرب ـ فن الفخر ـ تاليف ـ أيليا حاوي ـ منشورات دار الشرق الجديد ـ بيروت ٠

١٧ـ ابن سينا ـ تاليف تيسير شيخ الارض ـ سلسلة أعلام الفكر العربى (٢٢) دار الشرق الجديد ـ بيروت ٠

١٨ـ أبو حيان التوحيدى ، أديب الفلاسفة وفيلسوف للادباء ـ تاليف : الدكتور زكريا ابراهيم ـ سلسلة اعـلام العرب (٣٥) المؤسسة المصرية للتاليف والانباء والنشر ـ الدار المصرية للتاليف والترجمة ٠

١٩ـ لزهاوى ـ تاليف : الدكتور ماهر حسن فهمي ـ سلسلة اعـلام العرب (٣٧) ـ المؤسسة المصرية للتاليف والانباء والنشر ـ الدار المصرية للتاليف والترجمة ٠

٢٠ـ ابن رشيق الناقد الشاعر ـ تاليف عبدالرؤوف مخلوف ـ سلسلة اعلام العرب (٤٥) ـ المؤسسة المصرية للتاليف والانباء والنشر ـ الدار المصرية للتاليف والترجمة ٠

٢١ ـ قصة عبقرى ـ تاليف : يوسف العش ـ سلسلة اقرأ (٤٢) دار المعارف للطباعة والنشر بمصر ٠

٢٢ ـ خاتمة المطاف ـ تاليف علي الجارم ـ سلسلة اقرأ (٥٨) دار المعارف للطباعة والنشر بمصر ٠

الفهرس

كلمة شكر

● للسادة الزملاء في الاذاعة العراقية على هذا الكتاب فضل سابغ. فقد تولوا تقديم فصوله تباعا – قبل الطبع – على موجات الأثير ، بحرص مشكور ونجاح مشهود ..

فلهم جميعا ، اداريين وفنيين ، عاطر الحمد وجزيل الثناء .

● لقد قام الاستاذ (هادي العلوي) بتصحيح تجارب الطبع الاخيرة لهذا الكتاب .. فله مني وافر الشكر .. والامتنان .

المؤلـف

وزارة الثقافة والاعلام

مديرية الثقافة العامة

صدرت عن مديرية الثقافة العامة في وزارة الثقافة والارشاد المطبوعات التالية :

اولا ـ سلسلة كتب التراث	الثمن فلس	دينار
١ ـ الدر النقي في علم الموسيقي : للقادري الرفاعي الموصلي وتحقيق الشيخ جلال الحنفي	٥٠	ـ
٢ ـ ديوان عدي بن زيد العبادي : تحقيق وجمع السيد محمد عبدالجبار المعيبد	٣٠٠	ـ
٣ ـ مهذب الروضة الفيحاء في تواريخ النساء لياسين بن خيرالله العمري ـ تحقيق السيد رجاء السامرائي	٣٠٠	ـ
٤ ـ اصحاب بدر : منظومة الشيخ حسين الغلامي تحقيق وشرح الاستاذ محمد رؤوف الغلامي	٣٥٠	ـ
٥ ـ ديوان ليلى الاخيلية : عني بجمعه وتحقيقه الاستاذان خليل وجليل العطية .	٢٠٠	ـ
٦ ـ الدر المنتثر في أعيان القرن الثاني عشر والثالث عشر للحاج علي علاءالدين الالوسي ، وتحقيق الاستاذين جمال‌الدين الالوسي وعبدالله الجبوري	٣٥٠	ـ
٧ ـ الجمان في تشبيهات القرآن : لابن ناقيا البغدادي. وتحقيق الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي (تحت الطبع) .		
٨ ـ خصائص العشرة الكرام : للزمخشري : تحقيق الدكتورة بهيجة الحسني . (تحت الطبع) .		

ثانيا ـ سلسلة الكتب المترجمة

الكتاب	الثمن فلس	دينار
١ ـ الاصطلاحات الموسيقية : تاليف أ· كاظم نقله الى العربية عن التركية : ابراهيم الداقوقي	١٠٠	ـ
ملحق ـ١ـ المستدرك على الاصطلاحات الموسيقية : للمؤلف نفسه وتعريب ابراهيم الداقوقي	١٠٠	ـ
٢ ـ رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر نقله الى العربية عن الالمانية الدكتور محمود حسين الامين قدم له وعلق عليه السيد سالم الآلوسي	٢٠٠	ـ
٣ ـ العراق قبل مائة عام : للمسيو بير دي فوصيل · نقله عن الفرنسية الدكتور أكرم فاضل (تحت الطبع) ·		

ثالثا ـ سلسلة الكتب الحديثة

الكتاب	الثمن فلس	دينار
١ ـ رائد الموسيقى العربية : تاليف عبدالحميد العلوجي	٢٠٠	ـ
٢ ـ معجم الموسيقى العربية : تاليف الدكتور حسين على محفوظ	٢٠٠	ـ
٣ ـ جولة في علوم الموسيقى العربية: تاليف الاستاذ ميخائيل خليل الله ويردي	٥٠	ـ
٤ ـ الحرية : تاليف الاستاذ ابراهيم الخال	١٠٠	ـ
٥ ـ موجز دليل آثار سامراء : اعداد سالم الآلوسي	٥٠	ـ
٦ ـ موجز دليل آثار الكوفة : اعداد سالم الآلوسي	٥٠	ـ
٧ ـ النظام القانوني للمؤسسات العامة والتأميم في القانون العراقي : تاليف الاستاذ حامد مصطفى	٣٥٠	ـ
٨ ـ علي محمود طه ··· الشاعر والانسان : تاليف المرحوم الاستاذ أنور المعداوي	٢٠٠	ـ
٩ ـ مؤلفات ابن الجوزي : تاليف عبدالحميد العلوجي	٢٥٠	ـ
١٠ـ أبو تمام الطائي : تاليف الاستاذ خضر الطائي	١٥٠	ـ
١١ـ من شعرائنا المنسيين : تاليف الاستاذ عبدالله الجبوري	٢٠٠	ـ
١٢ـ محمد كرد علي : تاليف الاستاذ جمال الدين الآلوسي	٣٠٠	ـ
١٣ـ أدباء المؤتمر : للاستاذ عبدالرزاق الهلالي	٢٠٠	ـ
١٤ـ بدر شاكر السياب : للاستاذ عبدالجبار داود البصري	١٥٠	ـ

	الثمن فلس	دينار
١٥ـ الواقعية في الادب : تاليف الاستاذ عباس خضر	٢٠٠	ـ
١٦ـ شعراء الواحدة : للاستاذ نعمان ماهر الكنعاني	١٥٠	ـ
١٧ـ لقاء عند بوابة مندلبوم : للاستاذ احمد فوزي	٢٠٠	ـ
١٨ـ خسرناها معركة ٠٠ فلنربحها حربا : للاستاذ فيصل حسون	٢٠٠	ـ
١٩ـ عطر وحبر : تاليف عبدالحميد العلوجي	٣٥٠	ـ
٢٠ـ الدبلوماسية في النظرية والتطبيق : تاليف الدكتور فاضل زكي محمد ٠	٣٠٠	ـ
٢١ـ من عيون الشعر مختارات الاستاذ محمد ناجي القشطيني	٤٥٠	ـ
٢٢ـ مع الكتب وعليها ـ للاستاذ عبدالوهاب الامين	٢٠٠	ـ
٢٣ـ مقال في الشعر العراقي الحديث : للاستاذ عبدالجبار داود البصري	١٥٠	ـ
٢٤ـ مع الاعلام : للاستاذ جميل الجبوري	٣٠٠	ـ
٢٥ـ محاكمات تاريخية : بقلم الاستاذ مدحة الجادر	١٢٠	ـ

رابعا ـ سلسلة الثقافة العامة

١ ـ المواسم الادبية عند العرب : تاليف عبدالحميد العلوجي	١٠٠	ـ
٢ ـ الادباء العراقيون المعاصرون وانتاجهم : تاليف السيد سعدون الريس	٥٠	ـ
٣ ـ تطور الحركة الوطنية التونسية منذ الحماية حتى الاستقلال : تاليف الدكتور لؤي بحري (نفدت نسخه)	٥٠	ـ
٤ ـ العلم للجميع : اعداد كامل الدباغ	٥٠	ـ
٥ ـ الدين والحياة ـ تاليف الشيخ محمود البرشومي	١٥٠	ـ

خامسا ـ سلسلة ديوان الشعر العربي الحديث

١ ـ اللهب المقفى ـ شعر حافظ جميل	٣٥٠	ـ
٢ ـ غفران ـ شعر محمد جميل شلش	٢٥٠	ـ
٣ ـ صوت من الحياة : شعر حازم سعيد أحمد (يصدر قريبا) ٠		

الثمن فلس	دينار	

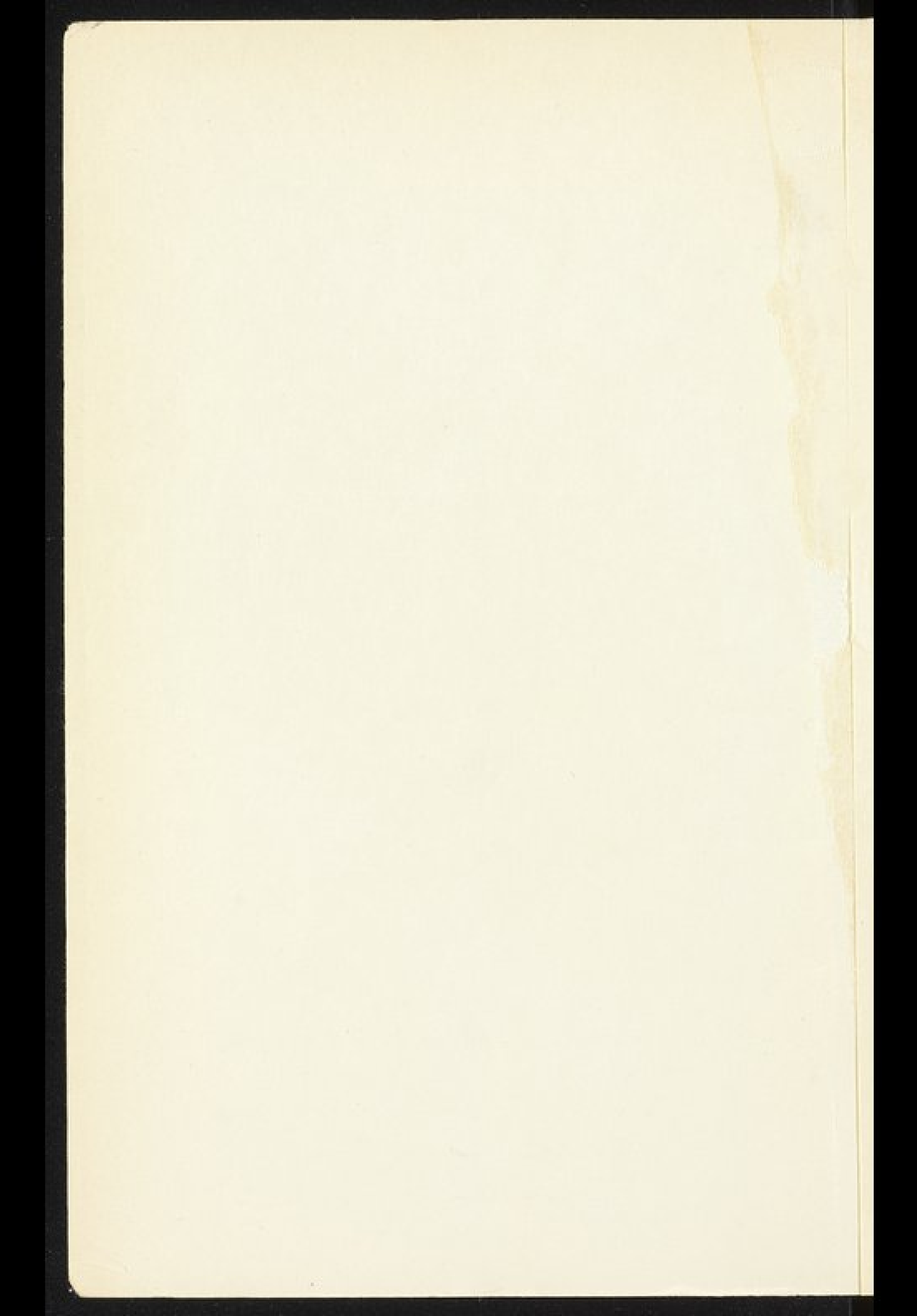
سادسا ـ سلسلة القصة والمسرحية

	فلس	دينار
١ ـ الظامئون : للاستاذ عبدالرزاق المطلبي	٢٥٠	ـ
٢ ـ عمان لن تموت : للاستاذ عبدالوهاب النعيمي	١٠٠	ـ
٣ ـ من مناهل الحياة : للاستاذ الياس قنصل	١٠٠	ـ
٤ ـ رماد الليل : للاستاذ عامر رشيد السامرائي	١٥٠	ـ
٥ ـ الهارب : للاستاذ شاكر جابر	١٠٠	ـ
٦ ـ خارج من الجحيم ـ للاستاذ صادق راجي (تحت الطبع)		

سابعا ـ مطبوعات باللغات الاجنبية

Poetry of Resistance in Occupied Palestine.
Translated By: Sulafa Hijjawi.

المؤسسة العامة للصحافة والطباعة
دار الجمهورية - بغداد
١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م





الثمن ٣٠٠ فلس

المؤسسة العامة للصحافة والطباعة
دار الجمهورية ـ بغداد
١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م

